(٦٩) سورة الحاقة مكية
وآياتها ثنتان وخمسون

● **سورة** الحاقة من السور المكية ، شأنها شأن سائر السور المكية في تثبيت العقيدة والإيمان ، وقد تناولت أموراً عديدة كالحديث عن القيامة وأهوالها ، والساعة وشدائدها ، والحديث عن المكذبين وما جرى لهم ، مثل قوم عاد ، وثمود ، وقوم لوط ، وفرعون ، وقوم نوح ، وغيرهم من الطغاة المفسدين في الأرض ، كما تناولت ذكر السعداء والأشقياء ، ولكنَّ المحور الذي تدور عليه السورة هو إثبات صدق القرآن وأنه كلام الحكيم العليم ، وبراءة الرسول ﷺ مما اتهمه به أهل الضلال .

● **ابتدأت** السورة الكريمة ببيان أهوال القيامة والمكذبين بها ، وما عاقب تعالى به أهل الكفر والعناد ﴿ الحاقة ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة ؟ كذبت ثمودُ وعادٌ بالقارعةِ . فأمَّا ثمودُ فأُهلكوا بالطاغية . وأمَّا عادٌ فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية .. ﴾ الآيات .

● **ثم تناولت** الوقائع والفجائع التي تكون عند النفخ في الصور ، من خراب العالم ، واندكاك الجبال ، وانشقاق السموات الخ ﴿ فإذا نُفخ في الصُّور نفخةٌ واحدةٌ . وحُملتْ الأرضُ والجبال فدُكَّتا دكةً واحدة .. ﴾ الآيات .

● **ثم ذكرت** حال السعداء والأشقياء في ذلك اليوم المفزع ،

حيث يعطي المؤمن كتابه بيمينه ، ويلقي الإكرام والإنعام ، ويعطي الكافر كتابه بشماله ، ويلقي الذل والهوان ﴿ فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ... وأما من أوتي كتابه بشماله ..﴾ الآيات .

● **وبعد هذا** العرض لأحوال الأبرار والفجار ، جاء القسم البليغ بصدق الرسول ، وصدق ما جاء به من الله ، وردّ افتراءات المشركين الذين زعموا أن القرآن سحر أو كهانة ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . إنه لقول رسول كريم﴾ .

● **ثم ذكرت** البرهان القاطع على صدق القرآن ، وأمانة الرسول ﷺ في تبليغه الوحي كما نزل عليه ، بذلك التصوير الذي يهز القلب هزاً ، ويثير في النفس الخوف والفزع من هول الموضوع ﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين ..﴾ الآيات .

● **وختمت** السورة بتمجيد القرآن وبيان أنه رحمة للمؤمنين وحسرة على الكافرين ﴿ وإنه لتذكرة للمتقين .. وإنه لحسرة على الكافرين . وإنه لحق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم﴾ .

سورة الحاقة

[٩٧٠] أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والواحدي(١) عن بريدة قال: قال رسول الله [ﷺ] لعلي بن أبي طالب: «**إني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعي وحق لك أن تعي**» قال: فنزلت هذه الآية: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾(٢) لا يصح(٣).

* * *

---

[٩٧٠] (١) رواه الواحدي في أسباب النزول ص (٢٤٩) من طريق بشر بن آدم نا عبدالله بن الزبير قال سمعت صلح بن هشيم يقول سمعت بريدة.

(٢) سورة الحاقة: الآية (١٢).

(٣) أي لا يصح إسناده.

سورة الحاقة

خمسون وآيتان مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ ﴾

فيه مسائل:

المسألة الأولى: أجمعوا على أن الحاقة هي القيامة واختلفوا في معنى الحاقة على وجوه:

أحدها: أن الحق هو الثابت الكائن، فالحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها. **وثانيها**: أنها التي تحق فيها الأمور أي تعرف على الحقيقة من قولك: لا أحق هذا أي لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لأهلها. **وثالثها**: أنها ذوات الحواق من الأمور وهي الصادقة الواجبة الصدق، والثواب والعقاب وغيرهما من أحوال القيامة أمور واجبة الوقوع والوجود فهي كلها حواق. **ورابعها**: أن الحاقة بمعنى الحقَّة والحقة أخص من الحق وأوجب تقول: هذه حقتي أي حقي، وعلى هذا الحاقة بمعنى الحق، وهذا الوجه قريب من الوجه الأول. **وخامسها**: قال الليث: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾ النازلة التي حقت بالجارية فلا كاذبة لها وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ [الواقعة: ٢]، **وسادسها**: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾ الساعة التي يحق فيها الجزاء على كل ضلال وهدى وهي القيامة. **وسابعها**: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾ هو الوقت الذي يحق على القوم أن يقع بهم. **وثامنها**: أنها الحق بأن يكون فيها جميع آثار أعمال المكلفين فإن في ذلك اليوم يحصل الثواب والعقاب ويخرج عن حد الانتظار وهو قول الزجاج. **وتاسعها**: قال الأزهري: والذي عندي في الحاقة أنها سميت بذلك لأنها تحق كل محاق في دين الله بالباطل أي تخاصم كل مخاصم وتغلبه من قولك: حاققته فحققته أي غالبته فغلبته وفلجت عليه. **وعاشرها**: قال أبو مسلم: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾ الفاعلة من حقت كلمة ربك.

المسألة الثانية: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾ مرفوعة بالابتداء وخبرها ﴿ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ والأصل الحاقة ما هي أي أي شيء هي؟ تفخيمًا لشأنها، وتعظيمًا لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لأنه أهول لها ومثله قوله: ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ [القارعة: ١، ٢] وقوله: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ أي وأي شيء أعلمك ﴿ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ يعني إنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها، يعني أنه في العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك ﴿ مَا ﴾ في موضع الرفع على الابتداء و﴿ أَدْرَىٰكَ ﴾ معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾: القارعة هي التي تقرع الناس بالإفزاع والأهوال، والسماء بالانشقاق والانفطار، والأرض والجبال بالدك والنسف، والنجوم بالطمس والانكدار، وإنما قال: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ ولم يقل: بها، ليدل على أن معنى القرع حاصل في الحاقة، فيكون ذلك زيادة على وصف شدتها. ولما ذكرها وفخمها أتبع ذلك بذكر من كذب بها، وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرًا لأهل مكة، وتخويفًا لهم من عاقبة تكذيبهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾.

اعلم أن في الطاغية أقوالًا: الأول: أن الطاغية هي الواقعة المجاوزة للحد في الشدة والقوة، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١] أي جاوز الحد، وقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] فعلى هذا القول: الطاغية نعت محذوف، واختلفوا في ذلك المحذوف، فقال بعضهم: إنها الصيحة المجاوزة في القوة والشدة للصيحات، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١] وقال بعضهم: إنها الرجفة، وقال آخرون: إنها الصاعقة والقول الثاني: أن الطاغية هاهنا الطغيان، فهي مصدر كالكاذبة والباقية والعاقبة والعافية، أي أهلكوا بطغيانهم على الله إذ كذبوا رسله وكفروا به، وهو منقول عن ابن عباس، والمتأخرون طعنوا فيه من وجهين: الأول: وهو الذي قاله الزجاج: أنه لما ذكر في الجملة الثانية نوع الشيء الذي وقع به العذاب، وهو قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ وجب أن يكون الحال في الجملة الأولى كذلك حتى تكون المناسبة حاصلة، والثاني: وهو الذي قاله القاضي: وهو أنه لو كان المراد ما قالوه، لكان من حق الكلام أن يقال: أهلكوا لها ولأجلها، والقول الثالث: ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ أي بالفرقة التي طغت من جملة ثمود، فتآمروا بعقر الناقة فعقروها، أي أهلكوا بشؤم فرقتهم الطاغية، ويجوز أن يكون المراد بالطاغية ذلك الرجل الواحد الذي أقدم على عقر الناقة وأهلك الجميع، لأنهم رضوا بفعله وقيل له طاغية، كما يقول: فلان راوية الشعر، وداهية وعلامة ونسابة.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ الصرصر: الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل: الباردة من الصر كأنها التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها، وأما العاتية ففيها أقوال: الأول: قال الكلبي: عتت على خزنتها يومئذ، فلم يحفظوا كم خرج منها، ولم يخرج قبل ذلك، ولا بعده منها شيء إلا بقدر معلوم، قال عليه الصلاة والسلام: طغى الماء على خزانه يوم نوح، وعتت الريح على خزانها يوم عاد، فلم يكن لها عليها سبيل، فعلى هذا القول: هي عاتية على الخزان، الثاني: قال عطاء عن ابن عباس: يريد الريح عتت على عاد فما قدروا على

ردها بحيلة من استتار ببناء أو اسْتِنَادٍ إِلَى جَبَلٍ، فإنها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم القول الثالث: أن هذا ليس من العتو الذي هو عصيان، إنما هو بلوغ الشيء وانتهاؤه ومنه قولهم: عتا النبت، أي بلغ منتهاه وجف، قال تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٨]فعاتية أي بالغة منتهاها في القوة والشدة.

قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ ﴾

قوله تعالى: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ قال مقاتل: سلطها عليهم. وقال الزجاج: أقلعها عليهم، وقال آخرون: أرسلها عليهم، هذه هي الألفاظ المنقولة عن المفسرين، وعندي أن فيه لطيفة، وذلك لأن من الناس من قال: إن تلك الرياح إنما اشتدت، لأن اتصالاً فلكيًا نجوميًّا اقتضى ذلك، فقوله: ﴿ سَخَّرَهَا﴾ فيه إشارة إلى نفي ذلك المذهب، وبيان أن ذلك إنما حصل بتقدير الله وقدرته، فإنه لولا هذه الدقيقة لما حصل منه التخويف والتحذير عن العقاب. وقوله: ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ الفائدة فيه أنه تعالى لو لم يذكر ذلك لما كان مقدار زمان هذا العذاب معلومًا، فلما قال: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ صار مقدار هذا الزمان معلومًا، ثم لما كان يمكن أن يظن ظان أن ذلك العذاب كان متفرقًا في هذه المدة أزال هذا الظن بقوله: ﴿ حُسُومًا﴾ أي متتابعة متوالية، واختلفوا في الحسوم على وجوه: **أحدها:** وهو قول الأكثرين حُسُومًا، أي متتابعة، أي هذه الأيام تتابعت عليهم بالريح المهلكة، فلم يكن فيها فتور ولا انقطاع، وعلى هذا القول: حُسُوم جمع حاسم. كشُهُود وقُعُود، ومعنى هذا الحسم في اللغة القطع بالاستئصال، وسمي السيف حسامًا، لأنه يحسم العدو عما يريد، من بلوغ عداوته فلما كانت تلك الرياح متتابعة ما سكنت ساعة حتى أتت عليهم أشبه تتابعها عليهم تتابع فعل الحاسم في إعادة الكي، على الداء كرة بعد أخرى، حتى ينحسم. **وثانيها:** أن الرياح حسمت كل خير، واستأصلت كل بركة، فكانت حسومًا أو حسمتهم، فلم يبق منهم أحد، فالحسوم على هذين القولين جمع حاسم، **وثالثها:** أن يكون الحسوم مصدرًا كالشُّكُور والكُفُور، وعلى هذا التقدير فإما أن ينتصب بفعله مضمرًا، والتقدير: يحسم حُسُومًا، يعني استأصل استئصالاً، أو يكون صفة، كقولك: ذات حسوم، أو يكون مفعولاً له، أي سخرها عليهم للاستئصال، وقرأ السدي: (حَسُومًا) بالفتح حالاً من الريح، أي سخرها عليهم مستأصلة، وقيل: هي أيام العجوز، وإنما سميت بأيام العجوز، لأن عجوزًا من عاد توارت في سرب، فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها، وقيل: هي أيام العجز وهي آخر الشتاء.

قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ أي في مهابها، وقال آخرون: أي في تلك الليالي

والأيام: ﴿صَرْعَىٰ﴾ جمع صريع. قال مقاتل: يعني موتى يريد أنهم صرعوا بموتهم، فهم مصرعون صرع الموت.

ثم قال: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ أي كأنهم أصول نخل خالية الأجواف لا شيء فيها، والنخل يؤنث ويذكر، قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] وقرئ: (أَعْجَازُ نَخِيلٍ)، ثم يحتمل أنهم شبهوا بالنخيل التي قلعت من أصلها، وهو إخبار عن عظيم خلقهم وأجسامهم ويحتمل أن يكون المراد به الأصول دون الجذوع، أي أن الريح قد قطعتهم حتى صاروا قطعًا ضخامًا كأصول النخل. وأما وصف النخل بالخواء، فيحتمل أن يكون وصفًا للقوم، فإن الريح كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم كالنخل الخاوية الجوف، ويحتمل أن تكون الخالية بمعنى البالية لأنها إذا بليت خلت أجوافها، فشبهوا بعد أن أهلكوا بالنخيل البالية.

ثم قال: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: في الباقية ثلاثة أوجه، أحدها: إنها البقية، وثانيها: المراد من نفس باقية، وثالثها: المراد بالباقية البقاء، كالطاغية بمعنى الطغيان.

المسألة الثانية: ذهب قوم إلى أن المراد أنه لم يبق من نسل أولئك القوم أحد، واستدل بهذه الآية على قوله قال ابن جريج: كانوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء في عقاب الله من الريح، فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا، فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر، فذاك هو قوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾ وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

القصة الثانية: قصة فرعون

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾ أي ومن كان قبله من الأمم التي كفرت كما كفر هو، و(مَنْ) لفظ عام ومعناه خاص في الكفار دون المؤمنين، قرأ أبو عمرو وعاصم والكسائي، (وَمَنْ قِبَلَه) بكسر القاف وفتح الباء، قال سيبويه: قِبَل لما ولي الشيء تقول: ذهب قبل السوق، ولي قبلك حق، أي فيما يليك، واتسع فيه حتى صار بمنزلة لي عليك، فمعنى (مِن قِبَلَه) أي من عنده من أتباعه وجنوده والذي يؤكد هذه القراءة ما روي أن ابن مسعود وأبيًّا وأبا موسى قرءوا: (ومَنْ تلقاءه) روى عن أبي وحده أنه قرأ: (وَمَن مَّعَهُۥ) أما قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ فقد تقدم تفسيرها، وهم الذين أهلكوا من قوم لوط، على معنى: والجماعات المؤتفكات، وقوله: ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ فيه وجهان: الأول: أن الخاطئة مصدر كالخطأ والثاني: أن يكون المراد بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ العظيم.

قوله تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: الضمير إن كان عائدًا إلى ﴿فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ﴾

[الحاقة: ٩]، فرسول ربهم هو موسى عليه السلام، وإن كان عائدًا إلى أهل المؤتفكات فرسول ربهم هو لوط، قال الواحدي: والوجه أن يقال: المراد بالرسول كلاهما للخبر عن الأمتين بعد ذكرهما بقوله: ﴿فَعَصَوْا﴾ فيكون كقوله: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦] وقوله: ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ يقال: رَبَا الشيء يربو إذا زاد ثم فيه وجهان: الأول: أنها كانت زائدة في الشدة على عقوبات سائر الكفار كما أن أفعالهم كانت زائدة في القبح على أفعال سائر الكفار، الثاني: أن عقوبة آل فرعون في الدنيا كانت متصلة بعذاب الآخرة، لقوله: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥] وعقوبة الآخرة أشد من عقوبة الدنيا، فتلك العقوبة كأنها كانت تنمو وتربو.

القصة الثالثة قصة نوح عليه السلام

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ طغى الماء على خزانه فلم يدروا كم خرج وليس ينزل من السماء قطرة قبل تلك الواقعة ولا بعدها إلا بكيل معلوم، وسائر المفسرين قالوا: ﴿طَغَا الْمَاءُ﴾ أي تجاوز حده حتى علا كل شيء وارتفع فوقه، و﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ أي حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم، ولا شك أن الذين خوطبوا بهذا هم أولاد الذين كانوا في السفينة، وقوله: ﴿فِي الْجَارِيَةِ﴾ يعني في السفينة التي تجري في الماء، وهي سفينة نوح عليه السلام، والجارية من أسماء السفينة، ومنه قوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ [الرحمن: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ الضمير في قوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ إلى ماذا يرجع؟ فيه وجهان: الأول: قال الزجاج إنه عائد إلى الواقعة التي هي معلومة، وإن كانت هاهنا غير مذكورة، والتقدير لنجعل نجاة المؤمنين وإغراق الكفرة عظة وعبرة، الثاني: قال الفراء: لنجعل السفينة، وهذا ضعيف، والأول هو الصواب، ويدل على صحته قوله: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ فالضمير في قوله: ﴿وَتَعِيَهَا﴾ عائد إلى ما عاد إليه الضمير الأول، لكن الضمير في قوله: ﴿وَتَعِيَهَا﴾ لا يمكن عوده إلى السفينة فكذا الضمير الأول.

قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ **فيه مسألتان:**

المسألة الأولى: يقال: لكل شيء حفظته في نفسك وعيته ووعيت العلم، ووعيت ما قلت ويقال: لكل ما حفظته في غير نفسك: أوعيته يقال: أوعيت المتاع في الوعاء، ومنه قول الشاعر:

وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادِ (١)

واعلم أن وجه التذكير في هذا أن نجاة قوم من الغرق بالسفينة وتغريق من سواهم يدل على قدرة مدبر العالم ونفاذ مشيئته، ونهاية حكمته ورحمته وشدة قهره وسطوته، وعن النبي ﷺ عند

(١) هذا الشطر الثاني من البيت للشاعر طرفة بن العبد وقد تقدمت ترجمته أما البيت فهكذا:

الخَيرُ خَيرٌ وَإِن طالَ الزَمانُ بِهِ ... وَالشَرُّ أَخبَثُ ما أوعَيتَ من زادِ

نزول هذه الآية: «سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ يَا عَلِيُّ، قَالَ عَلِيٌّ: فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَ ذَلِكَ، وَمَا كَانَ لِي أَنْ أَنْسَى»(١) فإن قيل: لم قال ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ على التوحيد والتنكير؟ قلنا: للإيذان بأن الوعاة فيهم قلة، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله، وأن ما سواها لا يلتفت إليهم، وإن امتلأ العالم منهم.

المسألة الثانية: قراءة العامة: ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ بكسر العين، وروى عن ابن كثير (وتَعْيَها) ساكنة العين كأنه جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة (فَخْذ)، فأسكن كما أسكن الحرف المتوسط من فَخْذ وكَبْد وكَتْف، وإنما فعل ذلك لأن حرف المضارعة لا ينفصل من الفعل، فأشبه ما هو من نفس الكلمة، وصار كقول من قال: وهو وهي ومثل ذلك قوله: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ [النور: ٥٢] في قراءة من سكن القاف.

واعلم أنه تعالى لما حكى هذه القصص الثلاث ونبه بها عن ثبوت القدرة والحكمة للصانع فحينئذ ثبت بثبوت القدرة إمكان القيامة، وثبت بثبوت الحكمة إمكان وقوع القيامة.

ولما ثبت ذلك شرع سبحانه في تفاصيل أحوال القيامة فذكر أولاً مقدماتها. فقال:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: قرئ (نَفْخَةٌ) بالرفع والنصب، وجه الرفع أسند الفعل إليها، وإنما حسن تذكير الفعل للفصل، ووجه النصب أن الفعل مسند إلى الجار والمجرور ثم نصب (نَفْخَةً) على المصدر.

المسألة الثانية: المراد من هذه النفخة الواحدة هي النفخة الأولى لأن عندها يحصل خراب العالم، فإن قيل: لم قال بعد ذلك ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ [الحاقة: ١٨] والعرض إنما يكون عند النفخة الثانية؟ قلنا: جعل اليوم اسمًا للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان، والصعقة والنشور، والوقوف والحساب، فلذلك قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ كما تقول: جئته عام كذا، وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته.

قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ فيه مسألتان:

المسألة الأولى: رفعت الأرض والجبال، إما بالزلزلة التي تكون في القيامة، وإما بريح بلغت من

---

(١) ضعيف: رواه أبو نعيم في (معرفة الصحابة) (١/ ٣٧٠) حديث رقم (٣٢٨) وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٤١/ ٤٥٥) والطبري في (تفسيره) (٢٣/ ٥٧٩) جميعًا من طريق الوليد بن مسلم عن علي بن حوشب قال سمعت مكحولاً... فذكره وفي إسناده انقطاع بين مكحول وبين علي بن أبي طالب.

قوة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال، أو بملك من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب فدكتا، أي فدكت الجملتان جملة الأرض وجملة الجبال، فضرب بعضها ببعض، حتى تندق وتصير كثيبًا مهيلاً وهباء منبثًا والدك أبلغ من الدق، وقيل: فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا من قولك: اندك السنام إذا انفرش، وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان.

المسألة الثانية: قال الفراء: لا يجوز في دكة هاهنا إلا النصب لارتفاع الضمير في دكتا، ولم يقل: فدككن لأنه جعل الجبال كالواحدة والأرض كالواحدة، كما قال: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾[الأنبياء: ٣٠] ولم يقل: كن.

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾

ثم قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾: أي فيومئذ قامت القيامة الكبرى وانشقت السماء لنزول الملائكة: ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ أي مسترخية ساقطة القوة ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[القارعة: ٥] بعدما كانت محكمة شديدة.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: قوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ لم يرد به ملكًا واحدًا، بل أراد الجنس والجمع.

المسألة الثانية: الأرجاء في اللغة النواحي يقال: رجا ورَجَوان والجمع: الأرجاء، ويقال ذلك لحرف البئر وحرف القبر وما أشبه ذلك، والمعنى أن السماء إذا انشقت عدلت الملائكة عن مواضع الشق إلى جوانب السماء، فإن قيل: الملائكة يموتون في الصعقة الأولى، لقوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الزمر: ٦٨] فكيف يقال: إنهم يقفون على أرجاء السماء؟ قلنا: الجواب من وجهين: الأول: أنهم يقفون لحظة على أرجاء السماء ثم يموتون، الثاني: أن المراد الذين استثناهم الله في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزمر: ٦٨].

قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ **فيه مسائل:**

المسألة الأولى: هذا العرش هو الذي أراده الله بقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾[غافر: ٧] وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[الزمر: ٧٥].

المسألة الثانية: الضمير في قوله: ﴿فَوْقَهُمْ﴾ إلى ماذا يعود؟ فيه وجهان: الأول: وهو الأقرب أن المراد فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء والمقصود التمييز بينهم وبين الملائكة الذين هم حملة العرش، الثاني: قال مقاتل: يعني أن الحملة يحملون العرش فوق رءوسهم. و(مجيء) الضمير قبل الذكر جائز كقوله: في بيته يؤتي الحكم.

المسألة الثالثة: نقل عن الحسن رحمه الله أنه قال: لا أدري ثمانية أشخاص أو ثمانية آلاف أو ثمانية صفوف أو ثمانية آلاف صف. واعلم أن حمله على ثمانية أشخاص أولى لوجوه:

أحدها: ما روى عن رسول الله ﷺ: «هُمُ الْيَوْمَ أَرْبَعَةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَيَّدَهُمُ اللَّهُ بِأَرْبَعَةٍ آخَرِينَ فَيَكُونُونَ ثَمَانِيَةً» ويروى: «ثَمَانِيَةُ أَمْلَاكٍ أَرْجُلُهُمْ فِي تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وَهُمْ مُطْرِقُونَ مُسَبِّحُونَ» وقيل: بعضهم على صورة الإنسان وقيل: بعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر، وروي ثمانية أملاك في صورة الأوعال ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عامًا، وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، الوجه الثاني: في بيان أن الحمل على ثمانية أشخاص أولى من الحمل على ثمانية آلاف وذلك لأن الثمانية أشخاص لا بد منهم في صدق اللفظ، ولا حاجة في صدق اللفظ إلى ثمانية آلاف، فحينئذ يكون اللفظ دالاً على ثمانية أشخاص، ولا دلالة فيه على ثمانية آلاف فوجب حمله على الأول، الوجه الثالث: وهو أن الموضع موضع التعظيم والتهويل فلو كان المراد ثمانية آلاف، أو ثمانية صفوف لوجب ذكره ليزداد التعظيم والتهويل، فحيث لم يذكر ذلك علمنا أنه ليس المراد إلا ثمانية أشخاص.

المسألة الرابعة: قالت المشبهة: لو لم يكن الله في العرش لكان حمل العرش عبثًا عديم الفائدة، ولا سيما وقد تأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ [الحاقة: ١٨] والعرض إنما يكون لو كان الإله حاصلاً في العرش، أجاب أهل التوحيد عنه بأنه لا يمكن أن يكون المراد منه أن الله جالس في العرش وذلك لأن كل من كان حاملاً للعرش كان حاملاً لكل ما كان في العرش، فلو كان الإله في العرش للزم الملائكة أن يكونوا حاملين لله تعالى وذلك محال، لأنه يقتضي احتياج الله إليهم، وأن يكونوا أعظم قدرة من الله تعالى وكل ذلك كفر صريح، فعلمنا أنه لا بد فيه من التأويل فنقول: السبب في هذا الكلام هو أنه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه، فخلق لنفسه بيتًا يزورونه، وليس أنه يسكنه، تعالى الله عنه وجعل في ركن البيت حجرًا هو يمينه في الأرض، إذ كان من شأنهم أن يعظموا رؤساءهم بتقبيل أيمانهم، وجعل على العباد حفظة ليس لأن النسيان يجوز عليه سبحانه، لكن هذا هو المتعارف فكذلك لما كان من شأن الملك إذا أراد محاسبة عماله جلس إليهم على سرير ووقف الأعوان حوله أحضر الله يوم القيامة عرشًا وحضرت الملائكة وحفت به، لا لأنه يقعد عليه أو يحتاج إليه بل لمثل ما قلناه في البيت والطواف.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ العرض: عبارة عن المحاسبة والمساءلة، شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله، ونظيره قوله: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨] وروى: «أَنَّ

فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ عَرَضَاتٍ، فَأَمَّا عَرَضَتَانِ فَاعْتِذَارٌ وَاحْتِجَاجٌ وَتَوْبِيخٌ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ فَفِيهَا تُنْشَرُ الْكُتُبُ فَيَأْخُذُ السعيد كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله».

ثم قال: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: في الآية وجهان: الأول: تقرير الآية: تعرضون لا يخفى أمركم فإنه عالم بكل شيء، ولا يخفى عليه منكم خافية، ونظيره قوله: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر: ١٦] فيكون الغرض منه المبالغة في التهديد، يعني تعرضون على من لا يخفى عليه شيء أصلاً، الوجه الثاني: المراد لا يخفى يوم القيامة ما كان مخفيًّا منكم في الدنيا، فإنه تظهر أحوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم، وتظهر أحوال أهل العذاب فيظهر بذلك حزنهم وفضيحتهم، وهو المراد من قوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٩-١٠] وفي هذا أعظم الزجر والوعيد وهو خوف الفضيحة.

المسألة الثانية: قراءة العامة (لاَ تَخْفى) بالتاء المنقطة من فوقها، واختار أبو عبيدة الياء وهي قراءة حمزة، والكسائي قال: لأن الياء تجوز للذكر والأنثى والتاء لا تجوز إلا للأنثى، وهاهنا يجوز إسناد الفعل إلى المذكر وهو أن يكون المراد بالخافية شيء ذو خفاء. وأيضًا فقد وقع الفصل هاهنا بين الاسم والفعل بقوله: منكم.

واعلم أنه تعالى لما ذكر ما ينتهي هذا العرض إليه قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: هاء صوت يصوت به، فيفهم منه معنى خذ كافٍ وحس، وقال أبو القاسم الزجاجي وفيه لغات وأجودها ما حكاه سيبويه عن العرب فقال: ومما يؤمر به من المبنيات قولهم: هاء يا فتى، ومعناه تناول ويفتحون الهمزة ويجعلون فتحها علم المذكر كما قالوا: هاك يا فتى، فتجعل فتحة الكاف علامة المذكر ويقال للاثنين: هاؤما، وللجمع هاؤموا وهاؤم والميم في هذا الموضع كالميم في أنتما وأنتم وهذه الضمة التي تولدت في همزة هاؤم إنما هي ضمة ميم الجمع لأن الأصل فيه هاؤموا وأنتموا فأشبعوا الضمة وحكموا للاثنين بحكم الجمع لأن الاثنين عندهم في حكم الجمع في كثير من الأحكام.

المسألة الثانية: إذا اجتمع عاملان على معمول واحد، فإعمال الأقرب جائز بالاتفاق وإعمال الأبعد هل يجوز أم لا؟ ذهب الكوفيون إلى جوازه والبصريون منعوه، واحتج البصريون على قولهم: بهذه الآية، لأن قوله: ﴿هَآؤُمُ﴾ ناصب، وقوله: ﴿ٱقْرَءُواْ﴾ ناصب أيضًا، فلو كان الناصب هو الأبعد، لكان التقدير: هاؤم كتابيه، فكان يجب أن يقول: اقرأوه، ونظيره ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦] واعلم: أن هذه الحجة ضعيفة لأن هذه الآية دلت على أن الواقع هاهنا إعمال الأقرب وذلك لا نزاع فيه إنما النزاع في أنه هل يجوز إعمال الأبعد أم لا، وليس في الآية تعرض لذلك، وأيضًا قد يحذف الضمير لأن ظهوره يغني عن التصريح به كما في قوله:

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فلم لا يجوز أن يكون هاهنا كذلك، ثم احتج الكوفيون بأن العامل الأول متقدم في الوجود على العامل الثاني، والعامل الأول حين وجد اقتضى معمولاً لامتناع حصول العلة دون المعمول، فصيرورة المعمول معمولاً للعامل الأول متقدم على وجود العامل الثاني، والعامل الثاني إنما وجد بعد أن صار معمولاً للعامل الأول فيستحيل أن يصير أيضًا معمولاً للعامل الثاني، لامتناع تعليل الحكم الواحد بعلتين، ولامتناع تعليل ما وجد قبل بما يوجد بعد، وهذه المسألة من لطائف النحو.

المسألة الثالثة: الهاء للسكت (في كتابيه) وكذا في ﴿حِسَابِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٠] و﴿مَالِيَهۡۜ﴾ [الحاقة: ٢٨] و﴿سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٩] وحق هذه الهاءات أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل، ولما كانت هذه الهاءات مثبتة في المصحف والمثبتة في المصحف لا بد وأن تكون مثبتة في اللفظ، ولم يحسن إثباتها في اللفظ إلا عند الوقف، لا جرم استحبوا الوقف لهذا السبب. وتجاسر بعضهم فأسقط هذه الهاءات عند الوصل، وقرأ ابن محيصن بإسكان الياء بغيرها. وقرأ جماعة بإثبات الهاء في الوصل والوقف جميعًا لاتباع المصحف.

المسألة الرابعة: اعلم أنه لما أوتي كتابه بيمينه، ثم إنه يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ دل ذلك على أنه بلغ الغاية في السرور لأنه لما أعطى كتابه بيمينه علم أنه من الناجين ومن الفائزين بالنعيم، فأحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله. وقيل: يقول ذلك لأهل بيته وقرابته.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾

ثم إنه تعالى حكى عنه أنه يقول: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ **وفيه وجوه:**

الأول: المراد منه اليقين الاستدلالي وكل ما ثبت بالاستدلال فإنه لا ينفك من الخواطر المختلفة، فكان ذلك شبيهًا بالظن.

الثاني: التقدير: إني كنت أظن أني ألاقي حسابي فيؤاخذني الله بسيئاتي، فقد تفضل علي بالعفو ولم يؤاخذني بها فهاؤم اقرءا كتابيه.

وثالثها: روى أبو هريرة أنه عليه السلام قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُؤْتَى كِتَابُهُ فَتَظْهَرُ حَسَنَاتُهُ فِي ظَهْرِ كَفِّهِ وَتُكْتَبُ سَيِّئَاتُهُ فِي بَطْنِ كَفِّهِ فَيَنْظُرُ إِلَى سَيِّئَاتِهِ فَيَحْزَنُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْلِبْ كَفَّكَ فَيَنْظُرُ فِيهِ فَيَرَى حَسَنَاتِهِ فَيَفْرَحُ**» ثم يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ﴾ - عند النظرة الأولى ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ على سبيل الشدة، وأما الآن فقد فرَّج الله عني ذلك الغم، وأما في حق الأشقياء فيكون ذلك على الضد مما ذكرنا، ورابعها: ظننت: أي علمت، وإنما أجرى مجرى العلم. لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام، يقال: أظن ظنًا كاليقين أن الأمر كيت وكيت، وخامسها: المراد إني ظننت في الدنيا أن بسبب الأعمال التي كنت أعملها في الدنيا سأصل في القيامة إلى هذه الدرجات وقد حصلت الآن على اليقين فيكون الظن على ظاهره، لأن أهل الدنيا لا يقطعون بذلك.

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝﴾

ثم بيَّن تعالى عاقبة أمره فقال: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: وصف العيشة بأنها راضية فيه وجهان: الأول: المعنى أنها منسوبة إلى الرضا كالدارع والنابل، والنسبة نسبتان نسبة بالحروف ونسبة بالصيغة، والثاني: أنه جعل الرضا للعيشة مجازًا مع أنه صاحب العيشة.

المسألة الثانية: ذكروا في حد الثواب أنه لا بد وأن يكون منفعة، ولا بد وأن تكون خالصة عن الشوائب، ولا بد وأن تكون دائمة ولا بد وأن تكون مقرونة بالتعظيم، فالمعنى إنما يكون مرضيًّا به من جميع الجهات لو كان مشتملاً على هذه الصفات فقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ كلمة حاوية لمجموع هذه الشرائط التي ذكرناها.

ثم قال: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ وهو أن من صار في ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي يعيش عيشًا مرضيًا في جنة عالية، والعلو إن أريد به العلو في المكان فهو حاصل، لأن الجنة فوق السموات، فإن قيل: أليس أن منازل البعض فوق منازل الآخرين، فهؤلاء السافلون لا يكونون في الجنة العالية، قلنا: إن كون بعضها دون بعض لا يقدح في كونها عالية وفوق السموات، وإن أريد العلو في الدرجة والشرف فالأمر كذلك، وإن أريد به كون تلك الأبنية عالية مشرفة فالأمر أيضًا كذلك.

ثم قال: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ أي ثمارها قريبة التناول يأخذها الرجل كما يريد إن أحب أن يأخذها بيده انقادت له، قائمًا كان أو جالسًا أو مضطجعًا. وإن أحب أن تدنو إلى فيه دنت، والقطوف جمع قطف وهو المقطوف.

ثم قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ والمعنى يقال لهم ذلك.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: منهم من قال قوله: ﴿كُلُوا﴾ ليس بأمر إيجاب ولا ندب، لأن الآخرة ليست دار تكليف، ومنهم من قال: لا يبعد أن يكون ندبًا، إذا كان الغرض منه تعظيم ذلك الإنسان وإدخال السرور في قلبه.

المسألة الثانية: إنما جمع الخطاب في قوله: ﴿كُلُوا﴾ بعد قوله ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾ لقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ﴾ [الحاقة: ١٩] و(مَنْ) مضمن معنى الجمع.

المسألة الثالثة: قوله: ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ أي قدمتم من أعمالكم الصالحة، ومعنى الإسلاف في اللغة تقديم ما ترجو أن يعود عليك بخير فهو كالإقراض. ومنه يقال: أسلف في كذا إذا قدم فيه ماله، والمعنى بما عملتم من الأعمال الصالحة: والأيام الخالية، المراد منها أيام الدنيا والخالية الماضية، ومنه قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ [الأحقاف: ١٧] و﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤]

وقال الكلبي: ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ يعني الصوم، وذلك أنهم لما أمروا بالأكل والشرب، دل ذلك على أنه لمن امتنع في الدنيا عنه بالصوم، طاعة لله تعالى.

المسألة الرابعة: قوله: ﴿بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ﴾ يدل على أنهم إنما استحقوا ذلك الثواب بسبب عملهم، وذلك يدل على أن العمل موجب للثواب، وأيضًا لو كانت الطاعات فعلاً لله تعالى لكان قد أعطى الإنسان ثوابًا لا على فعل فعله الإنسان، وذلك محال وجوابه معلوم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾

واعلم أنه تعالى بيَّن أنه لما نظر في كتابه وتذكر قبائح أفعاله خجل منها وصار العذاب الحاصل من تلك الخجالة أزيد من عذاب النار، فقال: ليتهم عذبوني بالنار، وما عرضوا هذا الكتاب الذي ذكرني قبائح أفعالي حتى لا أقع في هذه الخجالة، وهذا ينبهك على أن العذاب الروحاني أشد من العذاب الجسماني، وقوله: ﴿وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ﴾ أي ولم أدر أي شيء حسابيه، لأنه حاصل ولا طائل له في ذلك الحساب، وإنما كله عليه.

ثم قال: ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ الضمير في ﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ إلى ماذا يعود؟ فيه وجهان: الأول: إلى الموتة الأولى، وهي وإن لم تكن مذكورة إلا أنها لظهورها كانت كالمذكورة والقاضية القاطعة عن الحياة. وفيها إشارة إلى الانتهاء والفراغ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ﴾ [الجمعة: ١٠] ويقال: قضى على فلان، أي مات فالمعنى يا ليت الموتة التي متها كانت القاطعة لأمري، فلم أبعث بعدها، ولم ألق ما وصلت إليه، قال قتادة: تمنى الموت ولم يكن في الدنيا عنده شيء أكره من الموت، وشر من الموت ما يطلب له الموت، قال الشاعر:

وَشَرٌّ مِنَ الْمَوْتِ الَّذِي إِنْ لَقِيتَهُ ... تَمَنَّيتَ مِنْهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ أَعْظَمُ

والثاني: أنه عائد إلى الحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب، والمعنى: يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قَضَت علي لأنه رأى تلك الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها.

قوله تعالى: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾

﴿مَآ أَغۡنَىٰ﴾ نفي أو استفهام على وجه الإنكار أي أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار، ونظيره قوله: ﴿وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا﴾ [مريم: ٨٠] وقوله: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ في المراد بـ(سُلْطَانيه) وجهان: أحدهما: قال ابن عباس: ضَلَّت عني حجتي التي كنت أحتج بها على محمد في الدنيا، وقال مقاتل: ضلت عني حجتي يعني حين شهدت عليه الجوارح بالشرك، والثاني: ذهب ملكي

وتسلطي على الناس وبقيت فقيرًا ذليلاً، وقيل معناه: إنني إنما كنت أنازع المحقين بسبب الملك والسلطان، فالآن ذهب ذلك الملك وبقي الوبال، واعلم أنه تعالى ذكر سرور السعداء أولاً، ثم ذكر أحوالهم في العيش الطيب وفي الأكل والشرب، كذا هاهنا ذكر غم الأشقياء وحزنهم، ثم ذكر أحوالهم في الغل والقيد وطعام الغسلين، فأولها أن تقول: خزنة جهنم خذوه فيبتدر إليه مائة ألف ملك، وتجمع يده إلى عنقه، فذاك قوله: ﴿فَغُلُّوهُ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ قال المبرد: أصليته النار إذا أوردته إياها وصليته أيضًا كما يقال: أكرمته وكرمته، وقوله: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ معناه لا تصلوه إلا الجحيم، وهي النار العظمى لأنه كان سلطانًا يتعظم على الناس، ثم في سلسلة وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة وكل شيء مستمر بعد شيء على الولاء والنظام فهو مسلسل، وقوله: ﴿ذَرْعُهَا﴾ معنى الذرع في اللغة التقدير بالذراع من اليد، يقال: ذرع الثوب يذرعه ذرعًا إذا قدره بذراعه، وقوله: ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه ليس الغرض التقدير بهذا المقدار بل الوصف بالطول، كما قال: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠]يريد مرات كثيرة، والثاني: أنه مقدر بهذا المقدار ثم قالوا: كل ذراع سبعون باعًا وكل باع أبعد مما بين مكة والكوفة، وقال الحسن: الله أعلم بأي ذراع هو، وقوله: ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ قال المبرد: يقال سلكه في الطريق، وفي القيد وغير ذلك وأسلكته معناه أدخلته ولغة القرآن سلكته قال الله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢]وقال: ﴿سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٠]قال ابن عباس: تدخل السلسلة من دبره وتخرج من حلقه، ثم يجمع بين ناصيته وقدميه، وقال الكلبي: كما يسلك الخيط في اللؤلؤ ثم يجعل في عنقه سائرها، وهاهنا سؤالات:

السؤال الأول:ما الفائدة في تطويل هذه السلسلة؟ الجواب: قال سويد بن أبي نجيح: بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة، وإذا كان الجمع من الناس مقيدين بالسلسلة الواحدة كان العذاب على كل واحد منهم بذلك السبب أشد.

السؤال الثاني:سلك السلسلة فيهم معقول، أما سلكهم في السلسلة فما معناه؟ الجواب: سلكه في السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أجزاؤها وهو فيما بينها مزهق مضيق عليه لا يقدر على حركة، وقال الفراء: المعنى ثم اسلكوا فيه السلسلة كما يقال: أدخلت رأسي في القلنسوة وأدخلتها في رأسي، ويقال: الخاتم لا يدخل في إصبعي، والإصبع هو الذي يدخل في الخاتم.

السؤال الثالث:لم قال: ﴿فِي سِلْسِلَةٍ﴾ . . . ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾، ولم يقل: فاسلكوه في سلسلة؟ الجواب: المعنى في تقديم السلسلة على السلك هو الذي ذكرناه في تقديم الجحيم على التصلية، أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة لأنها أفظع من سائر السلاسل، السؤال الرابع: ذكر الأغلال والتصلية بالفاء وذكر السلك في هذه السلسلة بلفظ ثم، فما الفرق؟ الجواب: ليس المراد من كلمة ثم تراخي المدة بل التفاوت في مراتب العذاب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

واعلم أنه تعالى لما شرح هذا العذاب الشديد ذكر سببه فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: فالأول إشارة إلى فساد حال القوة العاقلة. والثاني إشارة إلى فساد حال القوة العملية. وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: قوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ فيه قولان: أحدهما: ولا يحض على بذل طعام المسكين، والثاني: أن الطعام هاهنا اسم أقيم مقام الإطعام كما وضع العطاء مقام الإعطاء في قوله:

وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِائَةَ الرِّتَاعَا(١)

المسألة الثانية: قال صاحب الكشاف قوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ فيه دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المساكين: أحدهما: عطفه على الكفر وجعله قرينة له، والثاني: ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة، فكيف بمن يترك الفعل.

المسألة الثالثة: دلت الآية على أن الكفار يعاقبون على ترك الصلاة والزكاة، وهو المراد من قولنا: إنهم مخاطبون بفروع الشرائع، وعن أبي الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، ويقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع النصف الباقي! وقيل: المراد منه منع الكفار وقولهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧].

ثم قال: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي ليس له في الآخرة حميم أي قريب يدفع عنه ويحزن عليه، لأنهم يتحامون ويفرون منه كقوله: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠] وكقوله: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: فيه مسألتان:

المسألة الأولى: يروى أن ابن عباس سئل عن الغسلين، فقال: لا أدري ما الغسلين. وقال

---

(١) هذا الشطر الثاني من البيت ضمن قصيدة من البحر الوافر للشاعر القطامي التغلبي والبيت هكذا:

أَكُفْرًا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَبَعْدَ عَطَائِكَ الْمِائَةَ الرِّتَاعَا

والشاعر القطامي ؟ - ١٣٠هـ/ ؟ - ٧٤٧م هو عُمير بن شُيَيم بن عمرو بن عبّاد من بني جُشَم بن بكر، أبو سعيد، التغلبي الملقب بالقطامي. شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق، وأسلم. وجعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين، وقال: الأخطل أبعد منه ذكرًا وأمتن شعرًا.

الكلبي: وهو ماء يسيل من أهل النار من القيح والصديد والدم إذا عذبوا فهو غسلين فِعْلين من الغسل.

المسألة الثانية: الطعام ما هُيِّئ للأكل، فلما هُيِّئ الصديد ليأكله أهل النار كان طعامًا لهم، ويجوز أن يكون المعنى أن ذلك أقيم لهم مقام الطعام فسمى طعامًا، كما قال:

تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ (١)

والتحية لا تكون ضربًا إلا أنه لما أقيم مقامه جاز أن يسمى به.

ثم إنه تعالى ذكر أن الغسلين أكل من هو؟ فقال: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ الآثمون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل إذا تعمد الذنب وهم المشركون، وقرئ: (الخاطيون) بإبدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها، وعن ابن عباس أنه طعن في هذه القراءة، وقال ما الخاطيون كلنا نخطو إنما هو الخاطئون، ما الصابون، إنما هو الصابئون، ويجوز أن يجاب عنه بأن المراد الذين يتخطون الحق إلى الباطل ويتعدون حدود الله.

واعلم أنه تعالى لما أقام الدلالة على إمكان القيامة، ثم على وقوعها، ثم ذكر أحوال السعداء وأحوال الأشقياء، ختم الكلام بتعظيم القرآن فقال.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: منهم من قال: المراد أقسم و(لا) صلة، أو يكون رد الكلام سبق، ومنهم من قال: لا هاهنا نافية للقسم، كأنه قال: لا أقسم، على أن هذا القرآن قول رسول كريم يعني أنه لوضوحه يستغني عن القسم، والاستقصاء في هذه المسألة سنذكره في أول سورة ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١].

المسألة الثانية: قوله: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ يعم جميع الأشياء على الشمول، لأنها لا تخرج من قسمين: مبصر وغير مبصر، فشمل الخالق والخلق، والدنيا والآخرة، والأجسام والأرواح، والإنس والجن، والنعم الظاهرة والباطنة.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

واعلم أنه تعالى ذكر في سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] مثل هذا الكلام، والأكثرون هناك على أن المراد منه جبريل عليه السلام، والأكثرون هاهنا على أن المراد منه محمد ﷺ، واحتجوا على الفرق بأن هاهنا لما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ذكر بعده أنه ليس بقول شاعر، ولا كاهن، والقوم ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة، بل كانوا يصفون محمدًا بهذين الوصفين. وأما في سورة: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لما قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير: ١٩]

---

(١) هذا هو الشطر الثاني من البيت لقصيدة الشاعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي وقد ترجم له قبل هذا والبيت كاملاً هكذا:

وخيلٍ قد دَلَفتُ لها بِخَيلٍ تحيّةُ بَينِهم ضربٌ وَجيعُ

ثم قال بعده: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾[التكوير: ٢٥] كان المعنى: إنه قول ملك كريم، لا قول شيطان رجيم، فصح أن المراد من الرسول الكريم هاهنا هو محمد ﷺ، وفي تلك السورة هو جبريل عليه السلام، وعند هذا يتوجه السؤال: أن الأمة مجمعة على أن القرآن كلام الله تعالى، وحينئذ يلزم أن يكون الكلام الواحد كلامًا لله تعالى، ولجبريل ولمحمد، وهذا غير معقول، والجواب: أنه يكفي في صدق الإضافة أدنى سبب، فهو كلام الله تعالى، بمعنى أنه تعالى هو الذي أظهره في اللوح المحفوظ، وهو الذي رتبه ونظمه، وهو كلام جبريل عليه السلام، بمعنى أنه هو الذي أنزله من السموات إلى الأرض، وهو كلام محمد، بمعنى أنه هو الذي أظهره للخلق، ودعا الناس إلى الإيمان به، وجعله حجة لنبوته.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: قرأ الجمهور: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ و﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء المنقوطة من فوق على الخطاب إلا ابن كثير، فإنه قرأهما بالياء على المغايبة، فمن قرأ على الخطاب، فهو عطف على قوله: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾[الحاقة: ٣٨، ٣٩] ومن قرأ على المغايبة سلك فيه مسلك الالتفات.

المسألة الثانية: قالوا: لفظة (ما) في قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ ... ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ لغو وهي مؤكدة، وفي قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ وجهان: الأول: قال مقاتل: يعني بالقليل أنهم لا يصدقون بأن القرآن من الله، والمعنى لا يؤمنون أصلاً، والعرب يقولون: قلما يأتينا يريدون لا يأتينا، الثاني: أنهم قد يؤمنون في قلوبهم، إلا أنهم يرجعون عنه سريعًا ولا يتمون الاستدلال، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[المدثر: ١٨] إلا أنه في آخر الأمر قال: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[المدثر: ٢٤].

المسألة الثالثة: ذكر في نفي الشاعرية ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ وفي نفي الكاهنية ﴿مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ والسبب فيه كأنه تعالى قال: ليس هذا القرآن قولاً من رجل شاعر، لأن هذا الوصف مباين لصنوف الشعر كلها إلا أنكم لا تؤمنون، أي لا تقصدون الإيمان، فلذلك تعرضون عن التدبر، ولو قصدتم الإيمان لعلمتم كذب قولكم: إنه شاعر، لمفارقة هذا التركيب ضروب الشعر، ولا أيضًا بقول كاهن، لأنه وارد بسبِّ الشياطين وشتمهم، فلا يمكن أن يكون ذلك بإلهام الشياطين، إلا أنكم لا تتذكرون كيفية نظم القرآن، واشتماله على شتم الشياطين، فلهذا السبب تقولون: إنه من باب الكهانة.

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾: اعلم أن نظير هذه الآية قوله في الشعراء: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[الشعراء: ١٩٢-١٩٤] فهو كلام رب العالمين لأنه تنزيله، وهو قول جبريل لأنه نزل به، وهو قول محمد لأنه أنذر الخلق به، فهاهنا أيضًا لما قال فيما تقدم: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[الحاقة: ٤٠] أتبعه بقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حتى يزول الإشكال، وقرأ أبو السمال: (تنزيلًا)، أي نزل تنزيلاً.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ قرئ: (ولو تُقُوِّلَ) على البناء للمفعول، التقول افتعال القول، لأن فيه تكلفًا من المفتعل، وسمى الأقوال المنقولة أقاويل تحقيرًا لها، كقولك الأعاجيب والأضاحيك، كأنها جمع أفعولة من القول، والمعنى ولو نسب إلينا قولاً لم نقله.

ثم قال تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: في الآية وجوه: الأول: معناه لأخذنا بيده، ثم لضربنا رقبته، وهذا ذكره على سبيل التمثيل بما يفعله الملوك بمن يتكذب عليهم، فإنهم لا يمهلونه، بل يضربون رقبته في الحال، وإنما خص اليمين بالذكر، لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره، وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يلحقه بالسيف، وهو أشد على المعمول به ذلك العمل لنظره إلى السيف أخذ بيمينه، ومعناه: لأخذنا بيمينه، كما أن قوله: ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ لقطعنا وتينه وهذا تفسير بيِّن وهو منقول عن الحسن البصري، القول الثاني: أن اليمين بمعنى القوة والقدرة وهو قول الفراء والمبرد والزجاج، وأنشدوا قول الشماخ:

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ ... تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ (١)

والمعنى لأخذ منه اليمين، أي سلبنا عنه القوة، والباء على هذا التقدير صلة زائدة، قال ابن قتيبة: وإنما قام اليمين مقام القوة، لأن قوة كل شيء في ميامنه، والقول الثالث: قال مقاتل: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ يعني انتقمنا منه بالحق، واليمين على هذا القول بمعنى الحق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾[الصافات: ٢٨] أي من قبل الحق.

واعلم أن حاصل هذه الوجوه أنه لو نسب إلينا قولاً لم نقله لمنعناه عن ذلك إما بواسطة إقامة الحجة فإنا كنا نقيض له من يعارضه فيه، وحينئذ يظهر للناس كذبه فيه، فيكون ذلك إبطالاً لدعواه وهدمًا لكلامه، وإما بأن نسلب عنده القدرة على التكلم بذلك القول، وهذا هو الواجب في حكمة الله تعالى لئلا يشتبه الصادق بالكاذب.

المسألة الثانية: الوتين هو العرق المتصل من القلب بالرأس الذي إذا قطع مات الحيوان قال أبو زيد: وجمعه الوتن و(يُقَالُ) ثلاثة أوتنة والمَوْتُون الذي قطع وتينه، قال ابن قتيبة: ولم يرد أنا نقطعه بعينه بل المراد أنه لو كذب لأمتناه، فكان كمن قطع وتينه، ونظيره قوله عليه السلام: «مَا زَالَتْ أَكْلَةُ خَيْبَرَ تُعَاوِدُنِي فهذا أوان انْقِطَاعِ أَبْهَرِي» والأبهر عرق يتصل بالقلب، فإذا انقطع مات صاحبه فكأنه قال: هذا أوان يقتلني السم وحينئذ صرت كمن انقطع أبهره.

(١) الشماخ الذبياني تقدمت ترجمته.

قوله تعالى: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ : قال مقاتل والكلبي : معناه ليس منكم أحد يحجزنا عن ذلك الفعل ، قال الفراء والزجاج : إنما قال حاجزين في صفة أحد لأن أحدًا هنا في معنى الجمع ، لأنه اسم يقع في النفي العام مستويًا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقوله : ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [الأحزاب: ٣٢] واعلم أن الخطاب في قوله : ﴿ فَمَا مِنكُم ﴾ للناس .

واعلم أنه تعالى لما بيَّن أن القرآن تنزيل من الله الحق بواسطة جبريل على محمد الذي من صفته أنه ليس بشاعر ولا كاهن ، بيَّن بعد ذلك أن القرآن ما هو؟

فقال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ وقد بينا في أول سورة البقرة في قوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] ما فيه من البحث .

ثم قال: ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ له بسبب حب الدنيا ، فكأنه تعالى قال : أما من اتقى حب الدنيا فهو يتذكر بهذا القرآن وينتفع . وأما من مال إليها فإنه يكذب بهذا القرآن ولا يقربه .

واقول: للمعتزلة أن يتمسكوا بهذه الآية على أن الكفر ليس من الله ، وذلك لأنه وصف القرآن بأنه تذكرة للمتقين ، ولم يقل : بأنه إضلال للمكذبين ، بل ذلك الضلال نسبه إليهم ، فقال : وإنا لنعلم أن منكم مكذبين ، ونظيره قوله في سورة النحل : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾ [النحل: ٩] واعلم أن الجواب عنه ما تقدم .

قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾

ثم قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ : الضمير في قوله : ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ إلى ماذا يعود؟ فيه وجهان : الأول : أنه عائد إلى القرآن ، فكأنه قيل : وإن نزول القرآن لحسرة على الكافرين . إما يوم القيامة إذا رأوا ثواب المصدقين به ، أو في دار الدنيا إذا رأوا دولة المؤمنين ، والثاني : قال مقاتل : وإن تكذيبهم بالقرآن لحسرة عليهم ، ودل عليه قوله : ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٩] .

ثم قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ معناه أنه حق يقين ، أي حق لا بطلان فيه ، ويقين لا ريب فيه ، ثم أضيف أحد الوصفين إلى الآخر للتأكيد .

ثم قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ إما شكرًا على ما جعلك أهلاً لإيحائه إليك ، وإما تنزيهًا له عن الرضا بأن ينسب إليه الكاذب من الوحي ما هو بريء عنه . وأما تفسير قوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ فمذكور في أول سورة : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١] وفي تفسير قوله : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين .

سورة الحاقّة

مَكيّةٌ في قول الجميع[١] . وهي إحدى وخمسون آية[٢]

روى أبو الزَّاهرية عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ إحدى عشرة آية من سورة الحاقَّة أُجير من فتنة الدّجَّال. ومن قرأها كانت له نوراً يوم القيامة من فوق رأسه إلى قدمه»[٣].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ . مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ يريد القيامة؛ سُمِّيت بذلك لأن الأمور تُحَقُّ فيها؛ قاله الطبري[٤]. كأنه جعلها مِن باب: ليلٌ نائم. وقيل: سُمِّيت حاقَّةً لأنها تكون من غير شكّ. وقيل: سُمِّيت بذلك لأنها أحقَّت لأقوام الجنةَ، وأحقَّت لأقوام النار. وقيل: سُمِّيَت بذلك لأن فيها يصير كلُّ إنسانٍ حقيقًا بجزاء عمله.

وقال الأزهريّ[٥]: يقال: حاققته فحَقَقْتُه أَحُقّه، أي: غالبته فغلبته. فالقيامة حاقَّةٌ لأنها تَحُقُّ كلَّ مُحاقٍّ في دين الله بالباطل، أي: كُلَّ مخاصِم.

وفي الصحاح: وحاقَّه، أي: خاصمه وادَّعى كلُّ واحدٍ منهما الحقَّ؛ فإذا غلبه قيل: حَقَّه. ويقال للرجل إذا خاصم في صِغَار الأشياء: إنه لَنَزِقُ الحِقَاق. ويقال: ماله

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٦، وزاد المسير ٨/ ٣٤٥ .

(٢) الكشاف ٤/ ١٤٩ . وذكر أبو الليث في تفسيره ٣/ ٣٩٧، والواحدي في الوسيط ٤/ ٣٤٣، والبغوي في تفسيره ٤/ ٣٨٥ أنها اثنتان وخمسون آية.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) في تفسيره ٢٣/ ٢٠٥ .

(٥) في تهذيب اللغة ٣/ ٣٧٧ .

فيه حقٌّ ولا حِقاق، أي: خصومة. والتَّحاقُّ: التخاصم. والاحتقاق: الاختصام[١]. والحاقَّة والحَقَّة والحقُّ ثلاثُ لغاتٍ بمعنًى. وقال الكِسائيُّ والمؤَرِّج: الحاقَّة: يومُ الحقّ[٢]. وتقول العرب: لمَّا عَرَف الحَقَّةَ منِّي هرب[٣].

والحاقّة الأولى رفع بالابتداء، والخبر المبتدأُ الثاني وخبره، وهو: «مَا الْحَاقَّةُ»، لأن معناها: ما هي. واللفظ استفهام، ومعناه التعظيمُ والتفخيم لشأنها؛ كما تقول: زيدٌ ما زيد! على التعظيم لشأنه[٤].

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ استفهامٌ أيضاً، أي: أيُّ شيءٍ أعلمك ما ذلك اليوم. والنبيُّ ﷺ كان عالماً بالقيامة ولكن بالصفة، فقيل تفخيمًا لشأنها: وما أدراك ما هي؛ كأنك لستَ تعلمها إذ لم تعاينْها.

وقال يحيى بن سلام: بلغني أنَّ كلَّ شيءٍ في القرآن «وَمَا أَدْرَاكَ»، فقد أدراه إياه وعلَّمه. وكلَّ شيءٍ قال: «وَمَا يُدْرِيك»، فهو مما لم يعلِّمه[٥]. وقال سفيان بن عُيينة: كلُّ شيء قال فيه: «وَمَا أَدْرَاكَ»، فإنه أُخبر به، وكلُّ شيء قال فيه: «وَمَا يُدْرِيكَ»، فإنه لم يُخبَر به[٦].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤﴾

ذَكَرَ من كذَّب بالقيامة. والقارعة القيامة؛ سُمِّيت بذلك لأنها تَقرَع الناسَ بأهوالها. يقال: أصابتهم قوارعُ الدهر، أي: أهوالُه وشدائده. ونعوذ بالله من قوارع فلانٍ

(١) الصحاح (حقق).

(٢) أورد قول الكسائي البغويُّ في تفسيره ٤/ ٣٨٥.

(٣) الصحاح (حقق).

(٤) الكلام بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٢٠٥، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٣، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٩، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٦.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٦.

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٠٧ عن سفيان. ولعله الثوري، كما في تفسيره.

ولواذِعه وقوارصِ لسانه؛ جمع قارصة، وهي الكلمة المؤذية. وقوارعُ القرآن: الآياتُ التي يقرؤها الإنسان إذا فَزِع من الجِنِّ أو الإنس، نحوُ آيةِ الكرسيّ؛ كأنها تَقرَع الشيطان[١].

وقيل: القارعة مأخوذةٌ من القُرْعة في رفعِ قومٍ وحطِّ آخرين؛ قاله المبرِّد. وقيل: عنى بالقارعة العذابَ الذي نزل بهم في الدنيا؛ وكان نبيُّهم يخوِّفهم بذلك فيكذِّبونه.

وثمودُ قومُ صالح، وكانت منازلهم بالحِجْر فيما بين الشام والحجاز. قال محمد ابن إسحاق: وهو وادي القُرَى، وكانوا عربًا. وأما عادٌ فقوم هود، وكانت منازلهم بالأحقاف. والأحقاف: الرمل بين عُمَان إلى حضرموت واليمن كلِّه؛ وكانوا عربًا ذَوِي خَلْق وبَسْطة؛ ذكره محمد بن إسحاق[٢]. وقد تقدم[٣].

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾

فيه إضمار، أي: بالفعلة الطاغية. وقال قتادة: أي: بالصيحة الطاغية[٤]، أي: المجاوِزة للحدّ، أي: لحدِّ الصيحات من الهَوْل، كما قال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١]. والطغيان: مجاوزة الحدّ، ومنه: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١] أي: جاوز الحدّ. وقال الكلبيّ: بالطاغية: بالصاعقة. وقال مجاهد: بالذنوب. وقال الحسن: بالطُّغيان[٥]، فهي مصدرٌ؛ كالكاذبة والعاقبة والعافية. أي: أُهلكوا بطغيانهم وكفرهم. وقيل: إنَّ الطاغية عاقرُ الناقة؛ قاله ابن زيد[٦]. أي: أُهلكوا بما أقدم عليه طاغيتُهم مِن عَقْر الناقة، وكان واحداً، وإنما هلك

(١) الصحاح (قرع).

(٢) النكت والعيون ٦/ ٧٦، وفيه كلام المبرد.

(٣) ٩/ ٢٦٤.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٦. وأخرجه الطبري ٢٣/ ٢٠٩.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٦، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٠٨.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٧٦.

الجميع لأنهم رَضُوا بفعله ومالؤوه. وقيل له: طاغية؛ كما يقال: فلان راوية الشعر، وداهيةٌ وعلَّامةٌ ونَسَّابة.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أي: باردةٌ تُحْرِق ببردها كإحراق النار؛ مأخوذةٌ من الصِّرّ، وهو البرد؛ قاله الضحَّاك[١]. وقيل: إنها الشديدةُ الصوت[٢]. وقال مجاهد: الشديدة السَّموم.

﴿عَاتِيَةٍ﴾ أي: عَتت على خُزَّانها فلم تُطِعهم، ولم يطيقوها مِن شدَّة هبوبها؛ غضبت لغضب الله. وقيل: عتت على عادٍ فقهرتهم.

روى سفيان الثوريُّ عن موسى بن المسيَّب، عن شَهْر بن حَوْشَب، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أرسل الله مِن نَسْفَة[٣] مِن ريحٍ إلا بمكيال، ولا قطرةٍ من ماء إلَّا بمكيال، إلا يومَ عادٍ ويوم نوح، فإنَّ الماء يومَ نوحٍ طغى على الخُزَّان، فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ في الْجَارِيَةِ»، والريح لمَّا كان يومُ عادٍ عَتَت على الخُزَّان فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: «بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ»[٤].

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أرسلها وسَلَّطها عليهم. والتسخير: استعمالُ الشيء

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢١١.

(٢) ذكره في النكت والعيون ٦/ ٧٧ عن مجاهد.

(٣) في (خ): هبة، وفي (ظ): سفّة، وفي (م): نسمة، وفي الكشاف ٤/ ١٥٠: سفية، والمثبت من (د) و(ز) و(ق).

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٣٢) و(٨٠٧)، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٦٥. وأخرجه الطبري ٢٣/ ٢١٠ موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما.

بالاقتدار[١]. ﴿سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ﴾ أي: متتابعة لا تَفْتُر ولا تنقطع؛ عن ابن عباس وابنِ مسعود وغيرهما[٢]. قال الفرَّاء[٣]: الحُسُوم: التِّباع، مِن حَسْمِ الدَّاء: إذا كُوِيَ صاحبُه، لأنه يُكْوَى بالمِكواة ثم يُتابَع ذلك عليه. قال عبد العزيز بن زُرارة الكِلابيّ:

فـفـرَّق بـيـن بـيـنِـهـمُ[٤] زمـانٌ تـتـابـعَ فـيـه أعـوامٌ حـسـومُ[٥]

وقال المبرِّد: هو من قولك: حَسَمْتُ الشيء: إذا قطعتَه وفصلتَه عن غيره. وقيل: الحَسْم: الاستئصال. ويقال للسيف: حُسام؛ لأنه يَحْسِم العدوَّ عما يريده مِن بلوغ عداوته. وقال الشاعر:

حُـسـامٍ إذا مـا قـمـتُ مُـعْـتَـضِـدًا بـه كَفى العَودَ منه البَدْءُ ليس بمِعْضَدِ[٦]

والمعنى أنها حسمتهم، أي: قَطَعَتهم وأذهبتهم. فهي القاطعةُ بعذاب الاستئصال.

قال ابن زيد: حسمتهم فلم تُبْقِ منهم أحداً[٧]. وعنه أنها حَسَمت الليالِيَ والأيام حتى استوفتها[٨]؛ لأنها بدأت طلوعَ الشمس من أوَّل يومٍ، وانقطعت غروبَ الشمس من آخِر يوم.

وقال اللَّيث: الحُسوم: الشؤم. ويقال: هذه ليالي الحُسوم، أي: تَحْسِم الخيرَ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٧.

(٢) أخرج قولهم الطبري ٢٣/ ٢١٢ - ٢١٣.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ١٨٠.

(٤) البين: الوصل، وهو من الأضداد. الصحاح (بين).

(٥) الكشاف ٤/ ١٥٠.

(٦) البيت لطرفة، وهو في ديوانه ص ٣٧، وروايته: منتصراً به. بدل: معتضداً به. وقبله:

فـآلـيـتُ لا يـنـفـك كَـشْـحـي بـطـانـةً لِـعـضـبٍ رقـيـق الـشـفـرتـيـن مـهـنـد

والمِعْضَد: سيف يمتهن في قطع الشجر. القاموس (عضد).

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢١٤.

(٨) في (خ) و(م): استوعبتها، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ٧٧، ونسبه للضحاك. وينظر زاد المسير ٨/ ٣٤٦.

عن أهلها(١)، وقاله في الصحاح(٢). وقال عكرمة والربيع بنُ أنس: مشائيم(٣)، دليلُه قوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت:١٦]. عطية العَوْفي: «حُسُومًا» أي: حَسَمت الخير عن أهلها(٤).

واختُلف في أوّلها، فقيل: غداة يوم الأحد، قاله السُّدِّي. وقيل: غداة يوم الجمعة، قاله الربيع بن أنس. وقيل: غداة يوم الأربعاء، قاله يحيى بن سلام(٥) ووهب بنُ مُنَبِّه. قال وهب: وهذه الأيام هي التي تسمِّيها العرب أيامَ العجوز، ذاتُ بردٍ وريحٍ شديدة، وكان أوَّلُها يومَ الأربعاء وآخِرُها يومَ الأربعاء؛ ونُسبت إلى العجوز، لأن عجوزًا من عادٍ دخلت سَرَبًا، فتبعتها الريحُ فقتلتها في اليوم الثامن. وقيل: سُمِّيت أيامَ العجوز لأنها وقعت في عَجُز الشتاء(٦). وهي في آذار من أشهر السُّرْيانيِّين. ولها أسامٍ مشهورةٌ، وفيها يقول الشاعر ـ وهو ابن أحمر(٧) ـ:

كُسِعَ الشتاءُ بسبعةٍ غُبْرِ ... أيامِ شَهْلَتِنا من الشَّهْرِ
فإذا انقضت أيامُها ومضت ... صِنٌّ وصِنَّبْرٌ مع الوَبْرِ
وبآمرٍ وأخيه مُؤْتَمِرٍ ... ومُعَلِّلٍ وبمُطْفِئِ الجَمْرِ
ذهب الشتاء مُوَلِّياً عَجِلًا ... وأتتك واقدةٌ من النَّجْرِ(٨)

---

(١) تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٤.

(٢) مادة (حسم).

(٣) النكت والعيون ٦/ ٧٧، وقول عكرمة أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٣١٢.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٦.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٧.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٦.

(٧) قوله: وهو ابن أحمر ليس في (د) وهو الصواب، فقد نقل صاحب اللسان (عجز) عن ابن بري أنها ليست لابن أحمر، وينظر التعليق التالي.

(٨) نسبت الأبيات في معجم الشعراء ص ١٢٣ لأبي شبل عُصْم بن وهب التميمي البرجمي، وفي اللسان (كسع) لأبي شبل الأعرابي. وفي معجم الأدباء ١١/ ٥٧ لخِرْقة بن نُبَاتة. وهي في الأزمنة والأمكنة =

و«حُسُومًا» نصب على الحال. وقيل: على المصدر. قال الزَّجاج: أي: تَحْسِمهم حسومًا، أي: تُفْنيهم[١]، وهو مصدرٌ مؤكّد. ويجوز أن يكونَ مفعولاً له، أي: سَخَّرها عليهم هذه المدَّةَ للاستئصال، أي: لقطعهم واستئصالهم. ويجوز أن يكون جمعَ حاسم. وقرأ السُّدِّي: «حَسُومًا» بالفتح، حالًا من الريح، أي: سخَّرها عليهم مستأصِلةً[٢].

قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾ أي: في تلك الليالي والأيام. ﴿صَرْعَىٰ﴾ جمع صَرِيع؛ يعني موتى. وقيل: «فيها» أي: في الريح. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾ أي: أصول. ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ أي: بالية؛ قاله أبو الطفيل[٣]. وقيل: خالية الأجوافِ لا شيء فيها. والنخلُ يذكَّر ويؤنَّث[٤]. وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] فيحتمل أنهم شُبِّهوا بالنخل التي صُرعت من أصلها، وهو إخبارٌ عن عِظَم أجسامهم. ويحتمل أن يكونَ المرادُ به الأصولَ دون الجذوع، أي: إنَّ الريح قد قطعتهم حتى صاروا كأصول النخلِ خاويةً. أي: الريحُ كانت تدخل أجوافَهم فتصرعُهم كالنخلة الخاويةِ الجوف. وقال ابن شجرة: كانت الريح تدخل في أفواههم فتُخرج ما في أجوافهم من الحَشْوِ من أدبارهم، فصاروا كالنخلِ الخاوية. وقال يحيى ابن سلام: إنما قال: «خاوية»؛ لأن أبدانهم خَوَتْ من أرواحهم مِثلَ النخل الخاوية[٥]. ويحتمل أن يكونَ المعنى: كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية عن أصولها من البقاع؛ كما قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾ [النمل: ٥٢] أي: خَرِبةً لا سُكَّان

= ١/ ٢٧١، وثمار القلوب للثعالبي ص ٣١٤ دون نسبة. قوله: كسع الشتاء: الكسع شدة المَرّ، يقال: كسعه بكذا وكذا: إذا جعله تابعاً له ومُذْهَباً به. والشهلة: العجوز. والنجر: الحر. اللسان (كسع) (شهل) (نجر).

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٤.

(٢) الكشاف ٤/ ١٥٠.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٧٨. والقول الآتي نسبه لابن كامل.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٤.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٨.

فيها. ويحتمل الخاوية بمعنى البالية كما ذكرنا؛ لأنها إذا بَلِيت خلت أجوافها. فشُبِّهوا بعد أن هَلكوا بالنخل الخاوية.

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾

أي: مِن فِرْقة باقيةٍ أو نَفْس باقية. وقيل: مِن بقيَّة. وقيل: مِن بقاء. فاعلة بمعنى المصدر؛ نحوُ العاقبة والعافية. ويجوز أن يكونَ اسمًا، أي: هل تجد لهم أحدًا باقياً؟ وقال ابنُ جريج: كانوا سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام أحياءً في عذاب الله من الريح، فلمَّا أمسَوا في اليوم الثامن ماتوا، فاحتملتهم الريحُ فألقتهم في البحر، فذلك قولُه عزَّ وجلَّ: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾، وقولُه عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ قرأ أبو عمروٍ والكِسائي: «وَمَن قِبَلَه» بكسر القاف وفتح الباء[١]؛ أي: ومَن معه وتَبِعَه من جنوده. واختاره أبو عبيد[٢] وأبو حاتم اعتبارًا بقراءة عبدِ الله وأُبي: «ومَن مَعَهُ»[٣]. وقرأ أبو موسى الأشعريّ: «ومَن تلقاءه»[٤]. الباقون: «قَبْلَه» بفتح القاف وسكون الباء، أي: ومَن تقدَّمه من القرون الخالية والأممِ الماضية.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ أي: أهل قرى لوط[٥]. وقراءة العامة بالألف. وقرأ الحسن والجَحْدَريّ: «والمُؤْتَفِكَة» على التوحيد[٦]. قال قتادة: إنما سُمِّيت قُرَى قومِ لوطٍ

---

(١) السبعة ص ٦٤٨، والتيسير ص ٢١٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠.

(٣) الكشاف ٤/ ١٥٠. ونسبها في القراءات الشاذة ص ١٦١ لأبي موسى وأُبي.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٦١، ونسبها أيضاً لأُبي.

(٥) أخرج هذا القول الطبري ٢٣/ ٢١٦ - ٢١٧ عن قتادة وابن زيد.

(٦) قراءة الحسن في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٨.

«مؤتفكات»؛ لأنها ائتفكت بهم، أي: انقلبت[١]. وذكر الطبريُّ[٢] عن محمد بن كعب القُرَظيِّ قال: خمسُ قَرْيات: صبعة[٣]، وصعرة[٤]، وعمرة، ودوما، وسدوم؛ وهي القرية العظمى.

﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالفَعلة الخاطئة، وهي المعصية والكفر. وقال مجاهد: بالخطايا التي كانوا يفعلونها[٥]. وقال الجُرجانيّ: أي: بالخطأ العظيم، فالخاطئةُ مصدر.

قوله تعالى: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ قال الكلبيّ: هو موسى. وقيل: هو لوط[٦]؛ لأنه أقرب. وقيل: عَنى موسى ولوطاً عليهما السلام[٧]؛ كما قال تعالى: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦]. وقيل: «رسول» بمعنى رسالة. وقد يعبَّر عن الرسالة بالرسول؛ قال الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بُحت عندهم ... بِسِرٍّ ولا أرسلتُهم برسولِ[٨]

﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ أي: عالية زائدة على الأخَذَات وعلى عذاب الأمم. ومنه الرِّبَا: إذا أَخذ في الذهب والفضة أكثرَ مما أعطى. يقال: ربا الشيءُ يربو، أي: زاد وتضاعف. وقال مجاهد: شديدة[٩]. كأنه أراد: زائدةً في الشدَّة.

---

(١) ذكر قوله بنحوه الطبرسي في مجمع البيان ٢٩/ ٤٠ .

(٢) في تاريخه ١/ ٣٠٦-٣٠٧، ونقله عنه المصنف بواسطة التعريف والإعلام للسهيلي ص ١٧٥ .

(٣) في النسخ الخطية : صنعة . والمثبت من (م).

(٤) في (خ) : ضعرة ، وفي (د) و(ز) و(ظ) و(ق) : صعدة، والمثبت من (م)، وسلف الكلام عليها ١١/ ١٨٥ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢١٧ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٨ .

(٧) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٤٤ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٦ .

(٨) النكت والعيون ٦/ ٧٩ . والبيت لكثير عزة ، وهو في ديوانه ص ٢٧٨ ، والشطر الثاني فيه:

بليلى ولا أرسلتهم برسيل

(٩) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢١٨ .

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي: ارتفع وعلَا. وقال عليٌّ ﷺ: طغى على خُزَّانه من الملائكة غضبًا لربِّه، فلم يقدروا على حبسه. قال قتادة: زاد على كل شيءٍ خمسةَ عشرَ ذِراعًا[1]. وقال ابن عباس: طغى الماء زمنَ نوحٍ على خُزَّانه فكثر عليهم، فلم يَدْرُوا كم خرج. وليس من الماء قطرةٌ تنزل قبله ولا بعده إلَّا بكيل معلوم، غيرَ ذلك اليوم. وقد مضى هذا مرفوعًا أوَّلَ السورة.

والمقصود من قصص هذه الأممِ وذِكْرِ ما حلَّ بهم من العذاب زَجْرُ هذه الأمةِ عن الاقتداء بهم في معصية الرسول. ثم مَنَّ عليهم بأنْ جعلهم ذُرِّيَّةَ مَن نجا من الغرق بقوله: «حَمَلْنَاكُمْ». أي: حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم.

﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ أي: في السفن الجارية. والمحمولُ في الجارية نوحٌ وأولاده، وكلُّ مَن على وجه الأرض مِن نسل أولئك.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ يعني سفينة نوح عليه الصلاة والسلام. جعلها الله تذكرةً وعِظَةً لهذه الأمة حتى أدركها أوائلُهم؛ في قول قتادة. قال ابن جريج: كانت ألواحها على الجُودِيّ[2]. والمعنى: أبقيتُ لكم تلك الخشباتِ حتى تذكرُوا ما حلَّ بقوم نوح، وإنجاءَ الله آباءكم؛ وكم من سفينة هلكت وصارت ترابًا ولم يبقَ منها شيء. وقيل: لِنجعلَ تلك الفَعلةَ من إغراق قوم نوح وإنجاءِ مَن آمن معه موعظةً لكم؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ أي: تحفظها وتسمعها أُذُنٌ حافظةٌ لمَا جاء من عند الله. والسفينة لا توصف بهذا.

قال الزجاج: ويقال: وَعَيْتُ كذا، أي: حَفِظتُه في نفسي، أَعِيه وَعْياً، ووعَيْتُ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٧٩. وأخرج الطبري القولين ٢٣/ ٢١٠ - ٢١١، ٢١٩.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٨٠. وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٢١.

العلم، ووعَيْتُ ما قلت؛ كلُّه بمعنًى. وأَوعيتُ المتاعَ في الوِعاء. قال الزجاج[١]: يقال لكل ما حَفِظتَه في غير نفسك: «أَوعيتُه» بالألف، ولِمَا حفِظته في نفسك: «وعيتُه» بغير ألف.

وقرأ طلحة وحُميد والأعرج: «وتَعْيَها» بإسكان العين[٢]؛ تشبيهاً بقوله: «أَرْنَا»[٣]. واختُلف فيها عن عاصم وابن كثير. الباقون بكسر العين[٤].

ونظيرُ قولِه تعالى: «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» قولُه تعالى[٥]: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]. وقال قتادة: الأذن الواعية أُذُنٌ عَقَلت عن الله تعالى، وانتفعت بما سمعت من كتاب اللهِ عزَّ وجلَّ[٦].

وروى مكحولٌ أنَّ النبيَّ ﷺ قال عند نزول هذه الآية: «سألت رَبِّي أن يجعلهَا أُذُنَ عليٍّ». قال مكحول: فكان عليٌّ ﵁ يقول: ما سمعتُ من رسول الله ﷺ شيئًا قطُّ فنسيته، إلَّا وحفظته. ذكره الماورديّ[٧]. وعن الحسن نحوُه، ذكره الثعلبي قال: لمَّا نزلت «وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ»، قال النبيُّ ﷺ: «سألت رَبِّي أن يجعلها أُذُنَك يا عليّ» قال عليّ: فواللهِ ما نسيتُ شيئًا بعدُ، وما كان لي أن أَنسى.

وقال بُريدة[٨] الأسْلَميّ: قال النبيُّ ﷺ لعليّ: «يا عليّ، إنَّ الله أمرني أن أُدْنِيَكَ ولا أُقصِيَك، وأن أُعلِّمَك، وأن تَعيَ، وحقٌّ على الله أن تَعي»[٩].

---

(١) في معاني القرآن ٥/ ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢) قراءة طلحة في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢١ .

(٣) سلفت هذه القراءة ٢/ ٣٩٨ .

(٤) روى الحلواني عن ابن كثير وأبو ربيعة عن قنبل: «وتَعْيَها» بإسكان العين. السبعة ص ٦٤٨ . وقال في التيسير ص ٢١٣ : وجاء عن ابن كثير وعاصم وحمزة في ذلك ما لا يصح .

(٥) عبارة: قوله تعالى من (ظ) .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٢٣ .

(٧) في النكت والعيون ٦/ ٨٠ . وأخرجه الطبري ٢٣/ ٢٢٢ - ٢٢٣ ، وهو مرسل .

(٨) في (د) و(ظ) : أبو بردة ، وفي باقي النسخ : أبو برزة ، وكلاهما خطأ .

(٩) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٢٣ ، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٦٩ - ٣٣٧٠ (١٨٩٦٢) ، والواحدي في أسباب النزول ص٤٧٣ . وأورده ابن كثير في تفسيره ٨/ ٢١١ وقال: لا يصح .

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾

قال ابن عباس: هي النفخة الأولى لقيام الساعة[1]، فلم يبقَ أحدٌ إلَّا مات. وجاز تذكيرُ «نُفِخَ» لأن تأنيث النفخة غيرُ حقيقي. وقيل: إنَّ هذه النفخةَ هي الأخيرة[2]. وقال: «نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ» أي: لا تُثنَّى.

قال الأخفش: ووقع الفعل على النفخة إذ لم يكن قبلها اسمٌ مرفوع، فقيل: نفخة. ويجوز «نفخةً» نصبًا على المصدر. وبها قرأ أبو السَّمَّال[3]. أو يقال: اقتصر على الإخبار عن الفعل، كما تقول: ضُرب ضربًا. وقال الزجَّاج[4]: «في الصُّورِ» يقوم مَقامَ ما لم يُسمَّ فاعلُه.

قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ قراءة العامة بتخفيف الميم، أي: رُفعت من أماكنها.

﴿فَدُكَّتَا﴾ أي: فُتَّتا وكُسِرتا. ﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ لا يجوز في «دكَّة» إلَّا النصب، لارتفاع الضمير في «دُكَّتَا». وقال الفراء[5]: لم يقل: فَدُكِكْن؛ لأنه جَعَلَ الجبال كلَّها كالجملة الواحدة، والأرضَ كالجملة الواحدة[6]. ومثلُه: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠] ولم يقل: كُنَّ. وهذا الدكُّ كالزلزلة؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]. وقيل: «دُكَّتَا» أي: بُسِطتَا بسطةً واحدة، ومنه: اندكَّ سَنام

---

(١) نسبة لابن عباس الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٥١، ونسبه الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٤٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٤٨ لعطاء.

(٢) هو قول الكلبي ومقاتل كما في الوسيط ٤/ ٣٤٥، وزاد المسير ٨/ ٣٤٨.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٦١.

(٤) في معاني القرآن ٥/ ٢١٦.

(٥) في معاني القرآن ٣/ ١٨١.

(٦) قوله: والأرض كالجملة الواحدة، ليس من كلام الفراء، وغير موجود في (ظ).

البعير: إذا انفرش في ظهره. وقد مضى في سورة الأعراف القولُ فيه(١).

وقرأ عبد الحميد عن ابن عامر: «وَحُمِّلَت الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ» بالتشديد على إسناد الفعل إلى المفعول الثاني. كأنه في الأصل: وَحَمَّلْتُ قُدْرَتَنا أو مَلَكًا من ملائكتنا الأرضَ والجبال؛ ثم أُسنِد الفعل إلى المفعول الثاني فَبُنِيَ له. وَلَوْ جِيء بالمفعول الأول لأسند الفعل إليه؛ فكأنه قال: وَحُمِّلت قُدْرَتُنَا الأرضَ. وقد يجوز بناؤه للثاني على وجه القلب، فيقال: حُمِّلت الأرضُ المَلَك؛ كقولك: أُلْبِس زيدٌ الجُبَّةَ، وأُلْبِست الجبةُ زيدًا(٢).

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة. ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: انصدعتْ وتفطَّرت. وقيل: تنشقُّ لنزول ما فيها من الملائكة؛ دليلُه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] وقد تقدَّم(٣).

﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ أي: ضعيفة. يقال: وَهَى البناء يَهِي وَهْيًا فهو واهٍ: إذا ضَعُف جدًّا. ويقال: كلامٌ وَاهٍ، أي: ضعيف. فقيل: إنها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف في الوَهْي، ويكون ذلك لنزول الملائكة كما ذكرنا. وقيل: لهول يوم القيامة. وقيل: «وَاهِيَةٌ» أي: متخرِّقة؛ قاله ابن شجرة. مأخوذٌ من قولهم: وَهَى السِّقاء: إذا تخرَّق. ومن أمثالهم:

خَلِّ سَبِيلَ مَن وَهَى سِقَاؤُهُ ومَن هُرِيقَ بالفَلاة ماؤُهُ

أي: مَن كان ضعيفَ العقل لا يحفظ نفسه(٤).

---

(١) ٩/ ٣٢٤ - ٣٢٥.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٢٨ بنحوه.

(٣) ١٥/ ٣٩٩.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٨١، وكلام ابن شجرة فيه. والرجز في الصحاح (وهى)، وجمهرة الأمثال ١/ ٤١٤، والمستقصى في أمثال العرب ٢/ ٧٦.

﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ يعني الملائكة؛ اسمٌ للجنس. ﴿عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَآۚ﴾ أي: على أطرافها حين تنشقّ؛ لأن السماء مكانُهم؛ عن ابن عباس. الماورديّ(١): ولعله قولُ مجاهدٍ وقتادة. وحكاه الثعلبيُّ عن الضحَّاك، قال: على أطرافها ممَّا لم ينشقَّ منها(٢). يريد أنَّ السماء مكانُ الملائكة، فإذا انشقَّت صاروا في أطرافها.

وقال سعيد بن جُبَير: المعنى: والمَلَكُ على حافَّات الدنيا، أي: يَنزلون إلى الأرض ويحرُسون أطرافها. وقيل: إذا صارت السماء قِطَعًا؛ تقف الملائكةُ على تلك القطعِ التي ليست مُتَشقِّقة في أنفسها. وقيل: إنَّ الناس إذا رأوا جهنمَ هالتهم؛ فَيَنِدُّوا كما تَنِدُّ الإبل، فلا يأتون قُطْرًا من أقطار الأرض إلَّا رأوا ملائكة، فيرجعون من حيث جاؤوا.

وقيل: «على أَرْجَائِهَا» ينتظرون ما يؤمرون به في أهل النارِ من السَّوق إليها، وفي أهل الجنة من التَّحيَّة والكرامة.

وهذا كلُّه راجعٌ إلى معنى قولِ ابنِ جُبَير. ويَدُلُّ عليه: ﴿وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] وقولُه تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الرحمن: ٣٣] على ما بيَّنَّاه هناك.

والأرجاء: النواحي والأقطارُ؛ بلغة هذيل، واحدها: رَجاً، مقصور، وتثنيته: رَجَوان؛ مِثل عَصاً وعَصَوان. قال الشاعر:

فلا يُرْمَى بِيَ الرَّجَوَانِ إنِّي أقلُّ القومِ مَن يُغْنِي مكاني(٣)

ويقال ذلك لحرف البئرِ والقبر.

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ٨١.

(٢) أخرج أقوالهم الطبري ٢٣/ ٢٢٦، دون قوله: لأن السماء مكانهم.

(٣) أدب الكاتب ص٢٥٧، ومجمع الأمثال ١/ ٢١٣، وشرح المفصل لابن يعيش ٤/ ١٤٧، واللسان (رجو) دون نسبة. وفي الاقتضاب للبطليوسي ص ٣٦٦ أنه لعبد الرحمن بن الحكم من شعر يقوله في أخيه مروان.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ﴾ قال ابن عباس: ثمانية صفوفٍ من الملائكة لا يعلم عددَهم إلَّا الله. وقال ابن زيد: هم ثمانية أملاك[١]. وعن الحسن: الله أعلم كم هم، ثمانيةٌ أم ثمانيةُ آلاف[٢]. وعن النبيِّ ﷺ «أنَّ حملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يومُ القيامة، أيَّدهم اللهُ تعالى بأربعةٍ آخرين، فكانوا ثمانية». ذكره الثعلبيّ[٣]. وخرَّجه الماورديُّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يحمله اليومَ أربعة، وهم يومَ القيامة ثمانية»[٤].

وقال العباس بن عبد المطلب[٥]: هم ثمانيةُ أملاكٍ على صورة الأوعال[٦]. ورواه عن النبيِّ ﷺ[٧]. وفي الحديث: «إنَّ لكلِّ مَلَكٍ منهم أربعةَ أوجه: وجه رجل، ووجه أسد، ووجه ثَوْر، ووجه نَسْر. وكلُّ وجهٍ منها يسأل اللهَ الرزقَ لذلك الجنس»[٨]. ولما أُنشد بين يدَي النبيِّ ﷺ قولُ أميَّة بنِ أبي الصَّلْت:

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحت رِجلِ يمينهِ ... والنَّسرُ للأُخرى ولَيثٌ مُرْصَدُ
والشمس تطلعُ كلَّ آخِرِ ليلةٍ ... حمراءَ يصبح لونُها يَتورَّدُ

---

(١) أخرجهما الطبري ٢٣/ ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) الكشاف ٤/ ١٥٢ .

(٣) وأخرجه الطبري ٢٣/ ٢٢٩ عن ابن إسحاق قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: ... ثم ذكره ؛ وهو مرسل.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٨٢ دون سند .

(٥) في النسخ : عبد الملك ، وهو خطأ .

(٦) خبر ضعيف أخرجه أبو يعلى (٦٧١٢) ، والحاكم ٢/ ٥٠٠ من طريق شريك بن عبد الله ، عن سماك ابن حرب ، عن عبد الله بن عميرة ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس ﷺ . وشريك صدوق يخطئ كثيراً ، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة ، وسماك تغيّر بأخَرَة، كما في تقريب التهذيب . وعبد الله ابن عميرة مجهول، وقال فيه البخاري في التاريخ الكبير ٥/ ١٥٩ : لا نعلم له سماعاً من الأحنف .

(٧) سيذكره المصنف قريباً ، وهو ضعيف .

(٨) لم نقف عليه مرفوعاً . وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣١٤ عن وهب بن منبه والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٢٩٥ عن أبي مالك مطولاً . وليس فيهما : وكل وجه منها يسأل ... إلخ. قال أبو حيان في البحر ٨/ ٣٢٤: ذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالاً متكاذبة؛ ضربنا عن ذكرها صفحاً.

ليست بطالعة لهم في رِسْلِها[١]   إلَّا مُعذَّبةً وإلَّا تُجلَدُ

قال النبيُّ ﷺ: «صَدَق»[٢].

وفي الخبر: «أنَّ فوق السماء السابعةِ ثمانيةَ أوعال، بين أظلافهنَّ ورُكَبهنَّ مثْلُ ما بين سماءٍ إلى سماء، وفوق ظُهورهنَّ العرشُ». ذكره القشيريّ، وخرَّجه الترمذيُّ[٣] من حديث العباس بنِ عبد المطلب. وقد مضى في سورة البقرةِ بكماله[٤]. وذكر نحوَه الثعلبيُّ ولَفْظَه.

وفي حديثٍ مرفوع: «أنَّ حملة العرش ثمانيةُ أملاكٍ على صورة الأوعال، ما بين أظلافِها إلى رُكَبها مسيرةُ سبعين عاماً للطائر المسرع».

وفي تفسير الكلبيّ: ثمانيةُ أجزاءٍ من تسعةِ أجزاءٍ من الملائكة. وعنه: ثمانيةُ أجزاءٍ من عشْرة أجزاءٍ من الملائكة. ثم ذكر عِدَّة الملائكة بما يطول ذِكْرُه. حكى الأوَّلَ عنه الثعلبيُّ والثانيَ القشيريّ. وقال الماورديُّ عن ابن عباس: ثمانيةُ أجزاءٍ من تسعة، وهم الكَرُوبِيُّون[٥]. والمعنى ينزل بالعرش[٦].

ثم إضافةُ العرش إلى الله تعالى كإضافة البيت، وليس البيتُ للسُّكنى، فكذلك العرش. ومعنى: «فَوْقَهُمْ»، أي: فوقَ رؤوسِهم[٧]. قال السُّدِّي: العرش تَحمِله

---

(١) في المصادر: تأبى فلا تبدو لنا في رسلها. والرِّسْل: التُّؤَدة.

(٢) أخرجه أحمد (٢٣١٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف، فيه محمد بن إسحاق، ولم يصرح بالتحديث. وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: ولو ثبت تصريح ابن إسحاق؛ فلا يعتدُّ به في مثل هذا المطلب. اهـ. والأبيات في الديوان ص٥٠.

(٣) برقم (٣٣٢٠) وهو ضعيف، إسناده بنحو إسناد حديث العباس السالف عنه موقوفاً.

(٤) ١/ ٣٨٨ - ٣٨٩ وليس فيه ذكر لحملة العرش.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٨٢. وأخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش ص ٦٥ - ٦٦ بنحوه. والكروبيون: الملائكة المقربون. النهاية (كرب).

(٦) ينظر ما سلف ١٥/ ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٧) أي: رؤوس الحملة كما في النكت والعيون ٦/ ٨٢، والوسيط للواحدي ٤/ ٣٤٥، وتفسير البغوي ٤/ ٦٨٧، وزاد المسير ٨/ ٣٥٠، ونسبه لمقاتل.

الملائكةُ الحَمَلَةُ فوقهم، ولا يَحمِلُ حَمَلَة العرشِ إلَّا الله. وقيل: «فَوْقَهُمْ» أي: إنَّ حملة العرش فوق الملائكةِ الذين في السماء على أرجائها. وقيل: «فَوْقَهُمْ» أي: فوق أهلِ القيامة[1].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ أي: على الله؛ دليلُه: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف:٤٨]، وليس ذلك عرضًا يَعلَمُ به ما لم يكن عالمًا به، بل معناه الحسابُ وتقريرُ الأعمال عليهم للمجازاة. وروى الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعْرَض الناسُ يومَ القيامة ثلاثَ عَرَضات: فأمَّا عَرْضتان، فجدالٌ ومعاذير، وأما الثالثة، فعند ذلك تطير الصُّحُف في الأيدي، فآخِذٌ بيمينه وآخِذٌ بِشِماله». خرَّجه الترمذيُّ وقال: ولا يَصحُّ مِن قِبَلِ أنَّ الحسن لم يسمع من أبي هريرة[2].

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أي: هو عالمٌ بكل شيءٍ من أعمالكم. فـ «خَافِيَةٌ» على هذا بمعنى خَفِيَّة، كانوا يُخفونها من أعمالهم؛ قاله ابن شجرة[3]. وقيل: لا يخفى عليه إنسان، أي: لا يبقى إنسانٌ لا يُحاسَب. وقال عبد الله بن عمرو بنِ العاص: لا يخفى المؤمنُ من الكافر ولا البَرُّ من الفاجر. وقيل: لا تَستَتِر منكم عَورةٌ؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «يُحْشَر الناسُ حُفاةً عُراةً»[4].

وقرأ الكوفيون إلَّا عاصمًا: «لَا يَخْفَى» بالياء؛ لأن تأنيث الخافيةِ غيرُ حقيقي؛

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٨٢.

(٢) سنن الترمذي (٢٤٢٥). وقال أيضاً: وقد رواه بعضهم عن علي الرفاعي عن الحسن، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ. قال أبو عيسى: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى. اهـ. وهذه الرواية التي أشار إليها عند أحمد (١٩٧١٥)، وابن ماجه (٤٢٧٧).

وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٩٥ زيادات نعيم) موقوفاً على أبي موسى ﷺ. قال الدارقطني في العلل ٧/ ٢٥١: والموقوف هو الصحيح.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٨٢.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٨٢، وفيه كلام ابن عمرو رضي الله عنهما. وسلف الحديث ٤/ ١٢ - ١٣.

نحوُ قولِه تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود:٦٧] واختاره أبو عبيد؛ لأنه قد حال بين الفعلِ وبين الاسم المؤنَّثِ الجارُّ والمجرور. الباقون بالتاء[١]. واختاره أبو حاتم لتأنيث الخافية.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ إعطاءُ الكتاب باليمين دليلٌ على النجاة[٢]. وقال ابن عباس: أوَّلُ مَن يُعطَى كتابَه بيمينه من هذه الأمةِ عمر بنُ الخطاب، وله شعاعٌ كشعاع الشمس. قيل له: فأين أبو بكر؟ فقال: هيهات هيهات!! زَفَّته الملائكةُ إلى الجنة. ذكره الثعلبي. وقد ذكرناه مرفوعًا من حديث زيد بنِ ثابتٍ بلفظه ومعناه في كتاب «التذكرة». والحمد لله[٣].

﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ أي: يقول ذلك ثقةً بالإسلام وسرورًا بنجاته؛ لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرح، والشِّمال من دلائل الغَمّ. قال الشاعر:

---

(١) السبعة ص ٦٤٨، والتيسير ص ٢١٣. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٢.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٨٣.

(٣) لم نقف عليه في التذكرة، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٣٠/ ١٥٤ من طريق عاصم الأحول، عن زيد ابن ثابت ﷺ مرفوعاً. ولم يُذكر لعاصم الأحول رواية عن زيد.
ثم إن في إسناده إسحاق بن إبراهيم بن سُنين الخُتَّلي، وهو ضعيف، وعمر بن إبراهيم بن خالد الكردي؛ قال الدارقطني: كذاب. الميزان ١/ ١٨٠، و٣/ ١٧٩-١٨٠. وفيه أيضاً: مرحوم بن أرطان، ولم نعرفه.

أَبِيني أفي يُمْنَى يَدَيكِ جعلتِني فأفرحَ أم صيَّرتِني في شمالكِ[١]

ومعنى «هَاؤُمُ»: تعالَوا؛ قاله ابن زيد[٢]. وقال مقاتل: هَلُمَّ. وقيل: أي: خذوا؛ ومنه الخبر في الرِّبا: «إلا هَاءَ وهَاءَ»[٣] أي: يقول كلُّ واحدٍ لصاحبه: خذ. قال ابن السِّكِّيت والكِسائي: العرب تقول: هاءَ يا رجلُ اقرأ، وللاثنين: هاؤما يا رجلان، وهاؤم يا رجال، وللمرأة هاءِ ـ بكسر الهمزة ـ وهاؤما وهاؤُنَّ[٤]. والأصل: هاكُم، فأُبدلت الهمزةُ من الكاف؛ قاله القُتَبي[٥].

وقيل: إنَّ «هاؤم» كلمةٌ وضعت لإجابة الداعي عند النشاطِ والفرح. روي أنَّ رسول الله ﷺ ناده أعرابيٌّ بصوت عالٍ، فأجابه النبيُّ ﷺ: «هاؤم»؛ يطوِّل صوته[٦].

«وَكِتَابِيَهْ» منصوب بـ«هاؤم» عند الكوفيين. وعند البصريين بـ«اقرؤوا»؛ لأنه أقربُ العاملَيْن[٧]. والأصل: «كتابي»، فأُدخلت الهاءُ لِتَبينَ فَتحةُ الياء، وكانت الهاء للوقف، وكذلك في أخواته: «حِسَابِيَهْ» و«ماليه» و«سلطانيه» وفي القارعة: «ماهيه».

وقراءة العامة بالهاء فيهنَّ في الوقف والوصل معًا؛ لأنهنَّ وقعن في المصحف بالهاء، فلا تترك. واختار أبو عبيد أن يُتعمَّدَ الوقفُ عليها ليوافِقَ اللغةَ في إلحاق الهاء في السَّكْت ويوافقَ الخَطّ. وقرأ ابن مُحَيْصن ومجاهدٌ وحميدٌ ويعقوب بحذف الهاء في

(١) النكت والعيون ٦/ ٨٣ . والبيت لعبد الله بن دُمَيْنة ، وهو في دلائل الإعجاز ص٩٠ ، ودرة الغوّاص ص٦٢ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٣١ .

(٣) أخرجه أحمد (١٦٢) ، والبخاري (٢١٣٤) ، ومسلم (١٥٨٦) من حديث عمر ﷺ .

(٤) في (م) : هاؤمن . وكلام ابن السكيت في الوسيط ٤/ ٣٤٦ ، وكلام الكسائي في النكت والعيون ٦/ ٨٣ . وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٧ .

(٥) في تفسير غريب القرآن ص ٤٨٤ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٨٣ . والحديث أخرجه أحمد (١٨٠٩٥)، والترمذي (٣٥٣٥) ، والنسائي في الكبرى (١١١١٤) من حديث صفوان بن عسال ﷺ، ولفظه : هاءُ ، بدل : هاؤم .

(٧) الكشاف ٤/ ١٥٢ .

الوصل وإثباتِها في الوقف فيهنَّ أَجْمَع[١]. ووافقهم حمزة في «ماليه» و«سلطانيه»، و«ماهيه» في القارعة[٢]. وجملة هذه الحروفِ سبعة. واختار أبو حاتم قراءةَ يعقوبَ ومَن معه اتِّباعًا للُّغة[٣]. ومَن قرأهنَّ في الوصل بالهاء فهو على نيَّة الوقف.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ أي: أيقنت وعلمت، عن ابن عباسٍ وغيرِه[٤]. وقيل: أي: إني ظننت إنْ يؤاخذْني اللهُ بسيئاتي عذَّبني، فقد تفضَّل عليَّ بعفوه ولم يؤاخذني بها. قال الضحَّاك: كلُّ ظَنٍّ في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شكّ. وقال مجاهد: ظَنُّ الآخرة يقين، وظَنُّ الدنيا شكّ. وقال الحسن في هذه الآية: إنَّ المؤمن أَحسنَ الظنَّ بربِّه فأحسن العمل، وإنَّ المنافق أساء الظنَّ بربِّه فأساء العمل[٥]. ﴿أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي: في الآخرة ولم أُنكر البعث؛ يعني أنه ما نجا إلَّا بخوفه من يوم الحساب، لأنه تيقَّن أنَّ الله يحاسبه، فعَمِلَ للآخرة.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي: في عَيشٍ يرضاه لا مكروهَ فيه. وقال أبو عبيدة والفرَّاء[٦]: «رَاضِيَةٍ» أي: مرضية؛ كقولك: ماءٌ دافق، أي: مدفوق. وقيل: ذاتُ رِضًا، أي: يرضى بها صاحبُها[٧]. مثل: لابِن وتامِر؛ أي: صاحب اللبن والتمر.

وفي الصحيح عن النبيِّ ﷺ: «أنهم يعيشون فلا يموتون أبدًا، ويَصِحُّون فلا يَمْرَضون أبدًا، ويَنْعَمون فلا يَرْون بؤسًا أبدًا، ويَشِبُّون فلا يَهْرَمُون أبدًا»[٨].

---

(١) قراءة ابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ١٤٢، وهو من العشرة.

(٢) التيسير ص ٢١٤، ٢٢٥.

(٣) كلام أبي حاتم في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٨٣.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٨، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٢.

(٧) ذكر هذا المعنى النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٢، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٨٣ - ٨٤، وأخرجه بنحوه أحمد (٨٢٥٨)، ومسلم (٣٨٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: عظيمة في النفوس[١]. ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة التناول، يتناولها القائم والقاعد والمضطجِع، على ما يأتي بيانُه في سورة الإنسان[٢]. والقُطُوف جمع قِطف، بكسر القاف، وهو ما يُقطف من الثمار. والقَطْف، بالفتح: المصدر. والقِطَاف ـ بالفتح والكسر ـ وقت القطف.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ أي: يقال لهم ذلك. ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ لا تكديرَ فيه ولا تنغيص. ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾: قدَّمتم من الأعمال الصالحة. ﴿فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ أي: في الدنيا. وقال: «كُلُوا» بعد قوله: «فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ»؛ لقوله: «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ»، و«مَن» يتضمن معنى الجمع.

وذَكَرَ الضحَّاك أنَّ هذه الآيةَ نزلت في أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزوميّ؛ وقاله مقاتل[٣]. والآيةُ التي تليها في أخيه الأسودِ بنِ عبد الأسد؛ في قول ابنِ عباسٍ والضحاكِ أيضًا[٤]؛ قاله الثعلبيّ. ويكون هذا الرجلُ وأخوه سببَ نزول هذه الآيات. ويَعُمُّ المعنى جميعَ أهلِ الشقاوة وأهلِ السعادة؛ يدلُّ عليه قولُه تعالى: «كُلُوا وَاشْرَبُوا».

وقد قيل: إنَّ المراد بذلك كلُّ مَن كان متبوعًا في الخير والشرّ. فإذا كان الرجل رأسًا في الخير؛ يدعو إليه ويأمر به ويكثر تَبَعُه عليه، دُعي باسمه واسمِ أبيه فيتقدَّم، حتى إذا دنا؛ أُخرج له كتابٌ أبيضُ بخطٍّ أبيض، في باطنه السيئاتُ وفي ظاهره الحسنات؛ فيبدأ بالسيئات فيقرؤها، فيُشْفِق ويصفرُّ وجهه ويتغيَّر لونه؛ فإذا بلغ آخرَ الكتاب وجد فيه: «هذه سيئاتك وقد غفرت لك»، فيفرح عند ذلك فرحًا شديدًا، ثم يَقْلِب كتابَه فيقرأ حسناتِه، فلا يزداد إلا فرحاً؛ حتى إذا بلغ آخرَ الكتاب وجد فيه:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ص٤٧٢ من هذا الجزء.

(٣) كلام الضحاك في النكت والعيون ٦/ ٨٣، وكلام مقاتل في زاد المسير ٨/ ٣٥٢.

(٤) نسبه لابن عباس أبو الليث في تفسيره ٣/ ٣٩٩، وللضحاك الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٨٥.

«هذه حسناتك قد ضُوعفت لك»، فيبيضُّ وجهه، ويُؤْتى بتاج فيوضع على رأسه، ويُكسَى حُلَّتين، ويُحلَّى كلُّ مَفصِلٍ منه، ويطول سِتِّين ذراعاً، وهي قامة آدمَ عليه السلام؛ ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم وبشِّرهم أنَّ لكل إنسانٍ منهم مِثْلَ هذا. فإذا أدبر قال: «هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ». قال الله تعالى: «فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ» أي: مرضيَّة قد رضيها. «في جَنَّةٍ عَالِيَةٍ» في السماء. «قُطُوفُهَا»: ثمارها وعناقيدها. «دَانِيَةٌ»: أدنيت منهم. قال: فيقول لأصحابه: هل تعرفوني؟ فيقولون: قد غمَرتك كرامةُ الله، مَن أنت؟ فيقول: أنا فلان بنُ فلان، أُبشِّر كلَّ رجلٍ منكم بمثل هذا. «كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» أي: قدَّمتم في أيام الدنيا. وإذا كان الرجل رأسًا في الشرّ، يدعو إليه ويأمر به فيكثر تَبَعُه عليه، نودي باسمه واسمِ أبيه، فيتقدَّم إلى حسابه، فيُخرَج له كتابٌ أسودُ بخطٍّ أسود، في باطنه الحسناتُ وفي ظاهره السيئات، فيبدأ بالحسنات فيقرؤُها ويظنُّ أنه سينجو، فإذا بلغ آخرَ الكتاب وجد فيه: «هذه حسناتك وقد رُدَّت عليك» فيسودُّ وجهه ويعلوه الحزنُ ويَقْنَط من الخير، ثم يَقْلِب كتابه فيقرأ سيئاته، فلا يزداد إلا حزنًا، ولا يزداد وجهه إلّا سوادًا، فإذا بلغ آخرَ الكتاب وجد فيه: «هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك. أي: يضاعف عليه العذاب، ليس المعنى أنه يزاد عليه ما لم يعمل. قال: فيعظم للنار وتزرقُّ عيناه ويسودُّ وجهه، ويُكسَى سرابيلَ القَطِران ويقال له: انطلق إلى أصحابك وأخبرهم أنَّ لكل إنسانٍ منهم مثلَ هذا؛ فينطلق وهو يقول: «يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ، يَا لَيْتَهَا كانت الْقَاضِيَةَ» يتمنَّى الموت.

«هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ» تفسيرُ ابنِ عباس: هلكتْ عني حُجَّتي. وهو قول مجاهدٍ وعِكرمةَ والسُّدِّيِّ والضحاك. وقال ابن زيد: يعني: «سلطانيه» في الدنيا الذي هو المُلْك[1]. وكان هذا الرجلُ مطاعًا في أصحابه.

قال الله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ قيل: يبتدره مئةُ[2] ألفِ مَلَك، ثم تُجمع يدُه إلى

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٣/ ٢٣٦ - ٢٣٧ عدا قول السدي، وهو في النكت والعيون ٦/ ٨٥ .
(٢) لفظة : مئة ، ليست في (ظ) .

عنقه، وهو قوله عزَّ وجلَّ: «فَغُلُّوهُ» أي: شُدُّوه بالأغلال ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي: اجعلوه يَصْلَى الجحيم.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ الله أعلم بأيِّ ذراع، قاله الحسن(١). وقال ابن عباس: سبعون ذراعًا بذراع المَلَك. وقال نَوْف: كلُّ ذراعٍ سبعون باعًا، وكلُّ باع أبعدُ ما بينك وبين مكة. وكان في رحبة الكوفة(٢). وقال مقاتل: لو أنَّ حَلْقةً منها وُضعت على ذُرْوة جبل، لذاب كما يذوب الرَّصاص(٣). وقال كعب: إنَّ حَلْقة من السلسلة التي قال الله تعالى فيها: ذَرْعُها سبعون ذراعًا؛ إنَّ حلقة منها مِثْلُ جميعِ حديدِ الدنيا(٤).

﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ قال سفيان: بلغَنا أنها تدخل في دُبُره حتى تخرجَ من فيه(٥). وقاله مقاتل. والمعنى: ثم اسلُكوا فيه سِلسِلةً. وقيل: تُدخَلُ عنقُه فيها ثم يُجَرُّ بها. وجاء في الخبر: أنها تدخل مِن دُبُره وتخرج من مَنْخِرَيه(٦). وفي خبرٍ آخَر: تدخل مِن فيه وتخرج من دبره، فينادي أصحابَه: هل تعرفوني؟ فيقولون: لا، ولكن قد نرى ما بك من الخزي، فمن أنت؟ فينادي أصحابه: أنا فلان بنُ فلان، لكل إنسانٍ منكم مثلُ هذا.

قلت: وهذا التفسير أصحُّ ما قيل في هذه الآية، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]. وفي الباب حديثُ أبي هريرة بمعناه، خَرَّجه الترمذيّ(٧). وقد ذكرناه في سورة سبحان؛ فتأمَّله هناك(٨).

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٤٧، وتفسير البغوي ٣٨٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦١.
(٢) أخرجهما الطبري ٢٣/ ٢٣٧ - ٢٣٨.
(٣) نسبه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١ لابن عباس رضي الله عنهما.
(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٨٩ زوائد نعيم).
(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣١٥.
(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٣٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٧) في سننه (٣١٣٦).
(٨) ١٣/ ١٢٩.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ . وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: على الإطعام، كما يوضع العطاءُ موضِعَ الإعطاء. قال الشاعر[١]:

أَكُفْرًا بعد رَدِّ الموتِ عنِّي وبعد عطائك المئةَ الرِّتَاعا

أراد: بعد إعطائك. فبيَّن أنه عُذِّب على ترك الإطعام، وعلى الأمر بالبخل، كما عُذِّب بسبب الكفر. والحَضُّ: التحريض والحَثّ. وأصل «طعام» أن يكونَ منصوباً بالمصدر المقدَّر[٢]. والطعام عبارةٌ عن العين، وأضيف للمسكين؛ للملابسة التي بينهما. ومَن أعملَ الطعام كما يُعمِلُ الإطعام، فموضع «المسكين» نصب. والتقدير: على إطعام المطْعِمِ المسكينَ؛ فحُذف الفاعل، وأضيف المصدرُ إلى المفعول.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ خبرُ «ليس» قولُه: «له»، ولا يكون الخبرُ قولَه: «هَا هُنَا» لأن المعنى يصير: ليس ها هنا طعامٌ إلَّا من غِسْلِين، ولا يصِحُّ ذلك؛ لأن ثَمَّ طعامًا غيره. و«هَا هُنَا» متعلِّقٌ بما في «له» من معنى الفعل. والحميم ها هنا القريب. أي: ليس له قريبٌ يَرِقُّ له ويدفع عنه. وهو مأخوذٌ من الحمِيم، وهو الماءُ الحارّ؛ كأنه الصَّدِيقُ الذي يَرِقُّ ويحترق قلبُه له.

والغِسْلِين: فِعْلِين، مِن الغَسْل؛ فكأنه ينغسل من أبدانهم، وهو صَدِيدُ أهلِ النارِ السائلُ من جروحهم وفروجهم؛ عن ابن عباس[٣]. وقال الضحَّاك والربيع بن أنس: هو شجرٌ يأكله أهلُ النار[٤]. والغِسْل ـ بالكسر ـ: ما يُغسل به الرأسُ من خِطْمِيٍّ وغيره. الأخفش: ومنه الغِسلين، وهو ما انغسل من لحوم أهلِ النار ودمائهم. وزيد

---

(١) هو القطامي. وقد سلف البيت ٥/ ١٠٥.

(٢) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١: المراد به: ولا يحضُّ على إطعام طعام المسكين.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١.

فيه الياءُ والنونُ كما زيد في عِفرِّين[١]. وقال قتادة: هو شرُّ الطعام وأبشعُه. ابن زيد: لا يُعلم ما هو ولا الزَّقُّوم[٢]. وقال في موضعٍ آخرَ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:٦] يجوز أن يكونَ الضَّريعُ من الغِسْلين.وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخير؛ والمعنى: فليس له اليوم ها هنا حميمٌ إلَّا من غِسْلِين؛ ويكون الماءَ الحارّ .﴿وَلَا طَعَامٌ﴾ أي: وليس لهم طعامٌ ينتفعون به.

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ أي: المذنبون. وقال ابن عباس: يعني المشركين.

وقُرئ: «الخاطِيون» بإبدال الهمزة ياءً، و«الخاطُون» بطرحها. وعن ابن عباس: ما الخاطون! كلُّنا نخطو. وروَى عنه أبو الأسود الدُّؤَليّ: ما الخاطون؟ إنما هو الخاطئون. ما الصابون! إنما هو الصابئون. ويجوز أن يراد: الذين يتخطَّوْن الحقَّ إلى الباطل، ويتعدَّوْن حدودَ اللهِ عزَّ وجلّ[٣].

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ المعنى: أُقسم بالأشياء كلِّها، ما ترَون منها وما لا ترون[٤]. و«لا» صِلَة. وقيل: هو رَدٌّ لكلام سبق، أي: ليس الأمرُ كما يقوله المشركون. وقال مقاتل: سببُ ذلك أنَّ الوليد بنَ المغيرة قال: إنَّ محمدًا ساحر. وقال أبو جهل: شاعر. وقال عقبة: كاهن؛ فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أي: أُقسم[٥].

---

(١) الصحاح (غسل) . وعِفِرِّين : مأسدة ، ودويبَّة مأواها التراب السهل في أصول الحيطان ، أو دابة كالحرباء يتعرض للراكب ويضرب بذنبه ، والرجل الكامل الضابط القوي. القاموس (عفر) .

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤١ ، وكلام قتادة في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١ .

(٣) الكشاف ٤/ ١٥٤ . وقراءة «الخاطيون» نسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٢٩ للزهري والحسن وموسى ابن طلحة. وقراءة «الخاطون» نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٦١ لابن مسعود وابن عباس ﷺ.

(٤) أخرج هذا القول الطبري ٢٣/ ٢٤١ - ٢٤٢ عن ابن عباس وابن زيد .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٨٥ - ٨٦ . وعقبة هو ابن أبي مُعيط .

وقيل: «لا» هاهنا نفيٌ للقَسَم[١]، أي: لا يُحتاج في هذا إلى قسم؛ لوضوح الحقِّ في ذلك، وعلى هذا فجوابُه كجواب القسم.

﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ يريد جبريل، قاله الحسن والكلبيُّ ومقاتل[٢]. دليلُه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ [التكوير:١٩-٢٠]. وقال الكلبيُّ أيضًا والقُتَبيّ: الرسول هنا محمدٌ ﷺ؛ لقوله: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ». وليس القرآن قولَ الرسول ﷺ، إنما هو مِن قول اللهِ عزَّ وجلَّ[٣]؛ ونُسب القولُ إلى الرسول لأنه تاليه ومبلِّغه والعاملُ به، كقولنا: هذا قولُ مالِكٍ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ لأنه مباينٌ لصنوف الشعر كلِّها. ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ لأنه ورد بسبِّ الشياطين وشتمِهم؛ فلا يُنْزِلون شيئًا على مَن يسبُّهم[٤].

و«ما» زائدة في قوله: «قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ» و«قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ»؛ والمعنى: قليلًا تؤمنون، وقَليلًا تَذَكَّرُونَ[٥]. وذلك القليلُ من إيمانهم هو أنهم إذا سئلوا: مَن خلقهم قالوا: الله. ولا يجوز أن تكونَ «ما» مع الفعل مصدرًا وتَنصِبَ «قليلًا» بما بعد «ما»؛ لما فيه من تقديم الصِّلَة على الموصول؛ لأن ما عمل فيه المصدرُ مِن صلة المصدر[٦].

وقرأ ابن مُحَيْصن وابن كثير وابن عامر ويعقوب: «مَا يُؤْمِنُونَ»، و«يذَّكَّرون»

---

(١) تفسير الرازي ٣٠/١١٦ .

(٢) كلام الكلبي ومقاتل في النكت والعيون ٦/ ٨٦ ، وزاد المسير ٨/ ٣٥٤ .

(٣) تفسير غريب القرآن ص ٤٨٤ بنحوه .

(٤) تفسير الرازي ٣٠/١١٧ - ١١٨ بنحوه .

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٨ .

(٦) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٥ .

بالياء[١]. الباقون بالتاء؛ لأن الخطاب قبله وبعده[٢]. أما قبله فقوله: «تُبْصِرُونَ»، وأما بعده: «فَمَا مِنكُمْ» الآية.

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ﴾ أي: هو تنزيل من ربِّ العالمين[٣]، وهو عطفٌ على قوله: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ»، أي: إنه لَقولُ رسولٍ كريم، وهو تنزيلٌ من ربِّ العالمين.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ «تقوّل» أي: تكلَّف وأتى بقول من قِبَل نفسه. وقُرِئ: «وَلَوْ تُقُوِّلَ» على البناء للمفعول[٤].

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ أي: بالقوّة والقدرة[٥]، أي: لأخذناه بالقوّة. و«مِنْ» صِلَةٌ زائدة. وعبَّر عن القوَّة والقدرة باليمين؛ لأن قوَّةَ كلِّ شيءٍ في ميامنه، قاله القُتَبيّ[٦]. وهو معنى قولِ ابنِ عباس ومجاهد. ومنه قولُ الشَّمَّاخ[٧]:

إذا مـا رايـةٌ رُفـعـتْ لِـمَـجْـدٍ ... تـلـقَّـاهـا عَـرَابـةُ بـالـيـمـيـنِ

أي: بالقوَّة. عرابة: اسمُ رجلٍ من الأنصار من الأوس، وقال آخر:

ولـمَّـا رأيـتُ الـشـمـسَ أشرق نُـورهـا ... تـناولـتُ مـنـهـا حـاجـتي بـيـمـيـني[٨]

---

(١) السبعة ص ٦٤٨، والتيسير ص ٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩٠. وقراءة ابن عامر هي من رواية ابن ذكوان بخلف عنه.

(٢) وقرأ نافع وأبو عمرو وشعبة وأبو جعفر بتشديد الذال، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٨.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٥، وهي قراءة شاذة.

(٥) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٣٩٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) في تأويل مشكل القرآن ص ١١٧.

(٧) ديوانه ص ٣٣٦. وسلف ٦/ ٣٨.

(٨) لم نقف عليه.

وقال السُّدِّيُّ والحَكَم: «باليمين»: بالحقّ. قال:

تـلـقَّـاهـا عَـرَابَـةُ بـالـيـمـيـنِ

أي: بالاستحقاق.

وقال الحسن: لَقطعنا يدَه اليمين[١]. وقيل: المعنى: لَقبضنا بيمينه عن التصرُّف؛ قاله نفطويه.

وقال أبو جعفر الطبري[٢]: إنَّ هذا الكلام خَرَجَ مَخرجَ الإذلالِ؛ على عادة الناس في الأخذ بيدِ منَ يعاقَب. كما يقول السلطان لمن يريد هَوَانَه: خذوا بيديه[٣]. أي: لأمرنا بالأخذ بيده وبَالَغْنَا في عقابه.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ يعني: نِيَاط القلب، أي: لأهلكناه. وهو عِرْقٌ يتعلَّق به القلبُ؛ إذا انقطع مات صاحبه[٤]؛ قاله ابن عباس وأكثرُ الناس[٥]. قال:

إذا بَـلَّـغْـتِـنِـي وحَـمَـلْـتِ رَحْـلـي عَـرَابَـةَ فـاشْـرَقـي بـدَم الـوتـيـنِ[٦]

وقال مجاهد[٧]: هو حبل القلب الذي في الظَّهر، وهو النخاع؛ فإذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه. والمَوْتون: الذي قُطع وَتِينُه. وقال محمد بن كعب: إنه القلب ومَرَاقُّه وما يليه. قال الكلبيّ: إنه عِرْقٌ بين العِلْباء والحلقوم[٨]. والعِلْباء: عَصَبُ العنق. وهما عِلْباوان، بينهما ينبت العِرْق[٩]. وقال عكرمة: إنَّ الوتين إذا قُطع؛ لا إن

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٨٦.

(٢) في تفسيره ٢٣/ ٢٤٣. ونقله عنه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٨٧.

(٣) المثبت من (ظ) و(ق)، وفي غيرهما: يديه.

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٤٨٤.

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤٣ - ٢٤٥ عن ابن عباس وغيره.

(٦) قائله الشماخ، وهو في ديوانه ص ٣٢٣. وروايته: وحططتِ رحلي. وهو خطاب لناقته كما في الخزانة ٤/ ٣٤٩. وعرابة: هو ممدوحه، وقد سلف قريباً ذكره. وقوله: فاشرقي، أي: فغُصِّي.

(٧) أخرج قوله الطبري ٢٣/ ٢٤٤.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٨٧.

(٩) الصحاح (علب).

جاع عرف[١]، ولا إن شَبع عرف.

قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ «ما» نفي، و«أَحدٍ» في معنى الجمع، فلذلك نَعَتَهُ بالجمع، أي: فما منكم قومٌ يَحجُزون عنه، كقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] هذا جمع، لأن «بين» لا تقع إلَّا على اثنين فما زاد[٢]. قال النبيُّ ﷺ: «لم تَحِلَّ الغنائمُ لأحد سُودِ الرؤوس قبلكم»[٣]. لفظه واحدٌ، ومعناه الجمع. و«مِن» زائدة. والحجز: المنع. و«حَاجِزِينَ» يجوز أن يكونَ صفةً لـ«أَحدٍ» على المعنى كما ذكرنا؛ فيكونُ في موضع جَرّ، والخبر «مِنْكُمْ». ويجوز أن يكونَ منصوباً على أنه خبر، و«مِنْكُمْ» مُلْغًى، ويكون متعلِّقًا بـ«حَاجِزِينَ». ولا يمنع الفصلُ به مِن انتصاب الخبر في هذا؛ كما لم يمتنع الفصلُ به في: إنَّ فيك زيدًا راغب.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن[٤] ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: للخائفين الذي يخشَون الله. ونظيرُه: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] على ما بيَّنَّاه أوَّلَ سورةِ البقرة[٥]. وقيل: المراد محمدٌ ﷺ[٦]، أي: هو تذكرةٌ ورحمةٌ ونجاة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ قال الربيع: بالقرآن. ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ﴾ يعني

---

(١) في (ظ): عرق، وقول عكرمة في النكت والعيون ٦/ ٨٧، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٣ لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٣.

(٣) سلف ٤/ ٤٩٧.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٤٦ عن قتادة.

(٥) ١/ ٢٤٨.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٣.

التكذيب. والحسرة: الندامة. وقيل: أي: وإنَّ القرآن لَحسرةٌ على الكافرين يوم القيامة إذا رأَوا ثوابَ مَن آمن به. وقيل: هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على معارضته عند تَحَدِّيهم أن يأتوا بسورةٍ مثلِه[1]. ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ يعني أنَّ القرآن العظيم تنزيلٌ من الله عزَّ وجلَّ، فهو لحق[2] اليقين. وقيل: أي: حَقًّا يقينًا لَيكوننَّ ذلك حسرةً عليهم يومَ القيامة[3]. فعلى هذا «وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ» أي: لَتَحَسُّر؛ فهو مصدرٌ بمعنى التحسر، فيجوز تذكيرُه. وقال ابن عباس: إنما هو كقولك: لَعيْن اليقين ومحض اليقين. ولو كان اليقين نعتاً لم يجز أن يضافَ إليه؛ كما لا تقول: هذا رجلُ الظَّرِيف. وقيل: أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين[4].

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي فصَلِّ لربِّكَ؛ قاله ابن عباس[5]. وقيل: أي: نزِّه اللهَ عن السُّوء والنقائص[6].

خُتمت السورة والحمدُ لله.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٨٧ . وكلام الربيع فيه .

(٢) في (ظ) : بحق .

(٣) النكت والعيون ٦/ ٨٨ عن الكلبي .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٩١ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٨٨ .

(٦) المصدر السابق ، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٨ ، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٦ بنحوه .

سُورَةُ الحَاقَّةِ

مكيَّةٌ، وآيُها إحدَى وخمسونَ[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿الْحَاقَّةُ﴾؛ أي: السَّاعةُ أو الحالةُ التي يَحِقُّ وقوعُها، أو التي تُحَقُّ فيها الأمورُ؛ أي: تُعرَفُ حقيقتُها[2]، أو تقعُ فيها حواقُّ الأمورِ مِن الحسابِ والجَزاءِ على الإسنادِ المَجازيِّ.

وهي مُبتدأٌ خبرُها: ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ وأصلُه: ما هيَ؛ أي: أيُّ شيءٍ هي؟ على التَّعظيمِ لشأنِها والتَّهويلِ لها، فوُضِعَ الظَّاهرُ مَوضِعَ المضمرِ لأنَّه أهوَلُ لها.

(٣) ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾: وأيُّ شيءٍ أعلمَكَ ما هيَ؟ أي: إنَّك لا تعلَمُ كُنْهَها فإنَّها أعظَمُ مِن أنْ تَبلُغَها دِرايَةُ أحدٍ، و(ما) مُبتدأٌ، و﴿أَدْرَاكَ﴾ خبرُه.

(٤) ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾: بالحالةِ التي تقرعُ النَّاسَ بالإفزاعِ، والأَجرامَ بالانفطارِ والانتثارِ، وإنَّما وُضِعَت مَوضِعَ ضَميرِ الحاقَّةِ زيادةً في وَصفِ شِدَّتِها.

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢٥٣)، وفيه: وهي إحدى وخمسون آية في البَصْري والشامي واثنتان في عدد الباقين، اختلافها آيتان: ﴿الْحَاقَّةُ﴾ الأولى عدها الكوفي ولم يَعُدَّها الباقون، ﴿كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ عدها المدنيان والمكي ولم يَعُدَّها الباقون.

(٢) فهي مِن قَوْلِك: لا أَحُقُّ هذا؛ أي: لا أَعْرِفُ حقيقتَهُ، جُعِل الفِعل لهَا وَهُو لِأَهْلِها. انظر: «الكشاف» (٩/ ٢٤٩).

(٥) ـ ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾: بالواقعةِ المجاوِزةِ للحدِّ في الشدَّةِ، وهي الصَّيحةُ أو الرَّجفةُ لتكذيبِهم بالقارعةِ.

أو بسببِ طُغيانِهم بالتَّكذيبِ وغيرِه على أنَّها مصدرٌ كالعافيةِ، وهو لا يطابقُ قولَه:

(٦) ـ ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾؛ أي: شديدةِ الصَّوتِ أو البردِ، مِن الصَّرِّ أو الصِّرِّ[١].

﴿عَاتِيَةٍ﴾: شديدةِ العصفِ كأنَّها عتَتْ على خُزَّانِها فلَمْ يَستَطِيعُوا ضبطَها، أو على عادٍ فلَمْ يقدِرُوا رَدَّهَا.

(٧) ـ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾: سلَّطَها عليهم بقُدرَتِه، وهو استئنافٌ أو صِفَةٌ جيءَ بِهِ لنَفيِ ما يُتوهَّمُ مِن أنَّها كانَتْ مِن اتِّصالاتٍ فَلكيَّةٍ، إذ لو كانَتْ لكانَ هو المقدِّرَ لها والمُسبِّبَ.

﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾: مُتَتابِعاتٍ: جمعُ حاسِمٍ، مِن حَسَمْتُ الدَّابَّةَ: إذا تابَعْتَ بينَ كيِّها، أو: نحساتٍ حَسَمَتْ كلَّ خيرٍ واستَأْصَلَتْهُ، أو: قاطِعَاتٍ قَطَعَتْ دابِرَهُم.

ويجوزُ أَنْ يكونَ مَصْدَرًا مُنتَصِبًا على العِلَّةِ[٢] بمَعنى: قطعًا، أو المصدرِ لفعلِه المقدَّرِ حالًا؛ أي: تَحسِمُهمْ حُسومًا، ويؤيِّدُه القِراءةُ بالفتحِ[٣].

وهي كانَتْ أَيَّامَ العَجوزِ مِن صَبيحَةِ الأربعاءِ إلى غُروبِ الأَربِعَاءِ الآخر، وإنَّما

---

(١) قوله: «من الصَّر» بالفتح: هو الصوت الشديد «أو الصِّر» بالكسر: هو بردٌ يُضِر بالنبات والحَرْث. انظر: «حاشية الأنصاري» (٥/ ٣٧٨).

(٢) أي: «حَسوماً» بفتح الحاء. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦١) عن السدي.

(٣) أي: مفعول له؛ أي: سخَّرهَا عليهم للاستئصال. انظر: «الكشاف» (٩/ ٢٥٢).

سُمِّيَتْ عَجُوزًا؛ لأنَّها عَجُزُ الشِّتاء، أو لأنَّ عجوزًا مِن عادٍ توارَتْ في سربٍ فانتزَعَتْها الرِّيحُ في الثَّامنِ فأهلكَتْها.

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ﴾ إن كنتَ حاضِرَهم ﴿فِيهَا﴾ في مَهابِّها، أو في الليالي والأيَّامِ ﴿صَرْعَىٰ﴾: مَوْتى، جمعُ صَريعٍ ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾: أصولُ نخلٍ ﴿خَاوِيَةٍ﴾: مُتآكلةِ الأَجوافِ.

(٨) ـ ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾: مِن بقيَّةٍ، أو: نفسٍ باقيَةٍ، أو: بقاءٍ.

(٩) ـ ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾: ومَن تَقدَّمَه، وقرأ البَصريَّانِ والكِسائيُّ: ﴿ومَن قِبَلَه﴾[١]؛ أي: ومَن عندَهُ مِن أَتباعِه، ويدلُّ عليهِ أنَّه قُرِئَ: (ومَنْ معَهُ)[٢].

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾: قرى قومِ لوطٍ، والمرادُ أهلُها ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾: بالخطأِ، أو: بالفَعْلَةِ أو الأفعالِ ذاتِ الخطأ.

(١٠) ـ ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: فعَصى كلُّ أمَّةٍ رَسولَها ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: زائدةً في الشِّدَّةِ زيادةَ أعمالِهم في القُبحِ.

(١١) ـ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾: جاوزَ حَدَّهُ المعتادَ، أو: طَغَى على خُزَّانِه، وذلك في الطُّوفانِ[٣]، وهو يؤيِّدُ ﴿مَن قبلَهُ﴾[٤].

﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾؛ أي: آباءَكُم وأنتُمْ في أَصلابِهِم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾: في سَفينةِ نُوحٍ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٣)، و«النشر» (٢/ ٣٨٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٨٠)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦١)، و«الكشاف» (٩/ ٢٥٣)، عن عبد الله بن مسعود وأبي رضي الله عنهما.

(٣) قولُه: (وذلكَ...) هو على الوجهَينِ.

(٤) أي: يؤيد القراءة بفتحِ القافِ وسكونِ الباءِ؛ لأنَّ الطُّوفانَ قبلَ فرعونَ، وهذه جُملةٌ مُستأنفةٌ لبيانِ أحوالِ مَن ذُكِرَ أوَّلًا. قاله الشهاب في «الحاشية».

(١٢) ـ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ﴾: لنجعلَ الفعلةَ وهي إنجاءُ المؤمنينَ وإغراقُ الكافرينَ ﴿تَذْكِرَةً﴾: عِبرةً ودلالةً على قُدرةِ الصَّانعِ وحِكمَتِه وكمالِ قُدرَتِه ورَحمَتِه.

﴿وَتَعِيَهَآ﴾: وتَحْفَظَها، وعن ابن كثير في شواذَّ[1]: (وتَعْيَهَا) بسُكونِ العَيْنِ[2] تشبيهًا بـ(كَتْفٍ)[3]، والوعيُ: أن تحفظَ الشَّيءَ في نفسِك، والإيعاءُ: أن تحفظَهُ في غيرِك.

﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: مِن شأنِها أن تحفظَ ما يجِبُ حِفظُه بتذكُّرِه وإشاعَتِه، والتَّفكُّرِ فيه والعمل بموجبِه، والتَّنكيرُ للدَّلالةِ على قِلَّتِها، وأنَّ مَن هذا شأنُهُ مع قِلَّتِه تَسبَّبَ لإنجاءِ الجمِّ الغفيرِ وإدامةِ نَسلِهِم.

وقرأ نافعٌ: ﴿أُذْنٌ﴾ بالتَّخفيفِ[4].

(١٣) ـ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ لَمَّا بالغَ في تهويلِ القيامةِ وذكرَ مآلَ المكذِّبينَ بها تفخيمًا لشأنِها وتنبيهًا على إمكانِها عادَ إلى شرحِها، وإنَّما حَسُنَ إسنادُ الفعلِ إلى المصدَرِ لتَقيُّدِه[5]، وحَسُنَ تَذكيرُه للفَصلِ، وقُرِئَ: (نفخةً)[6] بالنَّصبِ على إسنادِ الفعلِ إلى الجارِّ والمَجرورِ.

---

(١) «في شواذ» من نسخة التفتازاني.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦١). وفي «التيسير» للداني (ص: ٢١٣): وكلُّهم قرؤوا ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ بكسر العين وفتح الياء وتخفيفها، وجاء عن ابن كثير وعاصم وحمزة في ذلك ما لا يصح.

(٣) يعني أن (تعي) تشبه (كتف) و(فخذ)، والعرب تخفف مثلهما بإسكان الوسط، فلذلك أسكن في (تعْيها). انظر: «حاشية شيخ زاده» (٤/ ٤٤٠).

(٤) انظر: «التيسير» (ص: ٩٩).

(٥) قولُه: «وإنَّما حسُنَ إسنادُ الفعلِ لتقيده»: لـمّا كانَ الفعلُ دالاً على المصدرِ لـم يكُنْ في الإسنادِ إليه فائدةٌ، وقد منَعَه السُّبكيُّ، وكلامُ المُصنِّفِ يُشيرُ إلى جوازِه، لكنْ مع قُبحٍ إنْ لـم يُقيَّدْ بأمرٍ زائدٍ، فإنْ قُيِّدَ به حسُنَ، وقد قُيِّدَ هنا بتاءِ الوحدةِ، وهي وصفٌ معنًى، وبصريحِ الوصفِ فأفادَ فائدةً تامّةً. قاله الشهاب في «الحاشية».

(٦) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦١) عن أبي السمال.

والمُرادُ بها: النَّفخةُ الأولى التي عندَهَا خرابُ العالمِ.

(١٤) ـ ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾: رُفِعَت عن أماكنِهَا بمُجرَّدِ القُدرَةِ الكامِلَةِ، أو بتوسُّطِ زلزلَةٍ أو ريحٍ عاصِفَةٍ.

﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾: فضُرِبَت الجُملتانِ بعضُها ببَعْضٍ ضربةً واحِدةً، فيصيرُ الكلُّ هباءً.

أو: فبُسِطَتا بسطةً واحدةً فصارَتا أرضًا لا عِوَجَ فيها ولا أَمْتًا؛ لأنَّ الدَّكَّ سَبَبٌ للتَّسوِيَةِ، ولذلك قيل: ناقَةٌ دَكَّاءُ، للَّتِي لا سنامَ لها، و: أرضٌ دكَّاءُ، للمُتَّسِعَةِ المُستَوِيَةِ.

(١٥) ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾: فحينئذٍ ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾: قامَتِ القِيامَةُ.

(١٦) ـ ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ لنُزولِ الملائكةِ ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾: ضعيفَةٌ مُسترخيَةٌ.

(١٧) ـ ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾: والجنسُ المُتعارفُ بالملَكِ ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾: جوانبِها، جمعُ رَجًا بالقصرِ.

ولعلَّـه تمثيـلٌ لخـرابِ السَّـماءِ بخـرابِ البُنيـانِ وانضـواءِ أهلِها إلـى أطرافِها وحوالَيْهـا[1]، وإن كانَ علـى ظاهـرِه فلعـلَّ هـلاكَ الملائكـةِ إثْـرَ ذلك.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾: فوقَ الملائكةِ الذينَ هم على الأرجاءِ، أو فوقَ الثَّمانيةِ؛ لأنَّها في نيَّةِ التَّقديمِ ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾: ثمانيةُ أملاكٍ؛ لِمَا رُوِيَ مَرفوعًا: «أنَّهم اليومَ أربعةٌ فإذا كان يومُ القيامةِ أيَّدهُم اللهُ بأربعةٍ أُخرى»[2].

---

(١) قولُه: «انضِواءِ أهلِها» بالضَّادِ المُعجمةِ، بمعنَى التِجائِهم وذهابِهم للأطرافِ، وضميرُ «أهلِها» للبُنيانِ، وأنَّثَه لتأويلِه بالأبنيةِ؛ لأنَّه مصدرٌ، و«حوالَيها» بفتحِ اللَّامِ بمعنَى الجوانبِ. قاله الشهاب في «الحاشية».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٩) عن ابن إسحاق عن النبي ﷺ بلاغاً، ورواه أيضا عن ابن زيد عن النبي ﷺ، وكلاهما معضل. =

وقيل: ثمانيةُ صُفوفٍ مِن الملائكةِ لا يَعلَمُ عِدَّتَهُم إلا اللهُ، ولعلَّه أيضًا تمثيلٌ لعَظَمَتِه بما يُشاهَدُ مِن أَحوالِ السَّلاطينِ يومَ خُروجِهم على النَّاسِ للقَضاءِ العامِّ، وعلى هذا قال:

(١٨) ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ تَشبيهًا للمحاسَبةِ بعرضِ السُّلطانِ العَسكرَ لتعرُّفِ أحوالِهم، وهذا وإن كانَ بعدَ النَّفخةِ الثَّانيةِ لكنْ لَمَّا كانَ اليومُ اسمًا لزمانٍ مُتَّسعٍ تقعُ فيه النَّفختانِ والصَّعقةُ والنُّشورُ والحسابُ وإدخالُ أَهلِ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلِ النَّارِ النَّارَ صحَّ جعلُه ظرفًا للكلِّ.

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾: سَريرةٌ على اللهِ حتَّى يكونَ العرضُ للاطِّلاعِ عليها، وإنَّما المُرادُ منه إفشاءُ الحالِ والمُبالغَةُ في العَدلِ، أو على النَّاسِ كما قال: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ باليَاءِ للفَصلِ[1].

= وجاء في حديث الصور الطويل: «والملائكة تحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة»، رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١٠)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٣)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال ابن كثير: هذا حديث مشهور، وهو غريب جدًّا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة...وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدة. وأما سياقه، فغريب جدا، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقاً واحداً، فأنكر عليه بسبب ذلك.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

(١٩) ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ تفصيلٌ للعَرْضِ ﴿فَيَقُولُ﴾ تَبجُّحًا[1]: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ (هاءَ) اسمٌ لـ(خُذْ) وفيهِ لُغاتٌ أجوَدُها: «هاءَ يا رجلُ» و«هاءِ يا امرأةُ»، و«هاؤُمَا يا رَجُلانِ، أو امرأتانِ»، و«هاؤُمْ يا رِجالُ» و«هاؤُنَّ يا نِسوَةُ»، ومفعولُه مَحذوفٌ.

و﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ مفعولُ ﴿ٱقْرَءُواْ﴾؛ لأنَّه أقرَبُ العامِلينَ، ولأنَّه لو كان مفعولَ ﴿هَآؤُمُ﴾ لقيل: اقرؤُوهُ؛ إذ الأَوْلى إضمارُه حيثُ أَمكنَ.

والهاءُ فيه وفي ﴿حِسَابِيَهْ﴾ و﴿مَالِيَهْ﴾ و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾ للسَّكتِ، تَثبُتُ في الوَقفِ وتَسقُطُ في الوَصلِ، واستُحِبَّ الوُقفُ لثَباتِها في الإمامِ، ولذلك قُرِئَ بإثباتِها في الوَصلِ[2].

(٢٠) ـ ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾؛ أي: عَلِمتُ، ولعلَّهُ عبَّر عنه بالظَّنِّ إشعارًا بأنَّه لا يقدَحُ في الاعتقادِ ما يَهْجِسُ في النَّفسِ مِن الخَطَراتِ التي لا تنفَكُّ عنها العلومُ النَّظرِيَّةُ غالبًا.

(٢١) ـ ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: ذاتِ رِضًا، على النِّسبةِ بالصِّيغَةِ[3]، أو جعلِ الفعلِ لها مجازًا، وذلك لكَوْنِها صافيَةً عن الشَّوائبِ دائمةً مَقرونَةً بالتَّعظيمِ.

---

(١) «تبجُّحًا» بتقديمِ الجيمِ؛ أي: افتِخاراً على وجهِ المسرَّةِ بما افتخَرَ به. قاله الشهاب.

(٢) قرأ يعقوب بحذف الهاء في الأربعة في الوصل، وحمزة بحذفها في الوصل في ﴿مالي﴾ و﴿سلطاني﴾، والباقون بإثباتها في الحالين، انظر: «السبعة» (ص: ١٨٨)، و«التيسير» (ص: ٢١٤)، و«النشر» (٢/ ١٤٢).

(٣) قولُه: «ذاتِ رِضا على النِّسبةِ بالصِّيغةِ»؛ يعني: أنَّ النِّسبةَ على قسمَينِ: نسبةٌ بالصِّيغة، كلابنٍ وتامرٍ، وبالحرفِ كروميٍّ وزنْجيٍّ، والمُرادُ هنا النِّسبةُ بالصِّيغةِ، فهي بمعنَى: ذاتِ رِضًا؛ أي: مُلتبِسةٍ بالرِّضا، فيكونُ بمعنَى «مَرضِيَّةٍ»، وهو المُرادُ، وقيل: التَّاءُ فيه على هذا للمُبالغةِ كعلّامةٍ. عن الشهاب.

(٢٢) ـ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: مُرتفِعَةِ المكانِ لأنَّها في السَّماءِ، أو الدَّرجاتِ، أو الأبنيَةِ، أو الأشجارِ.

(٢٣) ـ ﴿قُطُوفُهَا﴾: جمعُ قِطْفٍ، وهو ما يُجْتَنى بسُرْعَةٍ، والقَطفُ بالفتحِ: المَصدَرُ. ﴿دَانِيَةٌ﴾ يتناوَلُها القاعِدُ.

(٢٤) ـ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ بإضمارِ القَولِ، وجمعُ الضَّميرِ للمَعنى ﴿هَنِيئًا﴾ أَكْلًا وشُرْبًا هنيئًا، أو: هَنِئْتُم هنيئًا ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾: بما قدَّمْتُم مِن الأَعمالِ الصَّالحةِ ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾: الماضيَةِ مِن أَيَّامِ الدُّنيا.

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ﴾ يقولُ لِمَا يَرى مِن قُبحِ العَملِ وسُوءِ العاقِبةِ[١]: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾.

(٢٧) ـ ﴿يَا لَيْتَهَا﴾: يا ليتَ الموتةَ التي متُّها ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾: القاطعةَ لأَمرِي فلَمْ أُبعَثْ بعدَها.

أو: يا ليتَ هذه الحالةَ كانَت الموتةَ التي قَضَتْ عليَّ، كأنَّه صادفَها أمرَّ مِن المَوتِ فتمنَّاهُ عِندَها.

أو: يا ليتَ حياةَ الدُّنيَا كانَتِ الموتةَ، ولم أُخلَقْ حيًّا.

(٢٨) ـ ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾: ما لي مِن المالِ والتَّبعِ، و﴿مَا﴾ نفيٌ، والمفعولُ مَحذوفٌ[٢]، أو استفهامُ إنكارٍ مَفعولٌ لـ﴿أَغْنَى﴾.

(٢٩) ـ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾: مُلكي وتَسلُّطِي على النَّاسِ، أو: حُجَّتي التي كنتُ أَحُجُّ بها في الدُّنيَا.

---

(١) في نسخة الخيالي والطبلاوي: «الخاتمة» وفي هامش كل منهما كالمثبت نسخة.

(٢) قوله: «والمفعول محذوف»؛ تقديره: شيئاً، و«ما» الموصولةُ فاعلُه.

وقـرأ حمـزَةُ: ﴿عنّي مالـي﴾ و﴿عنّي سـلطاني﴾ بحـذفِ الهاءينِ فـي الوَصلِ والباقـونَ بإثباتِها فـي الحالينِ(١).

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿خُذُوهُ﴾ يقولُه اللهُ لخزنةِ النَّارِ ﴿فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾: ثمَّ لا تصلُّوهُ إلا الجحيمَ وهي النَّارُ العُظْمَى؛ لأنَّه كان يَتعظَّمُ على النَّاسِ.

(٣٢) ـ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾؛ أي: طويلةٍ ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾: فأدخِلوهُ فيها بأن تَلُفُّوهَا على جسدِه وهو فيما بينَها مرهَقٌ لا يقدرُ على حركةٍ، وتقديمُ السلسلة كتَقديمِ الجَحيمِ للدَّلالةِ على التَّخصيصِ والاهتمامِ بذكرِ أنواعِ ما يعذَّبُ به، و﴿ثُمَّ﴾ لتَفاوُتِ ما بينَها في الشدَّةِ.

(٣٣) ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ تعليلٌ عـلى طـريقةِ الاستئنـافِ للمُبالغَةِ(٢)، وذكرُ ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ للإشعارِ بأنَّه هو المستحِقُّ للعظمةِ، فمَن تعظَّمَ فيها(٣) استوجبَ ذلك.

(٣٤) ـ ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: ولا يحثُّ على بذلِ طَعامِه، أو على إطعامِه، فضلًا(٤) أن يبذلَ مِن مالِه.

ويجوزُ أَنْ يكونَ ذكرُ الحضِّ للإشعارِ بأنَّ تاركَ الحضِّ بهذه المنزلةِ فكيفَ بتاركِ الفعلِ؟ وفيه دليلٌ على تكليفِ الكُفَّارِ بالفُروعِ، ولعلَّ تخصيصَ الأمرينِ بالذِّكرِ لأنَّ أقبحَ العَقائدِ الكفرُ باللهِ، وأشنَعَ الرَّذائلِ البخلُ وقَسْوَةُ القَلبِ.

---

(١) تقدمت قريباً.

(٢) قولُه: (فضلاً... إلخ»؛ أي: على الوجهَينِ. عن الشهاب.

(٣) «فيها»: ليس في نسخة الفاروقي، وفي نسخة الطبلاوي: «فمن لا يعظمه فيها».

(٤) قولُه: «على طريقةِ الاستئنافِ» فإنَّه يُفيدُ التَّعليلَ لوُقوعِه في جوابِ: لِـمَ استَحقَّ هذا؟ فقيلَ: ﴿إِنَّهُۥ...﴾، وقولُه: «للمُبالغةِ»؛ لأنَّ السُّؤالَ المُقدَّرَ فيه تكثيرٌ للمعنَى مع تقليلِ لفظِه. عن الشهاب.

(٣٥ ـ ٣٧) ـ ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾: قريبٌ يَحميه ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: غسالةِ أهلِ النَّارِ وصَديدِهم، فِعْلِينَ مِن الغَسلِ ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ أصحابُ الخطايا، مِن خَطِئَ الرَّجُلُ: إذا تعمَّدَ الذَّنْبَ، لا مِن الخطأِ المضادِّ للصَّوابِ.

وقُرِئَ: (الخَاطِيُونَ) بقلبِ الهمزةِ ياءً[١]، و: ﴿الخاطونَ﴾ بطرحِها[٢].

(٣٨ ـ ٣٩) ـ ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لظُهورِ الأَمرِ واستغنائِه عَن التَّحقيقِ بالقَسَمِ، أو: فأقسم، و(لا) مَزيدةٌ، أو: ﴿فَلَا﴾ ردٌّ لإنكارِهم البعثَ و﴿أُقْسِمُ﴾ مستأنفٌ.

﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: بالمُشاهَداتِ والمُغيَّباتِ وذلك يتناوَلُ الخالقَ والمخلوقاتِ بأسرِها.

(٤٠) ـ ﴿إِنَّهُ﴾: إنَّ القُرآنَ ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ يُبَلِّغُه عنِ اللهِ؛ فإنَّ الرَّسولَ لا يقولُ عَن نفسِه ﴿كَرِيمٍ﴾ على اللهِ، وهو محمَّدٌ أو جبرئيلُ عليهِمَا السَّلامُ.

(٤١) ـ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تَزعمونَ تارةً ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾: تُصدِّقُونَ لَمَّا ظهرَ لَكُم صِدقُه تَصديقًا قليلًا لفرطِ عِنادِكُم.

(٤٢) ـ ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ كما تدَّعُونَ أُخرَى ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ تذكَّرُونَ تذكُّرًا قليلًا فلذلك يَلتبِسُ الأمرُ عليكُم.

وذكرُ الإيمانِ مع نفيِ الشَّاعريةِ والتَّذكُّرِ مع نفيِ الكاهِنيَّةِ؛ لأنَّ عدمَ مُشابهةِ القُرآنِ للشِّعرِ أَمْرٌ بيِّنٌ لا يُنكِرُه إلا معانِدٌ، بخلافِ مُباينَتِه للكَهانةِ، فإنَّها تتوقَّفُ على تذكُّرِ أحوالِ الرَّسُولِ ومَعاني القرآنِ المنافيةِ لطَرِيقَةِ الكهنةِ ومَعاني أقوالِهم.

---

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٢٩) عن الزهري والحسن وموسى بن طلحة.

(٢) قرأ بها أبو جعفر، ووقفاً حمزة، ووقف ايضاً بالتسهيل بين بين فهما وجهان له. انظر: «النشر» (١/ ٤٤٣).

وقرأ ابنُ كثيرٍ ويَعقوبُ وابن عامر بالياءِ فيهما[1].

(٤٣) ـ ﴿تَنزِيلٌ﴾: بل هو تنزيلٌ ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ نزَّله على لسانِ جبرئيلَ.

(٤٤) ـ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ سُمِّيَ الافتراءُ تَقَوُّلًا لأنَّهُ قولٌ مُتكلَّفٌ، والأقوالُ

المُفتراةُ أقاويلَ تحقيرًا بها؛ كأنَّها جمعُ أُفْعُولَةٍ مِن القولِ كالأَضاحيكِ.

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾: بيمينِه ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾؛ أي: نياطَ قلبِهِ بضربِ عنقِهِ، وهو تَصويرٌ لإهلاكِه بأفظعِ ما يفعَلُه الملوكُ بمَنْ يغضبونَ عليه، وهو أن يأخذَ القتَّالُ بيَمينِه ويكفحَه بالسَّيفِ ويضربَ جيدَه، وقيل: اليمينُ بمعنى القوَّةِ[2].

(٤٧) ـ ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾: عَن القتلِ أو المَقتولِ ﴿حَٰجِزِينَ﴾: دافعينَ، وصفٌ لـ﴿أَحَدٍ﴾ فإنَّه عامٌّ والخِطابُ للنَّاسِ.

(٤٨) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: وإنَّ القرآنَ ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لأنَّهُم المنتفعونَ به.

(٤٩) ـ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ فنُجازيهِمْ على تكذيبِهِم.

(٥٠) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إذا رَأَوا ثوابَ المؤمنينَ به.

(٥١) ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾: اليقينُ الذي لا ريبَ فيه.

---

(١) انظر: «النشر» (٢/ ٣٩٠).

(٢) قولُه: «يكفَحه» بالفاءِ والحاءِ المُهملةِ، يعني: يُواجهَه بالسَّيفِ؛ لأنَّ الآخذَ باليمينِ يقتلُه بعد مُواجهتِه بالسَّيفِ، ونظرُه له أشدُّ عقوبةً، ومَن يَضربُ عنقَه من غيرِ مُواجهةٍ يأخذُه من يسارِه، فلذا قالَ: (بيمينِه)؛ لبيانِ أنَّه يُعاقَبُ بأشدِّ العقوبةِ، أو اليمينُ بمعنَى القوَّةِ، فالمُرادُ أخذُه بعُنفٍ وشدَّةٍ، ومرَّضَه لأنَّه يفوتُ فيه التَّصويرُ والتَّفصيلُ والإجمالُ، ويصيرُ قولُه: ﴿مِنْهُ﴾ زائدًا من غيرِ فائدةٍ، ويُرتكَبُ المجازُ من غيرِ فائدةٍ أيضًا. عن الشهاب.

(٥٢) - ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾: فسَبِّح للهِ بذكرِ اسمِه العَظيمِ تنزيهًا له عَن الرِّضَا بالتَّقوُّلِ عليه، وشُكرًا على ما أوحَى إليك.

عن النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ: «مَن قرَأَ سُورَةَ الحاقَّةِ حاسبَهُ اللهُ حِسابًا يَسيرًا»[1].

***

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٥)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٤٣)، قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك. وانظر: «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

(٦٩) سورة الحاقة مكية
وآياتها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟
بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ
فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ
بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾

﴿ **الحاقَّةُ** ﴾ **من أسماء يوم القيامة**، لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد، ولهذا عظَّم الله أمرها فقال: ﴿ وما أدراك ما الحاقَّة ﴾، ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى: ﴿ فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ﴾ وهي الصيحة التي أسكتتهم والزلزلة التي أسكنتهم، هكذا قال قتادة ﴿ الطاغية ﴾: الصيحة، وهو اختيار ابن جرير، وقال مجاهد: ﴿ الطاغية ﴾ الذنوب، وكذا قال ابن زيد إنها الطغيان، وقرأ: ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾، ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر ﴾ أي باردة، قال قتادة والسدي: ﴿ عاتية ﴾ أي شديدة الهبوب، عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم، وقال الضحّاك: ﴿ صرصر ﴾ باردة ﴿ عاتية ﴾ عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة، وقال علي: عتت على الخزنة فخرجت بغير حساب، ﴿ سخرها عليهم ﴾ أي سلطها عليهم ﴿ سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ﴾ أي كوامل متتابعات مشائيم، قال ابن مسعود: ﴿ حسوماً ﴾ متتابعات، وعن عكرمة والربيع: مشائيم عليهم كقوله تعالى: ﴿ في أيام نحسات ﴾ **ويقال**: إنها التي تسميها الناس الأعجاز، وكأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى: ﴿ فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ﴾. **وقيل**: لأنها تكون في عجز الشتاء، قال ابن عباس: ﴿ خاوية ﴾ خربة، وقال غيره: بالية، أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخرّ ميتاً على أمِّ رأسه، فينشدخ رأسه، وتبقى جثته هامدة، كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: « نصرت بالصَّبا وأهلكت

عاد بالدَّبور »[١]. وعن ابن عمر قال، قال رسول الله ﷺ: « ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عادٍ، الريحَ وما فيها قالوا: هذا عارض ممطرنا، فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة »[٢] ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾؟ أي هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم؟ بل بادوا عن آخرهم، ولم يجعل الله لهم خلفاً، ثم قال تعالى: ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ أي ومن قبله من الأمم المشبهين له، وقوله تعالى: ﴿والمؤتفكات﴾ وهم الأمم المكذبون بالرسل، ﴿بالخاطئة﴾ وهي التكذيب بما أنزل الله، قال الربيع ﴿بالخاطئة﴾ أي بالمعصية، وقال مجاهد: بالخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ أي كل كذب رسول الله إليهم كما قال تعالى: ﴿إن كلٌّ إلا كذب الرسل فحق وعيد﴾، ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع، كما قال تعالى: ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾، ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ وإنما جاء إلى كل أمّة رسول واحد، ولهذا قال ههنا: ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾ أي عظيمة شديدة أليمة، قال مجاهد ﴿رابية﴾: شديدة، وقال السدي: مهلكة.

ثم قال تعالى: ﴿إنا لمّا طغى الماء﴾ أي ازداد على الحد، وقال ابن عباس: ﴿طغى الماء﴾ كثر، وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام، فاستجاب الله له، وعمَّ أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح في السفينة، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته، قال علي بن أبي طالب: لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدي ملك، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان، فطغى الماء على الخزان، فخرج، فذلك قوله تعالى: ﴿إنا لمّا طغى الماء﴾ أي زاد على الحد بإذن الله، ﴿حملناكم في الجارية﴾ ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل على يدي ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت، فذلك قوله تعالى: ﴿بريح صرصر عاتية﴾[٣]، ولهذا قال تعالى ممتناً على الناس ﴿حملناكم في الجارية﴾ وهي السفينة الجارية على وجه الماء، ﴿لنجعلها لكم تذكرة﴾ أي وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار، كما قال: ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾، وقال تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ۞ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ وقال قتادة: أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة، والأول أظهر، ولهذا قال تعالى: ﴿وتعيها أذن واعية﴾ أي وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية، قال ابن عباس: حافظة سامعة، وقال قتادة: ﴿أذن واعية﴾ عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله. وقال الضحّاك: ﴿وتعيها أذن واعية﴾ سمعتها أذن ووعت، أي من له سمع صحيح وعقل رجيح، وهذا عام في كل من فهم ووعي.

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ

(١) اخرجاه في الصحيحين.
(٢) رواه ابن أبي حاتم
(٣) رواه ابن جرير

يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

يقول تعالى مخبراً عن أهوال يوم القيامة، وأول ذلك (نفخة الفزع)، ثم يعقبها (نفخة الصعق) حين يصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم بعدها (نفخة القيام) لرب العالمين، وقد أكدها ههنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع، ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد، قال الربيع: هي النفخة الأخيرة، والظاهر ما قلناه، ولهذا قال ههنا: ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ أي فمدت مد الأديم، وتبدلت الأرض غير الأرض، ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ أي قامت القيامة، ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾. عن علي قال: تنشق السماء من المجرة، وقال ابن جريج: هي كقوله: ﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾، ﴿والملك على أرجائها﴾ الملك اسم جنس أي الملائكة. على أرجاء السماء: أي حافاتها، وقال الضحّاك: أطرافها، وقال الحسن البصري: أبوابها، وقال الربيع بن أنَس في قوله: ﴿والملك على أرجائها﴾ يقول: على ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض، وقوله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[1]. وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ قال: ثمانية صفوف من الملائكة. وقوله تعالى: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ أي تعرضون على عالم السر والنجوى، الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر، ولهذا قال تعالى: ﴿لا تخفى منكم خافية﴾، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غداً، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾[2]، وروى الإمام أحمد، عن أبي موسى قال، قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله»[3].

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: ﴿هاؤم اقرأوا كتابيه﴾ أي خذوا اقرأوا كتابيه، لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة، لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات، وعن عبدالله بن عبدالله بن حنظلة (غسيل الملائكة) قال: إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي أي يظهر سيئاته في ظهر صحيفته، فيقول له: أنت عملت هذا فيقول: نعم أي رب، فيقول له: إني لم

(١) رواه أبو داود.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا عن ثابت بن الحجّاج.

(٣) أخرجه أحمد والترمذي.

أفضحك به وإني قد غفرت لك، فيقول عند ذلك: ﴿ هاؤم اقرأوا كتابيه ﴾، ﴿ إني ظننت أني ملاق حسابيه ﴾ حين نجا من فضيحته يوم القيامة[١]، وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها، حتى إذا رأى أنه قد هلك، قال الله تعالى: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين »، وقوله تعالى: ﴿ إني ظننت أني ملاق حسابيه ﴾ أي قد كنت موقناً في الدنيا، أن هذا اليوم كائن لا محالة، كما قال تعالى: ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ﴾، قال تعالى: ﴿ فهو في عيشة راضية ﴾ أي مرضية، ﴿ في جنة عالية ﴾ أي رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دُورها، دائم حبورها، روى ابن أبي حاتم، عن أبي أمامة قال: سأل رجل رسول الله ﷺ: « هل يتزاور أهل الجنة ؟ قال: « نعم. إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين تقصر بهم أعمالهم »[٢]، وقد ثبت في الصحيح: « أن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ». وقوله تعالى: ﴿ قطوفها دانية ﴾ قال البراء بن عازب: أي قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره، وكذا قال غير واحد، روى الطبراني، عن سلمان الفارسي قال، قال رسول الله ﷺ: « لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية »[٣]؛ وفي رواية: « يعطى المؤمن جوازاً على الصراط: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان، أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية »[٤]، وقوله تعالى: ﴿ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾ أي يقال لهم ذلك تفضلاً عليهم وامتناناً، وإنعاماً وإحساناً، وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: « اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً منكم لن يدخله عمله الجنة » قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل ».

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله فحينئذ يندم غاية الندم، ﴿ فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * يا ليتها كانت القاضية ﴾ قال الضحّاك: يعني موتة لا حياة بعدها،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) رواه ابن أبي حاتم.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) أخرجه الضياء في صفة الجنة.

وقال قتادة: تمنّى الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه، ﴿ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه﴾ أي لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خلص الأمر إليّ وحدي، فلا معين لي ولا مجير فعندها يقول الله عزّ وجلّ: ﴿خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلّوه﴾ أي يأمر الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر فتغله، أي تضع الأغلال في عنقه، ثم تورده إلى جهنم فتصليه إيّاها، أي تغمره فيها. عن المنهال بن عمرو قال: إذا قال الله تعالى: خذوه، ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك منهم ليقول: هكذا، فيلقي سبعين ألفاً في النار[1]، وقال الفضيل ابن عياض إذا قال الرب عزّ وجلّ ﴿خذوه فغلوه﴾ ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه، ﴿ثم الجحيم صلوه﴾ أي أغمروه فيها، وقوله تعالى: ﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾ قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا، وقال ابن عباس: بذراع الملك، وقال العوفي عن ابن عباس: يسلك في دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه، روى الإمام أحمد، عن عبد الله بن عمرو قال، قال رسول الله ﷺ: «لو أن رضاضة مثل هذه - وأشار إلى جمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها»[2]. وقوله تعالى: ﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين﴾ أي لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته، ولا ينفع خلقه ويؤدي حقهم، فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا بـه شيئاً، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى، ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وقبض النبي ﷺ وهو يقول: «الصلاة، وما ملكت أيمانكم»، وقوله تعالى: ﴿فليس له اليوم ههنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون﴾ أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى، لا ﴿حميم﴾ وهو القريب، ولا ﴿شفيع﴾ يطاع، ولا طعـام له ههنا ﴿إلا من غسلين﴾ قال قتادة: هو شر طعام أهل النار، وقال الضحّاك: هو شجرة في جهنم، وقال ابن عباس: ما أدري ما الغسلين؟ ولكني أظنه الزقوم[3]، وقال عكرمة عنه: الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم، وعنه: الغسلين صديد أهل النار.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى مقسماً لخلقه، بمـا يشاهدونه من آياته في مخلوقاته، الدالة على كماله في أسمائه وصفاتـه، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم، إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله، الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة، فقال تعالى: ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم﴾ يعني محمداً ﷺ، أضافه إليه على معنى التبليغ، ﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً

(١) رواه ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي، وقال: حديث حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم.

ما تذكرون﴾ فأضافه الله تارة إلى (جبريل) الرسول الملكي، وتارة إلى (محمد) الرسول البشري، لأن كلا منهما مبلغ عن الله، ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه، ولهذا قال تعالى: ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال، فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، قال فقرأ: ﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون﴾ قال، فقلت: كاهن، قال: فقرأ ﴿ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين﴾ إلى آخر السورة، قال فوقع الإسلام في قلبي كل موقع. فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى: ﴿ولو تقول علينا﴾ أي محمد ﷺ، لو كان كما يزعمون مفترياً علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده، فنسبه إلينا لعاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال تعالى: ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ **قيل**: معناه لانتقمنا منه باليمين لأنها أشد في البطش، **وقيل**: **لأخذنا بيمينه**، ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ قال ابن عباس: وهو نياط القلب، وهو العرق الذي القلب معلق فيه؛ وقال محمد بن كعب: هو القلب ومراقه وما يليه، وقوله تعالى: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ أي فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه، إذا أردنا به شيئاً من ذلك، والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد، لأن الله عزَّ وجلَّ مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات، ثم قال تعالى: ﴿وإنه لتذكرة للمتقين﴾. كما قال تعالى: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾، ثم قال تعالى: ﴿وإنا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ أي مع هذا البيان والوضوح، سيوجد منكم من يكذب بالقرآن، ثم قال تعالى: ﴿وإنه لحسرة على الكافرين﴾ قال ابن جرير: وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة، ويحتمل عود الضمير على القرآن، أي وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين، كما قال تعالى: ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به﴾، وقال تعالى: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿وإنه لحق اليقين﴾ أي الخبر الصدق الحق، الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب، ثم قال تعالى: ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي الذي أنزل هذا القرآن العظيم.

[آخر تفسير سورة الحاقة، ولله الحمد والمنة]

✲ ✲ ✲

تفسير سورة الحاقة

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢) ﴾ .

الحاقةُ من أسماء يوم القيامة ؛ لأن فيها يَتحقّقُ الوَعدُ والوَعيد ؛ ولهذا عَظّم تعالى أمرَها فقال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾ ؟

ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ ، وهى الصيحة التى أسكتتهم ، والزلزلة التى أسكنتهم . هكذا قال قتادة : الطاغية الصيحة . وهو اختيار ابن جرير (١) .

وقال مجاهد : الطاغية الذنوب . وكذا قال الربيع بن أنس ، وابن زيد : إنها الطغيان، وقرأ ابن زيد : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴾ [الشمس:١١].

وقال السُّدِّى : ﴿ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ قال : يعنى : عاقر الناقة .

﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴾ أى : باردة . قال قتادة ، والربيع ، والسدى ، والثورى : ﴿عَاتِيَةٍ ﴾ أى : شديدة الهبوب . قال قتادة : عتت عليهم حتى نَقَّبت عن أفئدتهم .

وقال الضحاك :﴿ صَرْصَرٍ ﴾ : باردة ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ : عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة . وقال على وغيره : عتت على الخزنة فخرجت بغير حساب .

﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ ﴾ أى : سلطها عليهم ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ أى : كوامل متتابعات مشائيم .

(١) تفسير الطبرى (٢٩/ ٣١) .

قال ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والثورى ، وغير واحد : ﴿ حُسُومًا ﴾ : متتابعات .

وعن عكرمة والربيع : مشائيم عليهم ، كقوله : ﴿ فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾ [فصلت:١٦] قال الربيع: وكان أولها الجمعة . وقال غيره الأربعاء . ويقال : إنها التى تسميها الناس الأعجاز ؛ كأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى : ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ .وقيل : لأنها تكون فى عجر الشتاء ، ويقال : أيام العجوز ؛ لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سَرَبًا فقتلها الريح فى اليوم الثامن . حكاه البغوى (١) . والله أعلم .

قال ابن عباس : ﴿ خَاوِيَةٍ ﴾ : خربة . وقال غيره : بالية ، أى : جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتاً على أم رأسه ، فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان .

وقد ثبت فى الصحيحين ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « نُصِرْتُ بالصَّبا ، وأهلكَت عادٌ بالدَّبور» (٢) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا محمد بن يحيى بن الضِّريس العبدى ، حدثنا ابن فُضَيل، عن مسلم ، عن مجاهد ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فتح الله على عاد من الريح التى أهلكوا فيها إلا مثل موضع الخاتم ، فَمرّت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم، فجعلتهم بين السماء والأرض . فلما رأى ذلك أهل الحاضرة الريح (٣) وما فيها قالوا : هذا عارض ممطرنا .فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة » (٤) .

وقال الثورى عن ليث ، عن مجاهد : الريح لها جناحان وذنب .

﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾ ؟ أى : هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أنه (٥) ممن ينتسب إليهم؟ بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلَفًا .

ثم قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ ﴾ : قُرِئ بكسر القاف ، أى : ومن عنده فى زمانه من أتباعه من كفار القبط . وقرأ آخرون بفتحها ، أى : ومن قبله من الأمم المشبهين له .

وقوله : ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ ﴾ وهم المكذبون بالرسل . ﴿ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ أى : بالفعلة الخاطئة ، وهى التكذيب بما أنزل الله .

قال الربيع : ﴿ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ أى : بالمعصية . وقال مجاهد : بالخطايا .

---

(١) معالم التنزيل للبغوى (٨/ ٢٠٨) .

(٢) صحيح البخارى برقم (١٠٣٥) وصحيح مسلم برقم (٩٠٠) .

(٣) فى م : « فلما رأى أهل الحاضر من عاد الريح » .

(٤) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٢/ ٤٢١) وأبو الشيخ فى العظمة برقم (٨٠٦) من طريق محمد بن فضيل عن مسلم ، به . وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١١٣) : « فيه مسلم الملائى وهو ضعيف » .

(٥) فى م : « أو » .

ولهذا قال : ﴿ فعصوا رسول ربهم ﴾ :وهذا جنس ، أى: كُلٌّ كذّبَ رسول الله إليهم. كما قال: ﴿ كُلٌّ [١] كذب الرسل فحق وعيد ﴾ [ق: ١٤]. ومن كذب رسول الله فقد كذب بالجميع ، كما قال : ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ [الشعراء: ١٠٥] ، ﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ [الشعراء: ١٢٣] ، ﴿كذبت ثمود المرسلين ﴾ [الشعراء: ١٤١] . وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد ؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾ أى : عظيمة شديدة أليمة .

قال مجاهد : ﴿ رابية ﴾ : شديدة . وقال السدى : مهلكة .

ثم قال الله تعالى : ﴿ إنا لما طغا الماء ﴾ أى : زاد على الحد بإذن الله وارتفع على الوجود . قال ابن عباس وغيره : ﴿ طغا الماء ﴾ : كثر ـ وذلك بسبب دعوة نوح ، عليه السلام ، على قومه حين كذبوه وخالفوه ، فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعَمّ أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح فى السفينة ، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته .

قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْرَان ، عن أبى سنان سعيد بن سنان ،عن غير واحد، عن على بن أبى طالب قال : لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدى ملك ، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان ، فطغى الماء على الخزان فخرج ، فذلك قول الله : ﴿ إنا لما طغا الماء حملناكم فى الجارية ﴾ ولم ينزل شيء من الريح إلا بكيل على يدى ملك ،إلا يوم عاد ،فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت ، فذلك قوله : ﴿ بريح صرصر عاتية ﴾ عتت على الخزان [٢] .

ولهذا قال تعالى ممتناً على الناس : ﴿ إنا لما طغا الماء حملناكم فى الجارية ﴾ ، وهى السفينة الجارية على وجه الماء ، ﴿ لنجعلها لكم تذكرة ﴾ عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه ، أى : وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء فى البحار ، كما قال : ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون . لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه ﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾ [يس: ٤١، ٤٢] .

وقال قتادة : أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة . والأول أظهر ؛ ولهذا قال : ﴿وتعيها أذن واعية ﴾ أى : وتفهم هذه النعمة ، وتذكرها أذن واعية .

قال ابن عباس : حافظة سامعة [٣] . وقال قتادة : ﴿ أذن واعية ﴾ : عقلت [٤] عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله ، وقال الضحاك : ﴿ وتعيها أذن واعية ﴾ : سمعتها أذن ووعت . أى : من له سمع صحيح وعقل رجيح . وهذا عام فيمن فهم ، ووعى .

---

(١) فى م ، أ ، هـ :« إن كل إلا » .

(٢) تفسير الطبرى (٢٩/ ٣٢) .

(٣) فى م: «سامعة حافظة » .

(٤) فى م :« تحفظت » ، وفى أ : « حفظت » .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة الدمشقى ، حدثنا العباس بن الوليد بن صبح الدمشقى ، حدثنا زيد بن يحيى ، حدثنا على بن حوشب ، سمعت مكحولا يقول : لما نزل [١] على رسول الله ﷺ : ﴿ وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ قال رسول الله ﷺ : «سألت ربى أن يجعلها أذُنَ عَلِىّ» . [قال مكحول] [٢] : فكان عَلِىّ يقول : ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئا قط فنسيته .

وهكذا رواه ابن جرير ، عن على بن سهل ، عن الوليد بن مسلم ، عن على بن حوشب ، عن مكحول [٣] ، به . وهو حديث مرسل .

وقال ابن أبى حاتم أيضا : حدثنا جعفر بن محمد بن عامر ، حدثنا بشر [٤] بن آدم ، حدثنا عبد الله ابن الزبير أبو محمد ــ يعنى والد أبى أحمد الزبيرى ــ حدثنى صالح بن الهيثم ، سمعت بريدة الأسلمى يقول : قال رسول الله ﷺ لعلى : « إنى أمرت أن أدنيك ولا أقصيك ، وأن أعلمك وأن تعى ، وحُقّ لك أن تعى » . قال : فنزلت هذه الآية ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ .

ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف ، عن بشر بن آدم ، به [٥] . ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن أبى داود الأعمى ، عن بُرَيدة ، به . ولا يصح أيضا .

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) ﴾ .

يقول تعالى مخبرا عن أهوال يوم القيامة ، وأول ذلك نفخة الفزع ، ثم يعقبها نفخة الصعق حين يُصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور ، وهى هذه النفخة . وقد أكدها هاهنا بأنها واحدة ؛ لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ، ولا يحتاج إلى تكرار وتأكيد .

وقال الربيع : هى النفخة الأخيرة . والظاهر ما قلناه ؛ ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ أى : فمدت مَدّ الأديم العُكَاظى ، وتَبَدّلت الأرض غير الأرض ، ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ أى : قامت القيامة . ﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ . قال سِماك ، عن شيخ من بنى أسد ، عن على قال : تنشق السماء من المجرة . رواه ابن أبى حاتم .

وقال ابن جريج : هى كقوله : ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ [النبأ : ١٩] .

---

(١) فى م ، أ : « لما نزلت » . (٢) زيادة من م ، أ .

(٣) تفسير الطبرى (٢٩/ ٣٥) .

(٤) فى أ : « حدثنا بشير » .

(٥) تفسير الطبرى (٢٩/ ٣٦) ورواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق كما فى الكنز برقم (٣٦٤٢٦) وقال ابن عساكر : « هذا إسناد لا يعرف والحديث شاذ » .

وقال ابن عباس : منخرقة ، والعرش بحذائها .

﴿ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ : الملك : اسم جنس ، أى : الملائكة على أرجاء السماء .

قال ابن عباس : على ما لم يَه منها ، أى : حافتها . وكذا قال سعيد بن جبير ، والأوزاعى . وقال الضحاك : أطرافها . وقال الحسن البصرى : أبوابها . وقال الربيع بن أنس فى قوله : ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ يقول : على ما استدق من السماء ، ينظرون إلى أهل الأرض .

وقوله : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ أى : يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة . ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم ، أو : العرش الذى يوضع فى الأرض يوم القيامة لفصل القضاء ، والله أعلم بالصواب . وفى حديث عبد الله بن عَميرة ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، فى ذكر حَمَلَة العرش أنهم ثمانية أو عال [١] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبوسعيد يحيى بن سعيد [٢] ، حدثنا زيد بن الحباب ، حدثنى أبو السمح البصرى ، حدثنا أبو قَبيل حُيَىّ بن هانئ : أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : حملة العرش ثمانية ، ما بين مُوق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى قال : كتب إلىّ أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابورى : حدثنى أبى ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : « أذنَ لى أن أحدثكم عن ملك من حَمَلَة العرش : بُعْدُ ما بين شحمة أذنه وعنقه بخفق الطير سبعمائة عام » .

وهذا إسناد جيد ، رجاله ثقات . وقد رواه أبو داود فى كتاب « السنة » من سننه : حدثنا أحمد ابن حفص بن عبد الله ، حدثنا أبى ، حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن موسى بن عقبة ، عن محمد ابن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله؛أن رسول الله ﷺ قال:« أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش:أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» . هذا لفظ أبى داود [٣] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زُرْعَة ، حدثنا يحيى بن المغيرة ، حدثنا جرير ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير فى قوله : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ . قال : ثمانية صفوف من الملائكة . قال : ورُوى عن الشعبى [وعكرمة] [٤] ، والضحاك . وابن جُرَيْج ، مثل ذلك . وكذا روى السُّدِّى عن أبى مالك ، عن ابن عباس : ثمانية صفوف . وكذا روى العوفى ، عنه .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : الكَرُوبيّون ثمانية أجزاء ، كل جنس [٥] منهم بقدر [٦] الإنس والجن والشياطين والملائكة .

وقوله : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ أى : تعرضون على عالم السر والنجوى الذى

(١) حديث الأوعال رواه أبو داود فى السنن برقم (٤٧٢٣) وتقدم عند تفسير الآية : ٧ من سورة غافر .

(٢) فى م : « حدثنا أبو سعيد عن ابن سعيد » .

(٣) سنن أبى داود برقم (٤٧٢٧) .

(٤) زيادة من م، أ . (٥) فى م :« كل جزء » . (٦) فى أ :« بعدة » .

لا يخفى عليه شيء من أموركم ، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ؛ ولهذا قال : ﴿ **لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ .

وقد قال ابن أبى الدنيا : أخبرنا إسحاق بن إسماعيل ، أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن بُرْقان ، عن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزَنوا ، فإنه أخف عليكم فى الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتَزَيَّنُوا للعرض الأكبر : ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع ، حدثنا على بن على بن رفاعة ، عن الحسن ، عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان فجدالٌ ومعاذيرُ ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى ، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ».

ورواه ابن ماجة ، عن أبى بكر بن أبى شيبة ، عن وكيع ، به (٢). وقد رواه الترمذى عن أبى كُرَيْب ، عن وكيع ، عن على بن على ، عن الحسن ، عن أبى هريرة ،به (٣) .

وقد روى ابنُ جرير عن مجاهد بن موسى ، عن يزيد ، عن سليمان بن حيان ، عن مروان الأصغر ، عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات : عرضتان ، معاذير وخصومات ، والعرضة الثالثة تطير الصحف فى الأيدى . ورواه سعيد بن أبى عَروبة ، عن قتادة مرسلا ،مثله (٤) .

﴿ **فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)** ﴾ .

يخبر تعالى عن سعادة من أوتى كتابه يوم القيامة بيمينه ، وفرحه بذلك ، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه : ﴿ **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ** ﴾ أى : خذوا اقرؤوا كتابيه ؛ لأنه يعلم أن الذى فيه خير وحسنات محضة ؛ لأنه ممن بَدل الله سيئاته حسنات .

قال عبد الرحمن بن زيد : معنى: ﴿ **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ** ﴾ أى: ها اقرؤوا كتابيه، و «ؤم» زائدة . كذا قال ، الظاهر أنها بمعنى : هاكم .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا بشر بن مطر (٥) الواسطى ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا

---

(١) محاسبة النفس لابن أبى الدنيا برقم (٢) وذكره المؤلف فى مسند عمر (٢/٦١٨) وقال : « أثر مشهور وفيه انقطاع ، وثابت بن الحجاج هذا جزرى تابعى صغير لم يدرك ،ولم يرو عنه سوى جعفر بن برقان ،وله عند أبى داود فى السنن حديثان » .

(٢) المسند (٤/ ٤١٤) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٧٧) وقال البوصيرى فى الزوائد (٣/٣١٥) : « هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع ، الحسن لم يسمح من أبى موسى . قاله على بن المدينى وأبو حاتم و أبو زرعة» .

(٣) سنن الترمذى برقم (٢٤٢٥) .

(٤) تفسير الطبرى (٢٩/٣٨) .

(٥) فى أ :« بشر بن مطير » .

عاصم الأحول ، عن أبى عثمان قال: المؤمن يعطى كتابه [بيمينه] (١) فى ستر من الله ، فيقرأ سيئاته ، فكلما قرأ سيئةً تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها ، فيرجع إليه لونه . ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات ، قال : فعند ذلك يقول : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ .

وحدثنا أبى ، حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا موسى بن عبيدة (٢)، أخبرنى عبد الله بن عبد الله بن حنظلة ـ غسيل الملائكة ـ قال : إن الله يَقفُ عبده يوم القيامة فيبدى سيئاته فى ظهر صحيفته ، فيقول له : أنت عملت هذا ؟ فيقول : نعم ، أى رب . فيقول له إنى لم أفضحك به ، وإنى قد غفرت لك . فيقول عند ذلك : ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ . إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ ، حين نجا من فَضْحه يوم القيامة .

وقد تقدم فى الصحيح حديثُ ابن عمر حين سئل عن النجوى ، فقال : سمعت النبى ﷺ يقول: « يُدْنِى اللهُ العبدَ يوم القيامة ، فيُقرِّره بذنوبه كلها ، حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله : إنى سترتها عليكَ فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم . ثم يُعطَى كتابَ حسناته بيمينه ، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد : ﴿هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود:١٨] (٣) .

وقوله : ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ أى: قد كنت موقنا فى الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة ، كما قال : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة:٤٦] .

قال الله : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ أى : مرضية ، ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ أى : رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيمة دورها ، دائم حبورها .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو عُتْبَةَ الحسن بن على بن مسلم السَّكُونى ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن سعيد بن يوسف ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن أبى سلام الأسود قال : سمعتُ أبا أمامة قال : سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ : هل يتزاور أهل الجنة ؟ قال : « نعم ، إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى ، فيحيونهم ويسلمون عليهم ، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين ، تقصر بهم أعمالهم » (٤) .

وقد ثبت فى الصحيح: « إن الجنة مائة درجة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» (٥).

وقوله : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ قال البراء بن عازب : أى قريبة ، يتناولها أحدهم ، وهو نائم على سريره . وكذا قال غير واحد .

قال الطبرانى : [حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبرى] (٦) ، عن عبد الرزاق ، عن سفيان الثورى،

---

(١) زيادة من م . (٢) فى أ : « موسى بن أبى عبيدة » .

(٣) انظر : تفسير الآية : ١٨ من سورة هود وتخريجه هناك .

(٤) ورواه أبو نعيم فى صفة الجنة برقم (٤٢١) من طريق جعفر بن الزبير وبشر بن نمير ، عن القاسم ، عن أبى أمامة مرفوعاً بنحوه ، وجعفر بن الزبير وبشر بن نمير متروكان واتهما بالوضع .

(٥) صحيح البخارى برقم (٢٧٩٠) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٦) زيادة من المعجم الكبير للطبرانى (٦/ ٢٧٢) .

عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، عن عطاء بن يسار ، عن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز : (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » [١] .

وكذا رواه الضياء فى صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد ، عن سليمان التيمى ، عن أبى عثمان النهدى ، عن سلمان،عن رسول الله ﷺ قال: يعطى المؤمن جوَازا على الصراط: (بسم الله الرحمن الرحيم) ،هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ، أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية » [٢] .

وقوله : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ أى : يقال لهم ذلك ؛ تفضلا عليهم، وامتنانا وإنعاما وإحسانا .وإلا فقد ثبت فى الصحيح ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : «اعملوا وَسَدِّدوا وقَاربُوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخلَه عملُه الجنةَ » . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ، إلا أن يَتَغَمَّدنى الله برحمة منه وفضل » [٣] .

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ (٣٧) ﴾ .

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطى أحدهم كتابه فى العَرَصات بشماله ، فحينئذ يندم غاية الندم ، فيقول : ﴿ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ . يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ .

قال الضحاك : يعنى موتة لا حياة بعدها . وكذا قال محمد بن كعب ،والربيع ،والسدى .

وقال قتادة : تمنى[٤] الموت ، ولم يكن شىء فى الدنيا أكره إليه منه .

﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَ . هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ ﴾ أى : لم يدفع عنى مالى ولا جاهى عذابَ الله وبَأسه، بل خَلَص الأمر إلىَّ وحدى ، فلا معين لى ولا مجير .فعندها يقول الله ،عز وجل : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ .

---

(١) المعجم الكبير للطبرانى (٦/ ٢٧٢) وعبد الرحمن بن زياد ضعيف ، ورواه ابن عدى فى الكامل (١/ ٣٤٤) من طريق إسحاق الدبرى ، به. وقال : « حدث عن عبد الرزاق بحديث منكر » ثم ذكر هذا الحديث .

(٢) ورواه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٢/ ٤٤٦) من طريق أبى بكر ـ محمد بن خشام ـ عن العباس البلخى ، عن سعدان بن سعيد الحكمى ، عن سليمان التيمى ، به . وقال ابن الجوزى : « هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ أما الطريق الأول ـ أى طريق عبد الرزاق ـ ففيه عبد الرحمن بن زياد قال أحمد بن حنبل : نحن لا نروى عن عبد الرحمن . وقال ابن حبان : يروى الموضوعات عن الثقات ويدلس . وأما الطريق الثانى ، فقال الدارقطنى : تفرد به سعدان عن التيمى . قال ابن الجوزى : سعدان مجهول ، وكذلك محمد بن خشام » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٥٦٧٣) وصحيح مسلم برقم (٢٨١٦) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٤) فى م : « يعنى » .

﴿ **ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ** ﴾ أى : يأمر الزبانية أن تأخذه عنفاً من المحشر، فَتَغُله ، أى : تضع الأغلال فى عنقه ، ثم تُورده إلى جهنم فتصليه إياها ، أى : تغمره فيها .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد ، عن عمرو بن قيس ، عن المِنْهَال ابن عمرو قال : إذا قال الله ، عز وجل : ﴿ **خُذُوهُ** ﴾ ابتدره سبعون ألف ملك ، إن الملك منهم ليقول هكذا، فيلقى سبعين ألفا فى النار .

وروى ابن أبى الدنيا فى « الأهوال » : إنه يبتدره أربعمائة ألف ، ولا يبقى شىء إلا دَقّه ، فيقول : ما لى ولك ؟ فيقول : إن الرب عليك غضبان ، فكل شىء غضبان عليك .

وقال الفضيل ــ هو ابن عياض ــ : إذا قال الرب ، عز وجل : ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ** ﴾ ابتدره سبعون ألف ملك ، أيهم يجعل الغل فى عنقه .

﴿ **ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ** ﴾ أى : اغمروه فيها .

وقوله : ﴿ **ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ** ﴾ : قال كعب الأحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا .

وقال العَوفى عن ابن عباس ، وابن جرير : بذراع الملك . وقال ابن جريج ، قال ابن عباس : ﴿ **فَاسْلُكُوهُ** ﴾ تدخل فى استه ثم تخرج من فيه ، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد فى العود حين يشوى .

وقال العوفى،عن ابن عباس: يسلك فى دبره حتى يخرج من منخريه ،حتى لا يقوم على رجليه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا على بن إسحاق ، أخبرنا عبد الله ، أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبى السمح ، عن عيسى بن هلال الصَّدَفى ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن رَصَاصة مثل هذه ــ وأشار إلى [مثل] (١) جُمْجُمة ــ أرسلت من السماء إلى الأرض ، وهى مسيرة خمسمائة سنة ، لبلغت الأرض قبل الليل ، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة ، لسارت أربعين خريفاً الليلَ والنهارَ ، قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها ».

وأخرجه الترمذى ، عن سُوَيْد بن نصر (٢) ، عن عبد الله بن المبارك ، به (٣) . قال : هذا حديث حسن .

وقوله : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ أى : لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ، ولا ينفع خلقه ويؤدى حقهم ؛ فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا ، وللعباد بعضهم على بعض حقّ الإحسان والمعاونة على البر والتقوى ؛ ولهذا أمر الله بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وقبض النبى ﷺ وهو يقول : « الصلاة ، وما ملكت أيمانكم » (٤) .

---

(١) زيادة من المسند والترمذى .

(٢) فى أ : « سويد بن سعيد » .

(٣) المسند (٢/١٩٧) وسنن الترمذى برقم (٢٥٨٨) .

(٤) جاء من حديث أنس ، وعلى وأم سلمة ، وسفينة ، رضى الله عنهم ، وحديث على ، رضى الله عنه :« كان آخر كلام النبى ﷺ. . .» فذكره ، رواه الإمام أحمد فى المسند (١/٧٨) وأبو داود فى السنن برقم (٥١٥٤) .

وقوله : ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ . وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ . لا يَأْكُلُهُ إِلا الْخَاطِئُونَ ﴾ أى : ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله ،لا حميم ـ وهو القريب ـ ولا شفيع يطاع ،ولا طعام له هاهنا إلا من غسلين .

قال قتادة : هو شر طعام أهل النار . وقال الربيع ، والضحاك : هو شجرة فى جهنم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا منصور بن أبى مزاحم ، حدثنا أبو سعيد المؤدب ، عن خُصَيف ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : ما أدرى ما الغسلين ، ولكنى أظنه الزقوم .

وقال شَبِيب بن بشر ، عن عكْرِمة ، عن ابن عباس قال : الغسلين : الدم والماء يسيل من لحومهم . وقال على بن أبى طلحة عنه : الغسلين : صديد أهل النار .

﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) ﴾ .

يقول تعالى مُقسماً لخلقه بما يشاهدونه من آياته فى مخلوقاته الدالة على كماله فى أسمائه وصفاته، وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم : إن القرآن كلامُه ووحيه وتنزيلُه على عبده ورسوله ، الذى اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة ، فقال : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لا تُبْصِرُونَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ يعنى : محمداً ، أضافه إليه على معنى التبليغ ؛ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ؛ ولهذا أضافه فى سورة التكوير إلى الرسول المكى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ وهذا جبريل ،عليه السلام .

ثم قال : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ يعنى : محمداً ﷺ ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ يعنى : أن محمداً ﷺ رأى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها ، ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ أى : بمتهم ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴾ [التكوير:١٩ـ ٢٥] ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ . وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، فأضافه تارة إلى قوله الرسول المكى ، وتارة إلى الرسول البشرى ؛ لأن كلا منهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ؛ ولهذا قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

قال الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، حدثنا شُرَيح بن عبيد الله قال : قال عمر ابن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله ﷺ قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أعجب من تأليف القرآن . قال : فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش. قال : فقرأ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ . قال : فقلت: كاهن .قال : فقرأ : ﴿ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ . تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ . وَلَوْ

تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ إلى آخر السورة . قال : فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع [١] .

فهذا من جملة الأسباب التى جعلها الله مؤثرة فى هداية عمر بن الخطاب ، كما أوردنا كيفية إسلامه فى سيرته المفردة ، ولله الحمد [٢] .

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢) ﴾ .

يقول تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ﴾ أى : محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفتريا علينا ، فزاد فى الرسالة أو نقص منها ، أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا ، وليس كذلك ، لعاجلناه بالعقوبة . ولهذا قال : ﴿ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ قيل : معناه لانتقمنا منه باليمين ؛ لأنها أشد فى البطش . وقيل : لأخذنا بيمينه .

﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ : قال ابن عباس : وهو نياط القلب ، وهو العِرْقُ الذى القلب معلق فيه . وكذا قال عكرمة ،وسعيد بن جبير ، والحكم ،وقتادة ،والضحاك ، ومسلم البَطِين ، وأبو صخر حُميد بن زياد.

وقال محمد بن كعب : هو القلب ومَرَاقُّه وما يليه .

وقوله : ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ أى : فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئا من ذلك . والمعنى فى هذا [٣] : بل هو صادق بار راشد ؛ لأن الله ، عز وجل ، مقرر له ما يبلغه عنه ، مؤيد له بالمعجزات الباهرات [٤] والدلالات القاطعات .

ثم قال : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ يعنى : القرآن كما قال :﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾ [فصلت:٤٤] .

ثم قال [٥] : ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ أى : مع هذا البيان والوضوح ، سيوجد منكم من يكذب بالقرآن .

ثم قال : ﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ قال ابن جرير : وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة وحكاه عن قتادة بمثله .

---

(١) المسند (١/١٧) .

(٢) فى أ : « ولله الحمد والمنة » .

(٣) فى م : « فى ذلك » .

(٤) فى م : « القاهرات » .

(٥) فى م : « كما قال » .

وروى ابن أبى حاتم ، من طريق السدى ، عن أبى مالك: ﴿ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ يقول: لندامة . ويحتمل عود الضمير على القرآن ، أى : وإن القرآن والإيمان به لحسرة فى نفس الأمر على الكافرين ، كما قال : ﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ . لا يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [الشعراء: ٢٠٠، ٢٠١] ، وقال تعالى : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ: ٥٤] ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴾ أى : الخبر الصدق الحق الذى لا مرية فيه ، ولا شك ولا ريب .

ثم قال : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ أى : الذى أنزل هذا القرآن العظيم .

[آخر تفسير سورة « الحاقة » ، ولله الحمد (١)] (٢)

---

(١) فى أ : « ولله الحمد والمنة والثناء والحمد الجميل » .

(٢) زيادة من م ، أ .

سورة الحاقّة

مكيّة، وهي[1] إحدى[2] وخمسون آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾

﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾ أي: السّاعة، أو الحالة الثابتةُ الوقوعِ الواجبةُ المجيءِ لا محالةَ، أو التي تحقّ فيها الأمور الحقّة مِن الحساب والثواب والعقاب، أو التي تُحَقّ فيها الأمور، أي: تُعرف على الحقيقة مِن "حَقَّه يَحُقّه" إذا عرَف حقيقته.

جُعل الفعل لها مجازًا، وهو لِما فيها مِن الأمور، أو لمَن فيها مِن أولي العِلم. وأيًا ما كان فحَذْف الموصوف للإيذان بكمال ظهور اتّصافه بهذه الصفة وجريانها مَجرى الاسم. وارتفاعها على الابتداء، خبرُها ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ على أنّ ﴿مَا﴾ مبتدأ ثانٍ، و﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾ خبره، والجملة خبرٌ للمبتدأ الأوّل. والأصل "ما هي"، أي: أيُّ شيء هي في حالها وصفتها؟ فإنّ "ما" قد يُطلب بها الصفة والحال، فوُضع الظاهر موضعَ المضمر تأكيدًا لهَولِها.

هذا ما ذكروه في إعراب هذه الجملة ونظائرها، وقد سبَق في سورة الواقعة[3] أنّ مقتضى التحقيق أن يكون ﴿مَا﴾ الاستفهاميّة خبرًا لِما بعدها، فإنّ مَناط الإفادة بيانُ أنّ الحاقّة أمر بديع وخطب فظيع، كما يُفيده كون ﴿مَا﴾ خبرًا، لا بيانُ أنّ أمرًا بديعًا ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾، كما يُفيده كونها مبتدأ وكون ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾ خبرًا.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ أي: وأيّ شيء أعلَمك ﴿مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ تأكيد لهَولِها وفظاعتِها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات، على معنى أنّ عِظَم شأنها

---

١ ي – وهي.
٢ ي: اثنتان.
٣ في تفسير الآية الثامنة منها. لكنّه ذكَر ثمّة أنّ الاستفهاميّة مبتدأ ثانٍ، فليُتأمّل.

ومَدَى هَولها وشدّتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه، وكيفما قُدِّرت حالها فهي أعظم مِن ذلك وأعظم فلا يتسنّى الإعلام.

و﴿مَا﴾ في حيّز الرفع على الابتداء، و﴿أَدْرَىٰكَ﴾ خبره. ولا مَساغَ ههنا للعكس. و﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ جملة مِن مبتدأ وخبر على الوجه الذي عرفتَه، محلُّها النصب على إسقاط الخافض؛ لأنّ "أدرى" يتعدّى إلى المفعول الثّاني بـ"الباء"، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [يونس، ١٠/١٦]، فلمّا وقعت جملة الاستفهام / معلّقةً [٢٢٠و] له كانت في موضع المفعول الثاني، والجملةُ الكبيرة معطوفة على ما قبلها مِن الجملة الواقعة خبرًا لقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ مؤكِّدةٌ لهَولِها، كما مرّ.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ أي: بالحالة التي تقرع الناس بفنون الأفزاع والأهوال والسماءَ بالانشقاق والانفطار والأرضَ والجبالَ بالدكّ والنَّسف والنجومَ بالطمس والانكدارِ. ووضعُها موضعَ ضمير ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾[١] للدلالة على معنى القَرْع فيها تشديدًا لهَولِها.

والجملة استئناف مَسوق لإعلام بعض أحوال الحاقّة له عليه السلام إثرَ تقرير أنّه ما أدراه عليه السلام بها أحدٌ، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة، ١٠١/١٠-١١] ونظائرِه، خلا أنّ المبيَّن هناك نفسُ المسئول عنها وههنا حال مِن أحوالها، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر، ٩٧/٢-٣]، فكما أنّ المبيَّن هناك ليس نفس ليلة القدر؛ بل فضلُها وشرفها، كذلك المبيَّن ههنا هَول الحاقّة وعِظم شأنها وكونها بحيث يَحِقُّ إهلاكُ مَن يكذِّب بها، كأنّه قيل: وما أدراك ما الحاقّة، كذّبت بها ثمودُ وعادٌ فأهلكوا.

---

[١] في الآية السالفة.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ أي: بالواقعة المُجاوِزة للحدّ، وهي الصيحة أو الرجفة.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أي: شديدة الصوت لها صرصرة، أو شديدة البَرْد تحرق ببَرْدها ﴿عَاتِيَةٍ﴾ شديدة العصف، كأنّها عتَت على خُزّانها فلم يتمكّنوا مِن ضَبْطها، أو على عاد فلم يقدروا على ردّها.

وقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾... إلخ، استئناف جيء به بيانًا لكيفيّة إهلاكهم بالريح، أي: سلّطها الله تعالى عليهم بقدرته القاهرة. ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي: متتابعاتٍ، جمع حاسم كـ"شهود" جمع "شاهد" مِن "حسمتُ الدابة" إذا تابعتَ بين كيّها، أو نحِساتٍ حسمَتْ كلّ خير واستأصلَته، أو قاطعاتٍ قطعَتْ دابرهم. ويجوز أن يكون مصدرًا منتصبًا على العِلّة بمعنى قطعًا، أو على المصدر لفعله المقدّر حالًا، أي: تحسِمهم حُسومًا، ويُؤيّده القراءة بالفتح.[1]

وهي كانت أيّام العجوز مِن صبيحة أربعاء إلى غروب الأربعاء الآخر، وإنّما سُمّيت عجوزًا لأنّ عجوزًا مِن عادٍ توارت / في سَرب فانتزعَتْها الريح في اليوم الثامن فأهلكَتْها. وقيل: هي أيّام العَجُز وهي آخر الشتاء وأسماؤها: الصِّنُّ والصِّنَبْرُ والوَبْرُ والآمِر والمؤتمِر والمُعلّل ومطفئ الجمر. وقيل: مكفئ الظُّعن.[2] [٢٢٠ظ]

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ﴾ إن كنت حاضرًا حينئذ ﴿فِيهَا﴾ في مهابّها أو في تلك الليالي والأيّام ﴿صَرْعَىٰ﴾ مَوتى جمعُ صريع ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أي: أصول نخل ﴿خَاوِيَةٍ﴾ متآكلة الأجواف.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ أي: بقيّة، أو نفس باقية، أو بقاء على أنّها مصدر كـ"الكاذبة" و"الطاغية".

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠﴾

---

١ كما في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٤٠/٣. وقراءة الفتح قراءة شاذّة، مرويّة عن السدّي. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦١.

٢ الكلام في الأيّام كلّه في الكشّاف للزمخشري، ٤٥٣/٤.

﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ﴾ أي: ومَن تقدّمه. وقُرئ: "وَمَنْ قِبَلَهُ"،[1] أي: ومَن عنده مِن أتباعه، ويُؤيّده أنّه قرئ: "وَمَنْ مَعَهُ".[2] ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ﴾ أي: قُرى قوم لوطٍ، أي: أهلها. ﴿بِٱلۡخَاطِئَةِ﴾ بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطأ التي مِن جملتها تكذيب البعث والقيامة.

﴿فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ﴾ أي: فعصى كلّ أمّة رسولها حين نَهَوهم عمّا كانوا يتعاطَونه مِن القبائح ﴿فَأَخَذَهُمۡ﴾ أي: الله عزّ وجلّ ﴿أَخۡذَةً رَّابِيَةً﴾ أي: زائدة في الشِدّة كما زادت قبائحهم في القبح، مِن "ربا الشيء" إذا زاد.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ﴾ بسبب إصرار قوم نوحٍ على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام فيما أُوحيَ إليه مِن الأحكام التي مِن جملتها أحوال القيامة. ﴿حَمَلۡنَٰكُمۡ﴾ أي: في أصلاب آبائكم ﴿فِي ٱلۡجَارِيَةِ﴾ في سفينة نوحٍ عليه السلام.

والمراد بحَمْلهم فيها رفعُهم فوق الماء إلى انقضاء أيّام الطوفان، لا مجرّدُ رفعِهم إلى السفينة كما يعرب عنه كلمة ﴿فِي﴾، فإنّها ليست بصلة للحمل؛ بل متعلِّقة بمحذوف هو حال مِن مفعوله، أي: رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا. وفيه تنبيه على أنّ مَدار نجاتهم مَحض عِصمته تعالى، وإنّما[3] السفينة سبب صوري.

﴿لِنَجۡعَلَهَا﴾ أي: لنجعل الفعلة التي هي عبارة عن إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين. ﴿لَكُمۡ تَذۡكِرَةً﴾ عبرةً ودلالةً على كمال قدرة الصانع وحِكمته وقوّة قهره وسَعَة رحمته.

﴿وَتَعِيَهَآ﴾ أي: تحفظَها، والوعي أن تحفظ الشيء في نفسك، والإيعاء أن تحفظه في غير نفسك مِن وعاء. وقرئ: "تَعْيَهَا"[4] بسكون "العين" تشبيهًا له بـ"كَتْف".

[1] قرأ بها نافع والكسائي وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٣٨٩/٢.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٣.

[3] س ي: إنّما.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن طلحة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٣.

﴿أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ أي: أذن مِن شأنها أن تحفظ ما يجب حِفْظه بتذكّره وإشاعته والتفكّر فيه ولا تضيّعه بتَرْك العمل به. / والتنكير للدلالة على قلّتها وأنّ مَن هذا شأنه مع [٢٢١و]
قلّته يتسبَّب لنجاة الجمّ الغفير وإدامة نسلهم. وقرئ: "أُذْنٌ"[١] بالتخفيف.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ شروع في بيان نفس الحاقّة وكيفيّة وقوعها إثر بيان عِظم شأنها بإهلاك مكذّبيها. وإنّما حَسُن إسناد الفعل إلى المصدر لتقيّده وحَسُن تذكيره للفصل. وقرئ: "نَفْخَةً وَاحِدَةً"[٢] بالنصب على إسناد الفعل إلى الجارّ والمجرور. والمراد بها النفخة الأولى التي عندها خرابُ العالم.

﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾ أي: قُلعت ورُفعت مِن أماكنها بمجرَّد القدرة الإلهيّة أو بتوسّط الزلزلة أو الريح العاصفة. ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي: فضُربت الجملتان إثرَ رفعهما بعضها ببعض ضربةً واحدةً حتّى تندقّ وترجع كثيبًا مَهيلًا وهَباءً مُنبثًّا. وقيل: فبُسِطَتا بسطةً واحدةً فصارتا قاعًا صَفصَفًا لا ترى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا، مِن قولهم: "اندكّ السَّنام" إذا تفرَّش، و"بعير أدكُّ وناقة دكّاءُ" ومنه "الدُّكّان".[٣]

﴿فَيَوۡمَئِذٖ﴾ فحينئذ ﴿وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ لنزول الملائكة ﴿فَهِيَ﴾ أي: السماء ﴿يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾ ضعيفة مسترخية بعدما كانت مُحكَمة.

﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ أي: الخلْق المعروف بالمَلَك ﴿عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا﴾ أي: جوانبها جمع "رجًا" بالقصر، أي: تنشقّ السماء التي هي مساكنهم فيلجأون إلى أكنافها وحافّاتها.

---

١ قرأ بها نافع. النشر لابن الجزري، ٢/٢١٦.
٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي السَّمّال. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦١.
٣ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥٤.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء أو فوق الثمانية ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ مِن الملائكة. عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيّدهم الله تعالى بأربعة آخرين فيكونون ثمانية».[1]

[٢٢١ظ] ورُوي: ثمانية أملاك، أرجلُهم في / تُخُوم الأرض السابعة، والعرش فوق رءوسهم وهم مطرِقون مسبِّحون.[2] وقيل: بعضُهم على صورة الإنسان، وبعضُهم على صورة الأسد، وبعضُهم على صورة الثور، وبعضُهم على صورة النسر.[3]

ورُوي: ثمانيةُ أملاك في خَلْق الأوعال ما بين أظلافها إلى رُكَبِها مسيرةُ سبعين عامًا.[4] وعن شَهْر بن حَوشب: «أربعة منهم يقولون: سبحانَك اللّٰهمّ وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، وأربعة يقولون: سبحانك اللّٰهمّ وبحمدك لك الحمد على حِلمك بعد عِلمك».[5] وعن الحسن: الله أعلم أثمانية أم ثمانية آلاف؟[6] وعن الضحّاك: ثمانية صفوف لا يعلَم عددهم إلّا الله تعالى.[7] ويجوز أن يكون الثمانية مِن الرُّوح أو مِن خَلْق آخر.[8]

وقيل: هو تمثيل لعظَمته تعالى بما يشاهَد مِن أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العامّ،[9] لكونها أقصى ما يُتصوَّر مِن العظَمة والجلال، وإلّا فشئونه سبحانه أجلّ مِن كلّ ما يُحيط به فَلَك العبارة والإشارة.

---

١ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٢٢٩/٢٣؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٠٩/٨-٢١٠؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤٥٤/٤.

٢ بمعناه في جامع البيان للطبري، ٢٣٠/٢٣؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤٥٤/٤.

٣ حديث بلفظ قريب في معالم التنزيل للبغوي، ٢١٠/٨؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤٥٤/٤.

٤ بعضه مرويّ عن الضحّاك في جامع البيان للطبري، ٢٢٨/٢٣؛ وبلفظ قريب عن العبّاس في معالم التنزيل للبغوي، ٢١٠/٨؛ واللباب لابن عادل، ٣٢٨/١٩.

٥ معالم التنزيل للبغوي، ١٤١/٧ (غافر، ٧/٤٠)؛ الكشّاف للزمخشري، ٤٥٤/٤-٤٥٥.

٦ الكشّاف للزمخشري، ٤٥٥/٤؛ اللباب لابن عادل، ٣٢٨/١٩.

٧ مرويّ عن ابن عبّاس والضحّاك في جامع البيان للطبري، ٢٢٨/٢٣؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢١٠/٨-٢١١؛ والكشّاف للزمخشري، ٤٥٥/٤.

٨ كما في الكشّاف للزمخشري، ٤٥٥/٤.

٩ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٤١/٣.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ أي: تُسألون وتُحاسبون، عُبّر عنه بذلك تشبيهًا له بعَرْض السلطان العسكرَ لتَعرُّف أحوالهم. رُوي: أنّ في يوم القيامة ثلاثَ عرضات، فأمّا عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ، وأمّا الثالثة ففيها تُنشَر الكتب، فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله.[1] وهذا وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لمّا كان اليوم اسمًا لزمان متّسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وإدخال أهل الجنّةِ الجنّةَ وأهل النارِ النارَ. صحّ جعله ظرفًا للكلّ.

﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ حال مِن مرفوع ﴿تُعْرَضُونَ﴾، أي: تُعرَضون غيرَ خافٍ عليه تعالى سِرّ مِن أسراركم قبل ذلك أيضًا، وإنّما العَرْض لإفشاء الحال والمبالغة في العدل، أو غيرَ خافٍ يومئذ على الناس، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق، ٩/٨٦]. وقرئ: "يَخْفَى"[2] بالياء التحتانيّة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ تفصيل لأحكام العَرْض ﴿فَيَقُولُ﴾ تبجّحًا وابتهاجًا ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ ﴿هَا﴾ اسمٌ لـ"خُذْ"، وفيه ثلاث لغات أجودُهنّ "هاءَ يا رجلُ" و"هاءِ يا امرأة" و"هاؤما يا رجلان أو امرأتان" و"هاؤم يا رجال" و"هاؤنّ يا نِسوة"، ومفعوله محذوف.

و﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ مفعول ﴿ٱقْرَءُواْ﴾؛ لأنّه أقرب العاملَين ولأنّه لو كان مفعولَ ﴿هَآؤُمُ﴾ لقيل: اقرؤه؛ إذ الأَولى إضماره حيث أمكن. والهاء فيه وفي ﴿حِسَابِيَهْ﴾[3] و﴿مَالِيَهْ﴾[4] و﴿سُلْطَٰنِيَهْ﴾[5] للسَّكْت تثبُت في الوقف وتسقُط في الوصل، واستُحِبّ إثباتها لثباتها في الإمام.[6]

---

[1] مرويّ بمعناه عن أبي موسى الأشعري وابن مسعود وقتادة في جامع البيان للطبري، ٢٣/٢٣٠-٢٣١؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٨/٢١١؛ وبلفظه مِن غير عزو في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥٥.

[2] قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٣٨٩.

[3] في الآية التالية.

[4] في الآية الثامنة والعشرين مِن هذه السورة.

[5] في الآية التاسعة والعشرين مِن هذه السورة.

[6] الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥٥.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي: علِمت، ولعلّ التعبيرَ عنه بـ"الظنّ" للإشعار بأنّه لا يقدح في الاعتقاد ما يَهْجِس في النفس مِن الخطَرات التي لا تنفكّ عنها العلوم النظريّة غالبًا.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ ذات رضًا على النِّسبة بالصيغة، كما يقال: "دارِع" في النسبة بالحِرَف، أو جُعل الفعل لها مجازًا وهو لصاحبها، وذلك لكونها صافيةً عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ مرتفعة المكان؛ لأنّها في السماء أو الدرجات أو الأبنية والأشجار.

﴿قُطُوفُهَا﴾ جمعُ "قِطْف" وهو ما يُجتنى بسرعة، و"القَطْف" بالفتح مصدر. ﴿دَانِيَةٌ﴾ يتناولها القاعد.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ بإضمار القول، والجمع باعتبار المعنى. ﴿هَنِيئًا﴾ أكلًا وشربًا هنيئًا أو هنئتم هنيئًا ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾ بمقابلة ما قدّمتم مِن الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي: الماضية في الدنيا، وعن مجاهِد: أيّام الصيام.[1]

ورُوي: يقول الله تعالى: «يا أوليائي طالما نظرتُ إليكم في الدنيا وقد قلّصت شفاهكم عن الأشربة وغارَت أعينكم وخمِصَت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم و﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الآية».[2]

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾

[٢٢٢ظ] / ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ ورأى ما فيه مِن قبائح الأعمال ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ لِما شاهد مِن سوء العاقبة.

﴿يَا لَيْتَهَا﴾ يا ليت المَوتةَ التي مُتُّها ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ أي: القاطعةَ لأمري ولم أُبعث بعدها، ولم ألقَ ما ألقى، فضمير ﴿لَيْتَهَا﴾ للمَوتة، ويجوز أن يكون لِما شاهده مِن الحالة، أي: يا ليت هذه الحالةَ كانت المَوتة التي قضت عليّ،

---

[1] الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥٦.
[2] الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥٦.

لِما أنّه وجدها أمرّ مِن الموت فتمنّاه عندها. وقد جُوّز أن يكون للحياة الدنيا، أي: يا ليت الحياة الدنيا كانت الموتةَ ولم أُخلق حيًّا.[١]

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ﴾ ما ليَ مِن المال والأتباع، على أنّ ﴿مَا﴾ نافية، والمفعول محذوف، أو استفهاميّة للإنكار، أي: أيّ شيء أغنى عنّيْ ما كان لي مِن اليسار.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ أي: مُلكي وتسلُّطي على الناس، أو حجّتي التي كنت أحتجّ بها في الدنيا، أو تسلّطي على القوى والآلات فعجَزت عن استعمالها في العبادات.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧﴾

﴿خُذُوهُ﴾ حكاية لِما يقوله الله عزّ وجلّ يومئذ لخزَنة النار ﴿فَغُلُّوهُ﴾ أي: شدُّوه بالأغلال.

﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي: لا تُصلّوه إلّا الجحيمَ، وهي النار العظيمة، ليكون الجزاء على وَفق المعصية، حيث كان يتعظّم على الناس.

﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا﴾ أي: طولها ﴿سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ﴾ فأَدْخِلوه فيها بأن تلفُّوها على جسده، فهو فيما بينها مُرهَق لا يستطيع حَراكًا ما، وتقديمُ "السلسلة" كتقديم ﴿ٱلۡجَحِيمَ﴾[٢] للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذِكر ألوان ما يعذَّب به. و﴿ثُمَّ﴾ لتفاوت ما بين الغلّ والتصلية وما بينها وبين السَّلك في السلسلة في الشدّة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ تعليل بطريق الاستئناف التحقيقي، ووصفُه تعالى بالعِظم للإيذان بأنّه المستحقّ للعَظمة فحسب، فمَن نسبها إلى نفسه استحقّ أعظمَ العقوبات.

---

١ كما في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٤٢/٣.
٢ في الآية السالفة.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ ولا يحثّ على بذل طعامه أو على إطعامه فضلًا عن أن يبذل مِن ماله. وقيل: ذُكر الحضّ للتنبيه على / أنّ تارك الحضّ [٢٢٣و] بهذه المنزلة، فما ظنّك بتارك الفعل؟[١] وفيه دلالة على أنّ الكفّار مخاطَبون بالفروع في حقّ المؤاخذة. قالوا: تخصيص الأمرين بالذِّكر لِما أنّ أقبح العقائد الكفر وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب.[٢]

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ أي: قريب يحميه ويدفَع عنه ويحزَن عليه؛ لأنّ أولياءه يتحامَونه ويفِرّون منه.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ أي: مِن غُسالة أهل النار وصديدهم "فِعْلِين" مِن "الغَسْل".

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ أصحاب الخطايا، مِن "خطِئ الرجل" إذا تعمّد الذنب مِن الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعَمْد، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّهم المشركون.[٣] وقُرئ: "الخَاطِيُونَ"[٤] بإبدال "الهمزة" "ياء"، وقُرئ بطرحها.[٥] وقد جُوّز أن يُراد بهم الذين يتخطّون الحقّ إلى الباطل ويتعدّون حدود الله.[٦]

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أي: فأقسم، على أنّ ﴿لَا﴾ مزيدة للتأكيد. وأمّا حملُه على معنى نفي الإقسام لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق،[٧] فيردّه تعيين المُقسَم به

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥٦.
٢ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٤٣.
٣ الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥٧.
٤ قراءة شاذّة، مرويّة عن الزُّهري والحسن. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٤.
٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وابن عبّاس وأبي جعفر وشيبة. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦١؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٤.
٦ كما في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥٧.
٧ كما في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٤٣.

بقوله تعالى: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾، كما مرّ في سورة الواقعة،[١] أي: أقسِم بالمشاهَدات والمغيّبات. وقيل: بالدنيا والآخرة. وقيل: بالأجسام والأرواح والإنس والجنّ والخلق والخالق والنِّعم الظاهرة والباطنة.[٢] والأوّل منتظِم[٣] للكلّ.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآنَ ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ يبلّغه عن الله تعالى، فإنّ الرسول لا يقول عن نفسه ﴿كَرِيمٍ﴾ على الله تعالى، وهو النبيّ أو جبريلُ عليهما السلام.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تزعمون تارةً ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ إيمانًا قليلًا تؤمنون.

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ كما تدّعون ذلك تارةً أخرى ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تذكُّرًا قليلًا أو زمانًا قليلًا تتذكّرون على أنّ القِلّة بمعنى النفي، أي: لا تؤمنون ولا تتذكّرون أصلًا. قيل: ذِكر الإيمان مع نفي الشاعريّة والتذكُّرِ مع نفي الكاهنيّة؛ لِما أنّ عدم مشابهة القرآن الشعرَ أمر بيّن لا يُنكره إلّا معانِد، بخلاف مُباينته / للكِهانة، فإنّها تتوقّف على تذكّر أحواله صلّى الله عليه وسلّم ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكَهَنة ومعاني أقوالهم.[٤] وأنت خبير بأنّ ذلك أيضًا ممّا لا يتوقّف على تأمّل قطعًا. وقُرئ بـ"الياء" فيهما.[٥] [٢٢٣ظ]

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ نزّله على لسان جبريلَ عليه السلام.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ سُمّي الافتراء تقوُّلًا لأنّه قَول متكلَّف، والأقوالُ المفتراة أقاويلَ تحقيرًا لها، كأنّها جَمْع "أُفْعُولة" مِن "القول" كـ"الأضاحيك".[٦]

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ أي: بيمينه.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ أي: نِياط[٧] قلبه، بضرب عُنقه، وهو تصوير لإهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمَن يغضبون عليه، وهو أن يأخذ القتّال بيمينه ويكفَحه

---

١ في الآية الخامسة والسبعين منها.
٢ القولان في الكشّاف للزمخشري، ٤٥٧/٤.
٣ س: المنتظم.
٤ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٤٣/٣.
٥ قرأ بها ابن كثير ويعقوب وهشام. النشر لابن الجزري، ٣٩٠/٢.
٦ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤٥٧/٤.
٧ النِّياط: عِرق عُلِّق به القلب مِن الوتين، فإذا قُطع مات صاحبه. لسان العرب لابن منظور، «نيط».

بالسيف ويضرب عُنقه. وقيل: اليمين بمعنى القوّة،[١] قال قائلهم:

إذا ما رايــة رُفــعــتْ لـمَـجـدٍ تـلـقّـاهـا عَـرابـة بـالـيـمـينِ[٢]

﴿فَمَا مِنكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾ عن القتل أو المقتول ﴿حَٰجِزِينَ﴾ دافعين، وَصف لـ﴿أَحَدٍ﴾ فإنّه عامّ.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لأنهم المُنتفِعون به.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ فنُجازيهم على تكذيبهم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين به.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ الذي لا يحوم حوله ريب ما.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: فسبِّح بذِكر اسمه العظيم تنزيهًا له عن الرضا بالتقوّل عليه وشكرًا على ما أُوحيَ إليك.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة الحاقّة حاسبه الله تعالى حسابًا يسيرًا».[٣]

١ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٤٤.

٢ البيت للشّمّاخ في ديوانه، ص ٣٣٦؛ وهو له في التفسير البسيط للواحدي، ٢٢/١١٨٩؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٨/٢١٤.

٣ الكشف والبيان للثعلبي، ٢٧/٢٧٢ (الحاقة، ٦٩/١)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٤/٣٤٣ (الحاقة، ٦٩/١)؛ الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥٨. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ١/٢٤٠.

٦٩

سُورَةُ الحَاقَّةِ

مكية، إحدى أو اثنتان وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿**الحاقّةُ**﴾ أيِ: القِيامةُ التي يَحِقّ فيها ما أُنكِر من البعث والحِساب والجزاء أو المُظهِرةُ لذلك، ٢ ـ ﴿**ما الحاقّةُ**﴾؟ تعظيمٌ لشأنها ـ وهما مُبتدأ وخبرٌ، خبرُ: الحاقّة ـ ٣ ـ ﴿**وما أدراكَ**﴾: أعلَمَكَ: ﴿**ما الحاقّةُ**﴾؟ زيادةُ تعظيم لشأنها. فـ «ما» الأُولى: مُبتدأ وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها: في محلّ المفعول الثاني لـ «أدرى».

سُورَةُ الحَاقَّةِ

قولُهُ: (القِيَامَةُ) أو السَّاعَةُ، أو الحاقَّةُ التي يَحِقُّ وُقوعُها.

قولُهُ: (فِيهَا) أي: التي تحِقُّ فيها الأمُور؛ أي: تُعرَفُ حَقيقَتُها، أو يَقعُ فيها حَواقُّ الأمُورِ، على الإسنادِ المجازيِّ، أو يَحقُّ لكُلِّ قومٍ عملُهُم.

قولُهُ: (أو المُظْهِرَةُ) لم يَظهَر وجهُهُ.

قولُهُ: (تَعظِيمٌ لشَأنِهَا) أصلهُ: ما هي؟ أي: أيُّ شيءٍ هي؟ على التَّعظيمِ لشأنِها والتَّهويلِ لها، فوَضعَ الظَّاهرَ موضعَ الضَّميرِ؛ لأنَّه أهلٌ لها.

قولُهُ: (أُعَلِّمُكَ) أي: أيُّ شيءٍ أعلَمُك؟ أي: أيُّ شيءٍ هيَ؟ أي: إنَّك لا تعلَمُ كُنهَها، فإنَّها أعظمُ من أن يبلُغَها درايَةُ أحَدٍ.

قولُهُ: (ومَا بَعدَهَا) أي: ﴿أدراك﴾.

قولُهُ: (فِي مَحَلِّ المَفعُولِ الثَّانِي) الصَّوابُ: أنَّه في محلِّ النَّصبِ على أنَّه المفعولُ الثَّاني.

٤ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعادٌ بِالقارِعةِ﴾: القِيامةِ لأنها تقرع القُلوب بأهوالها. ٥ ـ ﴿فأمّا ثَمُودُ فأُهلِكُوا بِالطَّاغِيةِ﴾: بالصيحة المُجاوزة للحدّ في الشِّدّة، ٦ ـ ﴿وأمّا عادٌ فأُهلِكُوا بِرِيحٍ صَرصَرٍ﴾: شديدة الصوت ﴿عاتِيةٍ﴾: قويّة شديدة على عادٍ مع قوّتهم وشِدّتهم، ٧ ـ ﴿سَخَّرَها﴾: أرسلها بالقهر ﴿عليهِم سَبعَ لَيالٍ وثَمانِيةَ أيّامٍ﴾ ـ أوّلُها من صُبح يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من شوّال، وكانت في عَجُز الشتاء ـ ﴿حُسُومًا﴾: مُتتابعاتٍ، شُبّهتْ بتتابع فِعل الحاسم في إعادة الكيّ على الداء كرّة بعد أُخرى حتّى ينحسم، ﴿فترَى القَومَ فِيها صَرعَى﴾: مطروحِينَ هالكينَ، ﴿كأنَّهم أعجازُ﴾: أصولُ ﴿نَخلٍ خاوِيةٍ﴾: ساقطة فارغة. ٨ ـ ﴿فهَل تَرَى لَهُم مِن باقِيةٍ﴾: صفةُ «نفس» مُقدّرة، أو التاءُ للمبالغة، أي: باقٍ؟ لا.

قولُهُ: (القِيَامَةِ) وضِعَت مَوضِعَ الحاقَّة زيادَةً في وَصفِ شدَّتِها.

قولُهُ: (بالصَّيحَةِ) لتكذيبِهم بالقارِعَةِ.

قولُهُ: (شَدِيدَةِ الصَّوتِ) أو البَردِ.

قولُهُ: (قَوِيَّةٍ) مُتجاوِزَةٍ عن الحدِّ في العادَةِ؛ لعُتوِّهِم عن الأمورِ الحاقَّةِ، أو شديدَةِ العَصفِ كأنَّها عتَتْ على خُزَّانِها فلم يَستَطيعوا صَدَّها، أو على عادٍ فلم يقدِروا رَدَّها.

قولُهُ: (﴿سَخَّرَهَا﴾) سَلَّطَها عليهم بقُدرَتِهِ، استئنافٌ أو صفَةٌ.

قولُهُ: (يَومَ الأَربِعَاءِ) وقالَ الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: كان أوَّلَها الجمعةُ، أخرجَهُ ابنُ أبي حاتِمٍ، كذا في «المبهمات»[1].

قولُهُ: (مِن شَوَّالٍ) إلى غرُوبِ الأربعاءِ الآخرِ.

قولُهُ: (وكَانَتْ فِي عَجُزِ الشِّتَاءِ) كأنَّه يُهرَمُ فيها، ولذا سُمِّيت: أيَّامَ العَجُوزِ.

قولُهُ: (مُتَتَابِعَاتٍ) جمعُ: حاسِم.

قولُهُ: (حتَّى تَنحَسِم) أي: تنقَطِعَ، أو نحِساتٍ حَسَمَت كُلَّ خَيرٍ وقطعَتهُ واستأصَلَتهُ، أو قاطِعاتٍ قَطَعَت دابرَهُم.

قولُهُ تعالى: (﴿فَتَرَى﴾) أيُّها الرَّائي لو كنتَ حاضرَهُم فيها؛ أي: في مهابّها، أو في اللَّيالي والأيَّامِ.

قولُهُ: (هَالِكِينَ) أي: مَوتى، جمعُ: صَريعٍ.

قولُهُ: (فَارِغَةٍ) أي: مُتآكلَةِ الأجوافِ، أو خاليَةٍ من الأرواحِ؛ أي: في هذا الوَصفِ، وإلا فهم كانوا أطوَلَ من النَّخيلِ.

قولُهُ: (أي: بَاقٍ) أو بقيَّةٍ، أو بقاءٍ.

قولُهُ: (لا) أي: استفهاميَّةٌ للإنكارِ؛ أي: لا تَرى ولا تعلَمُ.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٢).

٩ ـ ﴿وجاءَ فِرعَونُ ومَن قِبَلَهُ﴾: أتباعُه ـ وفي قِراءة بفتح القاف وسكون الباء، أي: مَن تقدّمه من الأُمم الكافرة ـ ﴿والمُؤتَفِكاتُ﴾ أي: أهلها وهي قُرى قوم لُوط ﴿بِالخاطِئةِ﴾: بالفَعَلات ذات الخطإ، ١٠ ـ ﴿فعَصَوا رَسُولَ رَبِّهِم﴾ أي: لوطًا وغيره، ﴿فأخَذَهُم أخذةً رابِيةً﴾: زائدةً في الشِّدّة على غيرها.

١١ ـ ﴿إنّا لَمّا طَغَى الماءُ﴾: علا فوق كُلّ شيء من الجِبال وغيرها زمن الطوفان ﴿حَمَلْناكُم﴾ يعني آباءكم، إذ أنتم في أصلابهم، ﴿في الجارِيةِ﴾: السفينة التي عملها نُوح، ونجا هو ومَن كان معه فيها وغرِق الباقون، ١٢ ـ ﴿لِنَجعَلَها﴾ أي: هذه الفَعلةَ ـ وهي إنجاء المُؤمنين وإهلاك الكافرين ـ ﴿لَكُم تَذكِرةً﴾: عظة، ﴿وتَعِيَها﴾: ولتحفظها ....

قولُهُ: (أَتبَاعُهُ) أي: ومن عندَهُ من أتباعِهِ، ويدُلُّ عليهِ أنَّه قُرئَ: (ومَن مَعَه)[1].

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) لغيرِ البصريِّ والكَسائيِّ[2].

قولُهُ: (وَهيَ قُرَى قَومِ لُوطٍ) أي: المنقَلِباتِ.

قولُهُ: (بالفَعلاتِ) أي: بالخَطأ، أو بالفَعلَةِ.

قولُهُ: (أي: لُوطاً وغَيرَهُ) إن كانَ ضَميرُ: ﴿عَصوا﴾ راجعاً إلى فرعَونَ، والمؤتَفِكاتِ؛ كانَ حقُّهُ أن يقولَ: أي مُوسى ولوطاً؛ لتقَدُّمِ مُوسى ذِكراً ورُتبَةً، أو لُوطاً ومُوسَى؛ لتقَدُّمِ لُوطٍ زَماناً، وإن كان راجِعاً إلى جميعِ المكَذِّبينَ المذكُورينَ في أوّلِ هذه السُّورَةِ، فالأولى أن يقولَ: صالِحاً وغيرَهُ، وحينئذٍ فالمرادُ بـ﴿رَسُولِ رَبِّهِم﴾: الجِنس، أو التَّقديرُ: فعَصى كلُّ أمَّةٍ رسولَها.

قولُه: (عَلى غَيرِهَا) من جِنسِها؛ زيادَةَ أعمالِهم في القُبحِ.

قولُهُ: (يَعني: آبَاءَكُم) وهُم أبناءُ نُوحٍ.

قولُهُ: (الفَعلَةَ) أو السَّفينَةَ.

قولُهُ: (عِظَةً) وعبرَةً، ودَلالَةً على قُدرَةِ الصَّانِعِ وحكمَتِهِ، وكَمالِ قُدرَتِهِ ورَحمَتِهِ.

قولُهُ: (ولِيَحفَظَهَا) عَطفٌ على: (تَجعَلَهَا) وما ذكرَ القاضي[3] عن ابنِ كَثيرٍ: (وتَعْيهَا) بسُكونِ العَينِ،

---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لأبي، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٨٣).

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٧).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٠).

﴿أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾: حافظة لِما تسمع.

١٣ ـ ﴿فإذا نُفِخَ في الصُّورِ نَفْخةٌ واحِدةٌ﴾ للفصل بين الخلائق ـ وهي الثانية ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ﴿وحُمِلَتِ﴾: رُفِعَتِ ﴿الأرضُ والجِبالُ، فدُكَّتا﴾: دُقَّتا ﴿دَكَّةً واحِدةً، فيَومَئذٍ وَقَعَتِ الواقِعةُ﴾: قامتِ القِيامة، ١٦ ـ ﴿وانشَقَّتِ السَّماءُ، فهْيَ يَومَئذٍ واهِيةٌ﴾: ضعيفة، ١٧ ـ ﴿والمَلَكُ﴾ ـ يعني الملائكة ـ ﴿على أرجائها﴾: جوانب السماء، ﴿ويَحمِلُ عَرشَ رَبِّكَ فَوقَهُم﴾ أي: الملائكةِ المذكورين ﴿يَومَئذٍ ثَمانيةٌ﴾ من الملائكة أو من صُفوفهم، ....

لعلَّهُ شاذٌّ[١]، والوَعي: أن تحفَظَ الشَّيءَ في نَفسِكَ، والإيعاءُ: أن تحفَظَهُ في غَيرِك[٢].

قولُهُ: (حَافِظَةٌ) أي: من شأنِها أن تحفَظَ ما يجبُ حفظُه بتذكُّرِهِ وإشاعَتِهِ، والتَّفَكُّرِ فيه والعملِ بموجِبِهِ، وقيل: الواعيَةُ لِذكرِ الله، الخاليَةُ عمَّا سِواهُ.

قولُهُ: (وهِيَ الثَّانِيَةُ) وقيل: الأولى، وجزَمَ بها القاضي[٣] وهو غَيرُ ظاهِرٍ.

قولُهُ: (رُفِعَت) من أماكِنِها بمُجرَّدِ القُدرَةِ الكامِلَةِ، أو بتوسُّطِ زلزَلَةٍ، أو ريحٍ عاصِفَةٍ.

قولُهُ: (دُقَّتا) أي: ضُرِبَت الجُملتانِ بعضُها ببعضٍ ضربَةً واحدَةً، فيَصيرُ الكُلُّ هَباءً[٤].

قولُهُ: (ضَعِيفَةٌ) مُستَرخيَةٌ، وانشِقاقُها لنُزولِ الملائكَة.

قولُهُ: (يَعنِي: المَلائِكَةَ) أي: الجِنسَ المتعارَفَ بالمَلَكِ.

قولُهُ: (جَوَانِبِ السَّمَاءِ) جمعُ: رَجا، بالقَصرِ.

قولُهُ: (مِنَ المَلائِكَةِ) لما رويَ مَرفوعاً: «إنَّهُم اليَومَ أَربَعَةٌ، فإذا كانَ يَومُ القِيامَةِ أيَّدَهُمُ اللهُ بِأَربَعَةٍ أُخرَى»[٥].

قولُهُ: (أو مِن صُفُوفِهِم) لا يعلَمُ عدَّتَهُم إلا اللهُ، أخرَجَ ابنُ أبي حاتِمٍ عن أبي زَيدٍ قالَ: لم يُسَمَّ من حَمَلَةِ العَرشِ إلا إسرافيلَ، قال: وميكائيلُ ليسَ من حَمَلَةِ العَرشِ[٦].

---

(١) قال ابن مهران في «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٤٤٤): قرأ ابن كثير في رواية القواس ساكنة العين، هكذا في الترجمة بسكون العين. وذكرها صاحب «شواذ القراءات» (ص: ٤٨٣) مع نسبتها لطلحة.

(٢) انظر: «الكليات» لأبي البقاء الكفوي (ص: ٩٤٤).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٠).

(٤) في (م): زيادة «منثورا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٤) عن ابن إسحاق بلاغاً.

(٦) كذا في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٠)، و«مفحمات الأقران» (ص: ١١٢).

١٨ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعرَضُونَ﴾ للحِساب، ﴿لا تَخفَى﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿مِنكُم خافِيَةٌ﴾ من السرائر.

١٩ ـ ﴿فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ فيَقُولُ﴾ خِطابًا لجماعته لِما سُرَّ به: ﴿هاؤُمُ﴾: خُذوا ﴿اقرَؤُوا كِتابِيَهْ﴾: تنازعَ فيه «هاؤم» و«اقرؤوا». ٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿إنِّي ظَنَنتُ﴾: تيقّنتُ ﴿أنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ. فهُوَ في عِيشَةٍ راضِيةٍ﴾: مَرْضيّة، ٢٢ ـ ٢٣ ـ ﴿في جَنّةٍ عالِيةٍ، قُطُوفُها﴾: ثِمارها ﴿دانِيةٌ﴾: قريبةٌ يتناولها القائم والقاعد والمُضطجع، فيقال لهم: ٢٤ ـ ﴿كُلُوا واشرَبُوا هَنِيئًا﴾: حالٌ أي: مُتهنِّئين ﴿بِما أسلَفتُم في الأيّامِ الخالِيةِ﴾: الماضية في الدنيا.

قولُهُ: (للحِسَابِ) تَشبيهاً للمُحاسَبَةِ بعَرضِ السُّلطانِ العسكَرَ ليتعرَّفَ أحوالَهُم.

قولُهُ: (والياءُ) للتَّذكيرِ، حمزَةُ والكَسائي(١).

قولُهُ: (مِنَ السَّرَائرِ) أي: سَرِيرَةٌ على الله حتَّى يكونَ العَرضُ للاطِّلاعِ عليها، وإنَّما المرادُ منه: إفشاءُ الحالِ، والمبالَغَةُ في العَدلِ، أو على النَّاسِ كما قالَ: ﴿يَومَ تُبلَى السَّرَائِرُ﴾.

قولُهُ: (لِمَا) تعليليَّةٌ، أو ظَرفيَّةٌ.

قولُهُ: (خُذُوا) اسمُ فِعلٍ.

قولُهُ: (واقْرَؤُوا) والصَّحيحُ أنَّ مَفعولَ ﴿هَاؤُمُ﴾ مَحذوفٌ، و﴿كِتَابِيَه﴾ مَفعُول: ﴿اقرَؤُوا﴾؛ لأنَّه أقرَبُ العامِلَين.

قولُهُ: (تَيَقَّنْتُ) قال القاضِي(٢): ولعلَّهُ عبَّرَ عن العِلمِ بالظَّنِّ؛ إشعاراً بأنَّه لا يقدَحُ في الاعتقادِ ما يهجُسُ في النَّفسِ من الخَطَراتِ التي لا تنفَكُّ عنها العُلومُ النَّظَريَّة غالِباً. انتهى.

لكن فيه بَحثٌ إذ هذه المسألَةُ من القَطعيَّاتِ؛ للنُّصوصِ من الآياتِ والأخبارِ وإجماعِ الأمَّةِ بحيثُ إنَّها صارَت من جُملَةِ المعلوماتِ بالضَّرورَةِ من الشَّرعِ.

قولُهُ: (مَرضِيَّة) فاعِلَة بمَعنى: مَفعولَة، أو ذاتِ رِضا على النِّسبَةِ بالصِّيغَة.

قولُهُ: (فَيُقَالُ لَهُم) ولو بلسانِ الحالِ، وجُمِعَ الضَّميرُ لمَعنى: ﴿من﴾.

قولُهُ: (حَالٌ) أو مصدَرٌ؛ أي: أكلاً وشُرباً هَنيئًا، أو هَنِئتُم هَنِيًّا، أو بحَذفِ مُضافٍ، أو مُبالَغَةً.

قولُهُ: (المَاضِيَة) من أيَّامِ الدُّنيا بما قدَّمتُم من الأعمالِ الصَّالحَة، أو الخاليَةِ عن الأكلِ والشُّربِ كأيَّامِ رمضانَ، أو أوقاتِ الفقرِ فحينئذٍ المعنى: بما قدَّمتُم من الصَّبرِ والصَّوم.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٣)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٦).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤١).

٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿وأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فيَقولُ: يا﴾ ـ للتنبيه ـ ﴿لَيتَني لَم أُوتَ كِتابِيَهْ، ولَم أدرِ: ما حِسابِيَهْ؟ يا لَيتَها﴾ أي: الموتةَ في الدنيا ﴿كانَتِ القاضِيَةَ﴾: القاطعة لحياتي بألاّ أُبعث. ٢٨ ـ ٢٩ ـ ﴿ما أغنَى عَنِّي مالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلطانِيَهْ﴾: قوّتي وحُجّتي. وهاء «كتابيه وحسابيه، وماليه وسلطانيه» للسكْت، تَثبُتُ وقفًا ووصلاً اتّباعًا للمُصحفِ الإمام والنقلِ. ومنهم من حذفها وصلاً.

٣٠ ـ ﴿خُذُوهُ﴾ ـ خِطابٌ لخزَنة جهنّم ـ ﴿فغُلُّوهُ﴾: اجمعوا يديه إلى عُنقه في الغُلّ، ٣١ ـ ﴿ثُمَّ الجَحِيمَ﴾: النارَ المُحرقة ﴿صَلُّوهُ﴾: أدخِلوه، ٣٢ ـ ﴿ثُمَّ في سِلسِلةٍ ذَرعُها سَبعُونَ ذِراعًا﴾ بذراع المَلَك ﴿فاسلُكُوهُ﴾ أي: أدخِلوه فيها بعد إدخاله النارَ. ولم تمنع الفاءُ من تعلّق الفعل بالظرف المُتقدّم. ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿إنّهُ كانَ لا يُؤمِنُ باللهِ العَظِيمِ، ولا يَحُضُّ علَى طَعامِ المِسكِينِ. فلَيسَ لَهُ اليَومَ هٰهُنا حَمِيمٌ﴾: قريب ينتفع به، ٣٦ ـ ﴿ولا طَعامٌ إلاّ مِن غِسلِينٍ﴾: صديدِ أهل النار أو شجرٍ فيها، ٣٧ ـ ﴿لا يأكُلُهُ إلاّ الخاطِئُونَ﴾: الكافرون.

قولُهُ: (للتَّنبِيهِ) أو مُناداةِ مَحذوفٍ؛ أي: يا قَومُ.

قولُهُ تعالَى: (﴿مَا أَغنَى عَنِّي مَالِيَه﴾) أي: ما لي من المالِ والتَّبَعِ، و﴿ما﴾ نفيٌ، والمفعولُ محذوفٌ؛ أي: شيئاً، أو استفهامُ إنكارٍ مفعُولٌ لـ﴿أغنَى﴾.

قولُهُ: (قُوَّتِي) ومُلكي وتَسَلُّطي على النَّاس.

قولُهُ: (وحُجَّتِي) الواو بمَعنى: أو؛ أي: حُجَّتي التي أَحُجُّ بها في الدُّنيا.

قولُهُ: (ومِنهُم) وهو حمزَة في ﴿ماليَه﴾ و﴿سُلطَانِيَه﴾، ويعقوبُ من العشرَة في الأربعَةِ[1].

قولُهُ: (خِطَابٌ) منَ اللهِ.

قولُهُ تعَالَى: (﴿ولا يَحُضُّ﴾) أي: ولا يحُثُّ على بذلِ طعامِهِ، أو على إطعامِهِ فَضلاً أن يبذُلَ من مالِهِ.

قولُهُ: (﴿غِسلِين﴾ وصَدِيد) فعلينِ من الغَسلِ.

قولُهُ: (الكَافِرُونَ) أي: أصحابُ الخَطايا، مِن (خَطِئَ الرَّجلُ): إذا تعمَّدَ الذَّنبَ، لا من الخَطأ المضادِّ للصَّوابِ، فإنَّه يقالُ فيه: أخطَأَ، وقَولُ القاضِي[2] وقُرِئَ: ﴿الخَاطِيون﴾ بقَلبِ الهمزَةِ ياءً، و﴿الخَاطون﴾ بطَرحِها، فقد قرَأ بهما حَمزَةُ وَقفاً[3].

---

(١) انظر: «الكنز في القراءات العشر» (٢/ ٦٩١)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ١٤٢).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٢).

(٣) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٠٠) وقال: وفيه لحمزة إن وقف ثلاثة تسهيل الهمزة بينها وبين الواو وإبدالها ياءً ونقل حركتها إلى الطاء وحذفها ويجوز مع كل من الثلاثة المد والتوسط والقصر.

٣٨ ـ ﴿فلا﴾ لا: زائدة ﴿أُقسِمُ بِما تُبصِرُونَ﴾ من المخلوقات، ٣٩ ـ ﴿وما لا تُبصِرُونَ﴾ منها، أي: بكل مخلوق. ٤٠ ـ ﴿إنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي: قاله رسالةً عن الله تعالى ٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿وما هُوَ بِقَولِ شاعِرٍ، قَلِيلاً ما تُؤمِنُونَ، ولا بِقَولِ كاهِنٍ ـ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾، بالتاء والياء في الفعلين. وما: زائدة مُؤكّدة، والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكّروها مما أتى به النبيّ ﷺ من الخير والصلة والعفاف، فلم تُغنِ عنهم شيئًا ـ ٤٣ ـ بل هو ﴿تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾.

٤٤ ـ ﴿ولَو تَقَوَّلَ﴾ أي: النبيُّ ﴿عَلَينا بَعضَ الأقاوِيلِ﴾ بأن قال عنّا ما لم نقُله ٤٥ ـ ﴿لَأَخَذْنا﴾: لَنِلنا ﴿مِنهُ﴾ عِقابًا ﴿بِاليَمِينِ﴾: بالقُوّة والقُدرة، ٤٦ ـ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنهُ الوَتِينَ﴾: نِياطَ القلب ـ وهو عِرق مُتّصل به إذا انقطع مات صاحبه ـ ٤٧ ـ ﴿فما مِنكُم مِن أحَدٍ﴾ هو اسم «ما» ومِن: زائدة لتأكيد النفي، ومنكم: حال من: أحد، ﴿عَنهُ حاجِزِينَ﴾: مانعين، خبرُ «ما». وجُمِعَ لأنّ «أحدًا» في سياق النفي بمعنى الجمع. وضمير «عنه» للنبيّ، أي: لا مانعَ لنا عنه من حيثُ العِقابُ.

٤٨ ـ ٤٩ ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَتَذكِرةٌ لِلمُتَّقِينَ، وإنّا لَنَعلَمُ أنَّ مِنكُم﴾......................

قولُهُ: (﴿لا﴾ زَائِدَةٌ) ﴿لا﴾ رَدٌّ لإنكارِهِم البَعثَ، و﴿أُقسِمُ﴾ مُستَأنفٌ، أو ﴿فَلا أُقسِمُ﴾ لظُهورِ الأَمرِ، واستِغنائِهِ بالتَّحقيقِ بالقَسَمِ.

قولُهُ: (بِكُلِّ مَخلُوقٍ) أو بالمشاهَداتِ، أو المغيَّباتِ، وذلك يَتَناوَلُ الخالِقَ والمخلوقاتِ بأسرِها.

وقَولُهُ: (﴿كَرِيم﴾) أي: على اللهِ تعالى، وهو محمَّدٌ، أو جبريلُ.

قولُهُ: (رِسَالَةً) فإنَّ الرَّسولَ لا يَقولُ عن نَفسِهِ.

قولُهُ: (والياءِ) للغيبةِ، مكّيٌّ وشاميٌّ بخُلْفٍ عن ابنِ ذَكوان[1].

قولُهُ: (نِيَاط القَلبِ) بضَربِ عُنُقِه.

قولُهُ: (و﴿مِنكُم﴾ حَالٌ) والخِطابُ للنَّاس.

قولُهُ: (خَبَر ﴿ما﴾) وهو وصفٌ لـ﴿أَحَد﴾.

قولُهُ: (للنَّبِيِّ) الأحسَنُ من حيثُ الأدبُ في العبارَةِ أن يُقالَ: للمُتقَوِّلِ، أو المقتولِ[2]، وقيل: عن القتلِ.

قولُهُ: (أي: القُرآنَ) عَطفٌ على ما سبَقَ، وما بينَهُما اعتراضٌ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٤).

(٢) في (م): «للمقتول».

ـ أيها الناس ـ ﴿مُكَذِّبِينَ﴾ بالقرآن ومُصدّقين، ٥٠ ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَحَسْرةٌ على الكافِرِينَ﴾ إذا رأوا ثوابَ المُصدّقين وعِقابَ المُكذّبين به، ٥١ ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَحَقُّ اليَقِينِ﴾ أي: لَليقينُ الحقُّ. ٥٢ ـ ﴿فسَبِّحْ﴾: نزِّهْ ﴿بِاسمِ﴾ ـ الباء: زائدةٌ ـ ﴿رَبِّكَ العَظِيمِ﴾.

قولُهُ: (بالقُرآنِ) فيُجازيهم على تكذيبِهِم.

قولُهُ: (ومُصَدِّقِينَ) يَعني: أنَّه من بابِ الاكتِفاءِ، أو هـذا فُهِمَ من قوله تعالى: ﴿وإنَّهُ لَتَذكِرَةٌ لِلمُتَّقِين﴾ [الحاقة: ٤٨]، فإنَّهُم المنتَفِعونَ به، المصَدِّقونَ بحقيقَتِهِ.

قولُهُ: (الحَقُّ اليَقِينِ) إشارَةٌ إلى أنَّه من بابِ إضافَةِ الموصوفِ إلى الصِّفَةِ، وهو مذهَبٌ كوفيٌّ، والبصريُّون يُقَدِّرونَ مُضافاً إليه.

قولُهُ: (أي: لَلْيقينُ) أو في نفسِهِ، أو للكُلِّ لو تأمَّلوا فيه ونَظَروا في مَعانيهِ.

قولُهُ: (زَائِدَةٌ) يعني: الباءُ زائِدَةٌ، والاسمُ يُرادُ به الذَّاتُ والصِّفَة، ويحتمِلُ أنَّه أرادَ أنَّ الاسمَ زائدٌ، وتأنيثُهُ باعتِبارِ الكلمَةِ، ويلزَمُ مِن زيادَتِها زيادَتُها، أو يُقال: كُلُّ واحدَةٍ من الباءِ ومَدخولِها زائدَةٌ، وقالَ القاضِي[1]: فسبِّح الله تعالى بذكرِ اسمِهِ العَظيمِ، والله أعلمُ.

***

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٣).

سُورَةُ الحَاقَّةِ

مكيةٌ، وآيُها إحدى وخمسون آيةً بلا خلافٍ فيهما، ويدلُّ للأول ما أخرجَ الإمامُ أحمد عن عمر بنِ الخطاب ﵁ قال: خرجتُ أتعرَّضُ لرسول الله ﷺ قبل أن أُسلم، فوجدتُه قد سبقني إلى المسجد، فوقفتُ خلفَه، فاستفتَحَ «سورة الحاقة»، فجعلتُ أعجبُ من تأليف القرآن: هذا والله شاعر، فقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [٤١] قلت: كاهن، فقال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [٤٢] إلى آخر السورة، فوقع الإسلامُ في قلبي كلَّ موقع[١].

ولمَّا وقع في «نون» ذِكْرُ يوم القيامة مجملاً شرَحَ سبحانه في هذه السورة الكريمة نبأ ذلك اليوم وشأنه العظيم، وضمَّنه عزَّ وجل ذِكْر أحوال أممٍ كذَّبوا الرسلَ عليهم السلام، وما جرى عليهم؛ ليزدجِرَ المكذِّبون المعاصرون له عليه الصلاة والسلام، فقال عزَّ من قائل:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١﴾ أي: الساعة، أو الحالة التي يحقُّ ويجب وقوعُها، أو التي تحقَّق وتثبتُ فيها الأمورُ الحقَّة من الحساب، والثواب، والعقاب، أو التي تحقُّ فيها الأمور، أي: تُعرف على الحقيقة، من حقَّه يحقُّه: إذا عرف حقيقتَه، ورُوي هذا عن ابن عباس وغيرِه.

وإسنادُ الفعل لها على الوجهين الأخيرين مجازٌ، وهو حقيقة لما فيها من

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٠٧)، وإسناده ضعيف؛ لانقطاعه؛ إذ هو من طريق شريح بن عبيد عن عمر ﵁، ولم يدركه.

الأمور، أو لمن فيها من أولي العلم. وفي «الكشف»: كونُ الإسناد مجازيّاً إنما هو على الوجه الأخير، وأما على الوجه الثاني فيحتمل الإسناد المجازي أيضاً؛ لأن الثبوت والوجوب لِمَا فيها، ويحتمل أن يُراد: ذو الحاقة، من باب تسمية الشيء باسم ما يلابسُه، وهذا أرجح؛ لأن الساعة وما فيها سواءٌ في وجوب الثبوت، فيضعف قرينة الإسناد المجازيِّ، والتجوُّز فيه تصويرٌ ومبالغة. انتهى. وبَحَثَ فيه الجلبيُّ بما فيه بَحْثٌ، فارجع إليه وتدبَّر.

وقال الأزهريُّ[1]: «الحاقة»: القيامة، من حاقَقْتُه فحقَقْتُه، أي: غالبتُه فغلبتُه، فهي حاقَّة؛ لأنها تَحُقُّ كلّ مُحاقٍّ في دين الله تعالى بالباطل، أي: كلَّ مخاصم، فتغلبُه.

وظاهرُ كلامهم أنها على جميع ذلك وصفٌ حُذِف موصوفُه؛ للإيذان بكمال ظهور اتِّصافه بهذه الصفة، وجريانه مجرى الاسم.

وقيل: إنها ـ على ما رُوي عن ابن عباس من كونها من أسماء يوم القيامة ـ اسمٌ جامد لا يُعتَبر معه موصوفٌ محذوف. وقيل: هي مصدرٌ، كالعاقبة والعافية.

وأيًّاما كان فهي مبتدأ خبرُها جملةُ ﴿مَا الْحَاقَّةُ ۝٢﴾ على أن «ما» مبتدأ، و«الحاقة» خبر، أو بالعكس، ورُجِّح معنى، والأولُ هو المشهور، والرابطُ إعادةُ المبتدأ بلفظه، والأصل: ما هي؟ أي: أيّ شيءٍ هي في حالها وصفتها؟ فإن «ما» قد يُطلب بها الصفةُ والحال، فوُضع الظاهر موضع المضمر تعظيماً لشأنها، وتهويلاً لأمرها.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣﴾ أي: أيّ شيءٍ أعلمَكَ ما هي؟ تأكيدٌ لهولها وفظاعتها ببيانِ خروجها عن دائرةِ علوم المخلوقات، على معنى أن عِظَمَ شأنها ومدى هولها وشدَّتها بحيث لا يكادُ تبلُغُه درايةُ أحدٍ ولا وهمُه، وكيفما قدَّرتَ حالَها فهي وراءَ ذلك وأعظم، فلا يتسنَّى الإعلام، ومنه يُعلم أن الاستفهامَ كُني به عن لازِمِه من أنها لا تُعلم، ولا يصلُ إليها درايةُ دارٍ، ولا تبلُغها الأوهامُ والأفكار.

---

(١) تهذيب اللغة ٣/ ٣٧٧.

و«ما» في موضع الرفع على الابتداء، و«أدراك» خبرُه، ولا مساغَ للعكس، و«ما الحاقة» جملةٌ محلُّها النصبُ على إسقاط الخافض؛ لأن أدرى يتعدَّى إلى المفعول الثاني بالباء، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [يونس: ١٦] فلمَّا وقعت جملةُ الاستفهام معلِّقةً له كانت في موضع المفعول الثاني، وتعليقُ هذا الفعل - على ما قيل - لما فيه من معنى العلم، والجملةُ - أعني «ما أدراك» إلخ - معطوفةٌ على ما قبلَها من الجملة الصغرى.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ بالقيامة التي تقرَعُ الناسَ بالإفزاع والأهوال، والسماءَ بالانشقاقِ والانفطار، والأرضَ والجبالَ بالدكِّ والنَّسْف، والنجومَ بالطَّمْس والانكدار. ووضعُها موضعَ ضمير «الحاقة»؛ للدّلالة على معنى القَرْع - وهو ضربُ شيء بشيء - فيها؛ تشديداً لهولها. والجملةُ استئنافٌ مسوقٌ لبيان بعضِ أحوال «الحاقَّة» له عليه الصلاة والسلام إثر تقريرِ أنَّه ما أدراه ﷺ بها أحدٌ، والمبيّن كونها بحيث يحقُّ إهلاكُ من يُكذِّب بها، كأنه قيل: وما أدراك ما الحاقة، كذَّبت بها ثمودُ وعادٌ فأُهلكوا.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ﴾ أي: أهلكهم الله تعالى. وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «فهَلَكوا» بالبناء للفاعل[1]. ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ أي: الواقعة المجاوزةِ للحدِّ، وهي الصَّيحة؛ لقوله تعالى في «هود»: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [٦٧] وبها فُسِّرت «الصاعقة» في «حم» السجدة، أو الرَّجفة؛ لقوله سبحانه في «الأعراف»: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ [٧٨] وهي الزلزلة المُسَبَّبة عن الصيحة، فلا تعارضَ بين الآيات؛ لأن الإسنادَ في بعضٍ إلى السبب القريب، وفي بعضٍ آخر إلى البعيد، والأولُ مرويٌّ عن قتادة، قال: أي: بالصيحة التي خرجَتْ عن حدِّ كلِّ صيحة.

وقال ابن عباس وأبو عُبَيدة[2] وابنُ زيد ما معناه: «الطاغية» مصدرٌ، فكأنه قيل: بطغيانهم، وأُيِّد بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ [الشمس: ١١].

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٢١.
(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٧.

والمعوَّل عليه الأول؛ لمكان قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ وإيضاح ذلك أن الآيةَ فيها جمعٌ وتفريق، فلو قيل: أُهلِكَ هؤلاء بالطغيان، على أن ذلك سببٌ جالب، وهؤلاء بالريح، على أنه سببٌ آليٌّ، لم يكن طِباق؛ إذ جاز أن يكون هؤلاء أيضاً هلكوا بسبب الطُّغيان، وهذا معنى قولِ الزَّمخشري في تضعيف الثاني لعدم الطِّباق بينها وبين «بريح»[1]، لا أنَّ ذلك لأن أحدَهما عينٌ والآخر حَدَثٌ، وما ذُكر من التأييد لا يخفى حالُه.

وكذا يرجح الأولُ على قول مجاهدٍ وابن زيد أيضاً، أي: بسبب الفعلةِ الطاغية التي فَعَلوها، وهي عَقْرُ الناقة. وعلى ما قيل: «الطاغية»: عاقرُ الناقة، والهاءُ فيها للمبالغة، كما في: رجل راوية، وأُهلِكوا كلُّهم بسببه؛ لرضاهم بفعله. وما قيل أيضاً: بسبب الفئة الطاغية. ووجهُ الرُّجحان يُعلم مما ذُكر.

ومرَّ الكلامُ في الصَّرْصَر، فتذكَّر[2]، وهو صفةُ «ريح»، وكذا قولُه تعالى: ﴿عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ أي: شديدة العَصْف، أو عَتَتْ على عادٍ فما قدروا على ردِّها والخلاص منها بحيلة، مِن استتارٍ ببناءٍ، أو لياذٍ بجبل، أو اختفاءٍ في حفرة؛ فإنها كانت تنزعُهم من مكامِنِهم وتُهلكُهم.

والعتوُّ عليهما استعارةٌ، وأصلُه تجاوزُ الحدِّ، وهو قد يكون بالنسبة إلى الغير، وقد لا يكون، ومنه يُعلم الفرقُ بين الوجهين، وأخرج ابنُ جرير[3] عن عليِّ بن أبي طالب كرَّم الله تعالى وجهَه أنه قال: لم تنزل قطرةٌ إلا بمكيالٍ على يدي مَلَك، إلا يوم نوح؛ فإنه أذِنَ للماء دون الخزَّان، فطغى الماءُ على الخزَّان، فخرج، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ [الحاقة: ١١] ولم ينزل شيء من الريح إلا بمكيالٍ على يدي مَلَك، إلا يوم عاد؛ فإنه أَذِنَ لها دون الخزَّان، فخرجت، فذلك قوله تعالى: (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) عَتَت على الخزَّان.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٤٩.

(٢) سلف ٢٤/ ١١٢.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٢١٠-٢١١.

وفي «صحيحي» البخاري ومسلم وغيرهما ما يوافقُه[١]، فهو تفسيرٌ مأثورٌ، وقد حكى ذلك في «الكشَّاف»، ثم قال: ولعلَّها عبارة عن الشدَّة والإفراط فيها[٢]. وخرَّج ذلك في «الكشف» على الاستعارة التمثيلية، ثم قال: إن المَثَل إذا صار بحيثُ يُفهم منه المقصودُ من دون نظرٍ إلى أصل القصَّة جاز أن يقال: إنه كنايةٌ عنه، كما فيما نحن فيه، وجوّز أن يكون هناك تشبيهٌ بليغٌ من العتوِّ: وهو الخروجُ عن الطاعة.

وقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ إلخ، استئنافٌ جيءَ به بياناً لكيفية إهلاكهم بالريح، وجُوِّز أن يكون صفةً أخرى، وأنه جيء به لنفي ما يُتوهَّم من أنها كانت من اقترانات بعض الكواكب ببعض، ونزولها في بعض المنازل؛ إذ لو وُجدت الاقتراناتُ المقتضيةُ لبعض الحوادث كان ذلك بتقديره تعالى وتسبيبه عزَّ وجل، لا من ذاتها استقلالاً.

والسببُ الذي يذكرُه الطبائعيُّون للريح: تكاثُفُ الهواء في الجهة التي يتوجَّه إليها، وتراكمُ بعضه على بعض بانخفاضِ درجةِ حرارته، فيقلُّ تمدُّدُه، ويتكاثفُ، ويتركُ أكثرَ المحلِّ الذي كان مشغولاً به خالياً، أو بتجمُّعٍ فجائيٍّ يحصل في الأبخرة المنتشرةِ في الهواء، فتخلو محالُّها، وعلى التقديرين يجري إلى ذلك المحلِّ الهواءُ المجاورُ بقوَّةٍ ليشغَلَه، فيحدث، ويستمرُّ حتى يمتلئ ذلك الفضاءُ، ويتعادَلَ فيه الهواء، فيسكن عند ذلك، ويتفاوتُ سيرُها سرعةً وبطئاً، فتقطعُ الريحُ المعتدلةُ ـ على ما قيل ـ في الساعة الواحدة نحوَ فَرْسَخ، والمتوسِّط فيها نحوَ أربعة فراسخ، والقويَّةُ نحوَ ثمانيةِ فراسخ، وما هي أقوى منها نحوَ ستَّة عشر فرسخاً، وما هي أقوى ـ ويُسمَّى: العاصف ـ نحو سبعة عشر فرسخاً، وما هي أقوى ـ وتُسمَّى: المُؤْتفكة ـ نحوَ تسعةً وعشرين فرسخاً، وقد تقطع في ساعةٍ نحو

---

(١) أورد نحوه البخاري معلقاً بصيغة التضعيف، فقال في كتاب التفسير، في تفسير سورة الحاقة بعد حديث (٤٩١٩): ويقال: «بالطاغية»: بطغيانهم، ويقال: طغت على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح. ولم نقف على ما أشار إليه المصنف في صحيح مسلم.

(٢) الكشاف ٤/ ١٥٠.

ستَّةٍ وثلاثين فرسخاً، وهذا أكثرُ ما قيل في سرعة الريح. وقد عملوا آلةً يزعمون أنها مقياسٌ يُستعلَمُ بها قوَّةُ هبوب الريح وضعفُه، وهذا غيرُ بعيدٍ من النوع الإنساني. ويقال فيما ذكروه من السَّبب نحو ما سمعتَ آنفاً.

ومعنى «سخرها عليهم»: سلَّطها عزَّ وجل بقدرته عليهم.

﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ أي: متتابعات كما قال ابنُ عباس، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وأبو عُبَيدة[1]، جمع: حاسم، كشهود جمع شاهد، من حسمتُ الدابةَ: إذا تابعتَ كيَّها على الداء كرَّةً بعد أخرى حتى ينحسم[2]، فهي مجازٌ مرسلٌ من استعمال المقيَّد - وهو الحسمُ الذي هو تتابعُ الكيِّ - في مطلق التتابع.

وفي «الكشف»: هو مستعارٌ من الحسم بمعنى الكيِّ، شبَّه الأيامَ بالحاسم، والريحَ - لملابستها بها، وهبوبها فيها، واستمرار وصفها بوصفها في قولهم: يوم باردٌ وحارٌّ، إلى غير ذلك - بفعل الأيام، كلُّ هبَّةٍ منها كيَّة، وتَتَابُعها بتتابع الكيَّات حتى يحصل الانحسام، أي: استئصال الداء الذي هو المقصودُ.

والمعنى بعد التلخيص: متابعةُ هبوب الرياح حتى أتَتْ عليهم واستأصَلَتهم.

أو: نَحِسات مشؤومات، كما قال الخليل[3]. قيل: والمعنى: قاطعات الخير بنُحُوسَتها وشُؤمها، فمعمولُ «حسوماً» محذوفٌ. أو قاطعات قطعت دابرَهم، وأهلكتهم عن آخرهم، كما قال ابنُ زيد.

وقال الراغبُ[4]: الحسمُ: إزالةُ أثرِ الشيء، يقال: قطَعَه فحسَمَه، أي: أزال مادَّته، وبه سُمِّي السيف حُساماً، وحسمُ الداءِ: إزالةُ أثره بالكيِّ. وقيل للشؤم المُزيل لأثر ما نالَه: حسوم. و«حسوماً» في الآية: قيل: حاسماً أثرَهم، وقيل:

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٧.

(٢) جاء في هامش الأصل ما نصه: في الكشاف [٤/ ١٥٠] رمز إلى أن الكي هو الفعل، وإنما الحسم بالحقيقة الكي المعاد مرة بعد أخرى؛ إذ لا يطلق إلا عند الاستئصال، ولا يحصل غالباً إلا بتتابع (تحرفت إلى: بتتاع) الفعل، فافهم. اهـ منه.

(٣) العين ٣/ ١٤٤.

(٤) في مفردات ألفاظ القرآن (حسم).

حاسماً خبرَهم(١)، وقيل: قاطعاً لعمرهم، وكلٌّ ذلك داخلٌ في عمومه، فلا تغفل.

وجُوِّز أن يكون «حسوماً» مصدراً لا جمع حاسم، وانتصابُه إما بفعله المقدَّر حالاً، أي: تحسمهم حسوماً بمعنى تستأصلُهم استئصالاً، أو على العِلَّة، أي: سخَّرَها عليهم لأجل الاستئصال، أو على أنه صفةٌ، أي: ذات حسوم. وأُيِّدت المصدريةُ بقراءة السُّدي: «حَسُوماً» بفتح الحاء(٢) على أنه حالٌ من الريح، أي: سخَّرها مستأصلَةً، لتعيُّن كونه مفرداً على ذلك، وهي كانت أيامَ العجوز، من صبح الأربعاء لثمانٍ بقين من شوال إلى غروب الأربعاء الآخر، وإنما سُمِّيت أيام العَجُوز لأن عجوزاً من عادٍ توارت في سَرَبٍ، فانتزعتها الريحُ في اليوم الثامن وأهلكتها، أو لأنها عَجُزُ الشتاء، فالعجوز بمعنى العَجُز، وأسماؤها: الصِّنُّ، والصِّنَّبْر، والوَبْر، والآمِرُ، والمُؤْتَمِرُ، والمُعَلِّل، ومُطْفئُ الجَمْر، ومُكْفئُ الظَّعْن، ولم يَذْكر هذا الثامنَ مَنْ قال: إنها سبعةٌ لا ثمانية كما هو المختار(٣).

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ﴾ أي: إن كنتَ حاضراً حينئذٍ، فالخطابُ فيه فرضيٌّ ﴿فِيهَا﴾ أي: في الأيام والليالي، وقيل: في مهابِّ الريح، وقيل: في ديارهم، والأولُ أظهر ﴿صَرْعَىٰ﴾ أي: هَلْكى، جمع صَرِيع.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أي: أصول نخيل. وقرأ أبو نهيك: «أعجُزُ» على وزن أفعل كضَبُع وأَضْبُع، وحكى الأخفشُ أنه قُرئ: «نخيل» بالياء(٤).

﴿خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ خلت أجوافُها بِلًى وفساداً، وقال ابنُ شَجَرة: كانت تدخُلُ من أفواههم، فتُخرج ما في أجوافهم من الحَشْوِ من أدبارهم، فصاروا كأعجاز النخل الخاوية. وقال يحيى بنُ سلام: خلَتْ أبدانُهم من أرواحهم، فكانوا كذلك.

وأخرج ابنُ المنذر عن ابن جُرَيج قال: كانوا في سبعةِ أيام في عذاب، ثم في

---

(١) في الأصل: خيرهم، والمثبت من (م).

(٢) الكشاف ٤/ ١٥٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٩٤.

(٣) في هامش الأصل مانصه: وقيل: هي خمسة. اهـ منه.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦١، والبحر المحيط ٨/ ٣٢١.

الثامن ماتوا وألقتهم الريحُ في البحر، فذلك قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾[(١)]، أي: بقيَّة، على أنَّ الباقية اسم كالبقيَّة لا وصف، والتاءُ للنقل إلى الاسمية. أو: نفس باقية، على أنَّ الموصوف مقدَّر، والتاءُ للتأنيث.

وقال ابنُ الأنباري: أي: باقٍ، والهاءُ للمبالغة. وجُوِّز أن يكون مصدراً كالطاغية والكاذبة، أي: بقاء، والتاءُ للوحدة.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ ومَنْ تقدَّمَه من الأمم الكافرة، كقوم نوح عليه السلام، وفيه تعميمٌ بعد التخصيص؛ فإن منهم عاداً وثموداً.

وقرأ أبو رجاء، وطلحةُ، والجَحْدريُّ، والحسن بخلاف عنه، وعاصمٌ في رواية أبان، والنَّحويان، وأبان: «ومَنْ قِبَلَه» بكسر القاف وفتح الباء[(٢)]، أي: ومَنْ في جهته وجانبه، والمرادُ: ومَنْ عنده من أتباعه وأهلِ طاعته، ويؤيِّدُه قراءةُ أُبيٍّ وابنِ مسعود: «ومَنْ معه»[(٣)].

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ أي: قرى قومِ لوط عليه السلام، والمراد أهلها مجازاً بإطلاق المحلِّ على الحال، أو بتقدير مضاف، أو على الإسناد المجازي، والقرينةُ العطف على من يتَّصفُ بالمجيء.

وقرأ الحسنُ هنا: «والمؤتفكة» على الإفراد[(٤)].

﴿بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩﴾ أي: بالخطأ[(٥)]، على أنه مصدرٌ على زِنَةِ فاعلة، أو بالفعلة[(٦)] أو الأفعال ذات الخطأ العظيم، على أنَّ الإسناد مجازيٌّ وهو حقيقةٌ لأصحابها،

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٥٩.

(٢) النحويان هما أبو عمرو بن العلاء والكسائي، وقراءتهما في التيسير ص٢١٣، وزاد في النشر ٢/ ٣٨٩ نسبتها ليعقوب من العشرة، والقراءات التي ذكرها المصنف ـ عدا قراءة أبان ـ أوردها أبو حيان في البحر ٨/ ٣٢١.

(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ١٩٥، والبحر المحيط ٨/ ٣٢١، وقرن في القراءات الشاذة ص١٦١ بأُبَيٍّ أبا موسى، بدل: ابن مسعود.

(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٢١، وزاد القرطبي ٢١/ ١٩٥ نسبتها إلى الجحدري.

(٥) في هامش الأصل: قاله مجاهد. اهـ منه.

(٦) في هامش الأصل: قاله الجرجاني. اهـ منه.

واعتبارُ العِظَم لأنه لا يُجعل الفعلُ خاطئاً إلا إذا كان صاحبُه بليغَ الخطأ، ويجوز أن تكون الصيغةُ للنسبة.

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: فعصى كلُّ أمةٍ رسولَها حين نهاها عمَّا كانت تتعاطاه من القبائح، فإفرادُ الرسول على ظاهره، وجُوِّز أن يكون جمعاً، أو مما يستوي فيه الواحدُ وغيرُه؛ لأنه مصدرٌ في الأصل، وأُريد منه التكثير؛ لاقتضاء السياق له، فهو من مقابلة الجمعِ المقتضي لانقسام الآحاد، أو أُطلق الفردُ عليهم لاتِّحادهم معنى فيما أُرسلوا به، والظاهرُ أنَّ هذا بيانٌ لمجيئهم بالخاطئة.

﴿فَأَخَذَهُمْ﴾ أي: الله عزَّ وجلَّ ﴿أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ أي: زائدةً في الشدَّة كما زادت قبائحُهم في القُبْح، من ربا الشيءُ: إذا زاد.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ جاوز حدَّه المعتادَ، حتى إنه علا على أعلى جبلٍ خمس عشرةَ ذراعاً، أو طغى على خزَّانه، على ما سمعتَ قُبَيل هذا، وذلك بسبب إصرارِ قوم نوح عليه السلام على فُنُون الكفر والمعاصي، ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام فيما أُوحي إليه من الأحكام التي من جملتها أحوالُ القيامة.

﴿حَمَلْنَاكُمْ﴾ أي: في أصلاب آبائكم، أو: حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم، على أنه بتقدير مضافٍ، وقيل: على التجوُّز في المخاطَبين بإرادة آبائهم المحمولين بعلاقة الحُلول، وهو بعيد.

﴿فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ في سفينة نوح عليه السلام، والمرادُ بحملهم فيها رفعُهم فوق الماء إلى انقضاء أيام الطوفان، لا مجرَّدُ رفعهم إلى السفينة كما يُعرب عنه كلمة «في»؛ فإنها ليست بصلةٍ للحمل، بل متعلِّقة بمحذوفٍ هو حالٌ من مفعوله، أي: رفعناكم فوقَ الماء، وحفظناكم حالَ كونكم في السفينة الجارية بأمرنا وحِفْظِنا، وفيه تنبيهٌ على أن مدارَ نجاتهم محضُ عصمته عزَّ وجلَّ، وإنما السفينةُ سببٌ صوريٌّ. وكثُر استعمالُ الجارية في السفينة، وعليه:

تِسعون جاريةً في بطن جاريةٍ[1]

(١) أورده في البحر ٨/ ٣٢٢ من غير نسبة.

﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: الفعلةَ التي هي عبارةٌ عن إنجاء المؤمنين وإغراقِ الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عبرةً ودلالةً على كمال قدرةِ الصانع وحكمته، وقوةِ قهره وسَعَة رحمته. ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ أي: تحفظها، والوعيُ: أن تحفَظَ الشيءَ في نفسك، والإيعاءُ: أن تحفَظَه في غيرِ نفسك من وعاء. ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ أي: من شأنها أن تحفَظَ ما يجب حِفْظُه، بتذكُّره وإشاعته والتفكُّر فيه، ولا تُضيِّعَه بتركِ العمل به. وعن قتادة: الواعيةُ: هي التي عقَلَت عن الله تعالى، وانتفعَتْ بما سمعَتْ من كتاب الله تعالى.

وفي الخبر: أنَّ النبيَّ ﷺ قال لعليٍّ كرم الله تعالى وجهَه: «إني دعوتُ الله تعالى أن يجعلَها أذنَكَ يا عليّ» قال عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه: فما سمعتُ شيئاً فنسيتُه، وما كان لي أن أنسى(١).

وفي جَعْلِ الأذنِ واعيةً ـ وكذا جَعْلِها حافظةً ومتذكِّرةً ونحوَ ذلك ـ تجوُّزٌ، والفاعلُ لذلك إنما هو صاحبُها، ولا يُنسَبُ لها حقيقةً إلا السمعُ. والتنكيرُ للدَّلالة على قلَّتها، وأنَّ مَنْ هذا شأنُه مع قلَّته يتسبَّب لنجاة الجمِّ الغفير، وإدامة نَسْلهم.

وقيل: ضميرُ «نجعلها» للجارية، وجعلها تذكرةً لما أنه ـ على ما قال قتادة ـ أدركَها أوائلُ هذه الأمة، أي: أدركوا ألواحَها على الجُوديِّ، كما قال ابنُ جُرَيج، بل قيل: إن بعضَ الناس وجَدَ شيئاً من أجزائها بعد الإسلام بكثير، والله تعالى أعلم بصحَّته. ولا يخفى أن المعوَّل عليه ما قدَّمناه.

وقرأ ابنُ مُصَرِّف، وأبو عَمرو في رواية هارون وخارجةَ عنه، وقُنْبُل بخلافٍ عنه: «وتَعْيها» بإسكان العين على التشبيه بكَتْف وكبد كما قيل، وقرأ حمزةُ بإخفاء الكسرة، ورُوي عن عاصم أنه قرأ بتشديد الياء(٢)، قال في

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٢٢-٢٢٣، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤١/ ٤٥٥، من طريق مكحول عن النبي ﷺ مرسلاً وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٠ وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن مردويه.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦١، والبحر المحيط ٨/ ٣٢٢، وما ذكره المصنف من الروايات عن أبي عمرو وحمزة وعاصم إنما هو من الشواذ، والقراءة المشهورة عنهم كقراءة الجماعة.

=

«البحر»[1]: قيل: هو خطأ، وينبغي أن يُتأوَّل على أنه أُريد به شدَّة بيان الياء احترازاً ممن سكَّنها، لا إدغامُ حرفٍ في حرف، ولا ينبغي أن يُجعل ذلك من التضعيف في الوقف، ثم أجري الوصل مجرى الوقف، وإن كان قد ذهب إليه بعضُهم.

ورُوي عن حمزة وموسى بن عبد الله العَبْسي: «وتَعِيْها» بإسكان الياء[2]، فاحتمل الاستئناف، وهو الظاهرُ، واحتمل أن يكون مثل قراءة: «من أوسط ما تُطعمون أهاليكم» بسكون الياء[3]، وقرأ نافعٌ: «أُذْن» بإسكان الذال للتخفيف[4].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ شروعٌ في بيان نفسِ الحاقَّة وكيفية وقوعها، إثرَ بيانِ عظَم شأنها بإهلاك مكذِّبيها، والمرادُ بالنفخة الواحدة: النفخةُ الأولى التي عندها خرابُ العالم كما قال ابنُ عباس. وقال ابنُ المسيّب ومقاتل: هي النفخةُ الآخرة. والأولُ أولى؛ لأنه المناسبُ لِمَا بَعْدُ، وإن كانت الواو لا تدلُّ على الترتيب، لكنَّ مخالفةَ الظاهر من غير داعٍ مما لا حاجةَ إليه.

والنفخة: قال جارُ الله في حواشي «كشَّافه»: المرَّة، ودلالتُها على النفخ اتفاقيةٌ غيرُ مقصودة، وحدوثُ الأمر العظيم بها وعلى عقبها إنما استُعظِم من حيث وقوعُ النفخ مرَّةً واحدةً، لا من حيث إنه نَفْخٌ، فنبَّه على ذلك بقوله سبحانه: «واحدة».

وعن ابن الحاجب أنَّ «نفخة» لم يُوضع للدلالة على الوحدة على حيالها، وإنما وُضع للدلالة على النفخ، والدلالةُ على الوحدة اتفاقيةٌ غيرُ مقصودة. وتُعقِّب بأنَّ هذا ـ بعد التسليم ـ لا يضرُّ؛ لأن الكلامَ في مقتضى المقام، لا أصلِ الوضع،

= قال في التيسير ص٢١٣: وجاء عن ابن كثير وعاصم وحمزة في ذلك ما لا يصح. اهـ. ولم يذكر خلافاً في قراءتها، وكذلك ابن الجزري في النشر.

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٢٢.

(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٢٢، وهي من الشواذّ، وورد في مطبوعه: العنسي، بدل: العبسي، ولم نقف له على ترجمة، وإنما ترجم الذهبي في معرفة القراء الكبار ١/ ٣٤٧ لعبيد الله بن موسى العبسي الكوفي المقرئ شيخ البخاري.

(٣) والقراءة المتواترة: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، والقراءة التي ذكرها المصنف شاذة قرأ بها جعفر بن محمد الصادق، كما في المحرر الوجيز ٢/ ٢٣٠.

(٤) التيسير ص٩٩، والنشر ٢/ ٢١٦.

وقد تقرَّر أن الذي سِيْق له الكلامُ يُجعل معتمداً، حتى كأنَّ غيرَه مطروحٌ، فالمرَّةُ هي المعتمدةُ؛ نظراً للمقام، دون النفخ نفسه، وإن كان النظرُ إلى ظاهر اللفظ يقتضي العكسَ، فافهم.

وأيّاما كان فإسنادُ الفعل إلى «نفخة» ليس من إسناد الفعل إلى المصدر المؤكِّد، كضُرِبَ ضَرْبٌ، وإن لم يُلاحَظ ما بعده من قوله سبحانه: «واحدة». وحَسُنَ تذكيرُ الفعل للفصل، وكونِ المرفوع غيرَ حقيقيِّ التأنيث، وكونه مصدراً؛ فقد ذكر الجاربردي[1] في «شرح الشافية» أن تأنيثَه غيرُ معتبرٍ، لتأويله بـ «أنْ» والفعل، والمشهورُ أنَّ «واحدة» صفةٌ مؤكِّدة، وأطلق عليها بعضُهم التوكيد، وبعضُهم البيان، وذكر الطِّيبيُّ أن التوابع ـ كالبدل، وعطفِ البيان، والصفة ـ بيانٌ من وجهٍ للمتبوع عند أرباب المعاني، وتمامُ الكلام في ذلك في «المطوَّل».

وقرأ أبو السمَّال: «نفخةً واحدةً» بنصبهما[2] على إقامةِ الجارِّ والمجرور مقامَ الفاعل.

﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ رُفعتا من أَحْيازِهما[3] بمجرَّد القدرة الإلهية من غير واسطةِ مخلوق، أو بتوسُّط نحو ريحٍ أو مَلَك، قيل: أو بتوسُّط الزَّلزلة، أي: بأنْ يكون لها مدخلٌ في الرفع، لا أنَّها رافعةٌ لهما، حاملةٌ إيَّاهما، ليقال: إنها ليس فيها حملٌ، وإنما هي اضطرابٌ.

وقيل: يجوز أن يخلق الله تعالى من الأجرام العلويَّة ما فيه قوَّةُ جَذْبِ الجبالِ ورفعِها عن أماكنها، أو أن يكون في الأجرام الموجودةِ اليوم ما فيه قوَّةُ ذلك، إلا أن في البين مانعاً من الجذب والرفع، وأنه يزولُ بعدُ فيحصل الرفعُ، وكذا يجوز أن يُعتبر مثلُ ذلك بالنسبة إلى الأرض، وأن تكون قوَّتا الجاذبَين مختلفتين، فإذا حصل رفعُ كلٍّ إلى غايةٍ يريدُها الله تعالى حدَثَ في ذلك الجاذب ما لم يبقَ معه

(١) في الأصل: الجابردي، والمثبت من (م).
(٢) الكشاف ٤/ ١٥١، والبحر المحيط ٨/ ٣٢٣.
(٣) الأحياز جمع حَيِّز: وهو الناحية. الصحاح (حيز).

ذلك الجذبُ من زوال مُسامتِه[١] ونحوه، وحصَلَ بين الجبال والأرض ما يوجب التصادمَ، ويجوزُ أيضاً أن يحدث في الأرض من القوى ما يُوجب قذفَها للجبال، ويحدث للأرض نفسها ما يوجب رفعَها عن حيِّزها، وكونُ القوى منها ما هو متنافرٌ ومنها ما هو متحابٌّ مما لا يكاد يُنكَر.

وقيل: يمكن أن يكون رفعُهما بمصادمة بعض الأجرام ـ كذوات الأذناب، على ما قيل فيها جديداً ـ للأرض، فتنفصلُ الجبالُ، وترتفع من شدَّة المصادمة، ورفع الأرض من حيِّزها.

ولا يخفى أن كلَّ هذا على ما فيه لا يُحتاج إليه، ويكفينا القولُ بأن الرفعَ بالقدرة الإلهية التي لا يتعاصاها شيء.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلة، وابنُ مِقْسَم، والأعمش، وابنُ عامر في رواية يحيى: «وحُمِّلت» بتشديد الميم[٢]، وحُمِلَ على التكثير، وجوِّز أن يكون تضعيفاً للنقل، فيكون «الأرض والجبال» المفعولَ الأول أُقيم مقامَ الفاعل، والمفعول الثاني محذوفٌ، أي: قدرة، أو ريحاً، أو ملائكة، أو يكون المفعول الثاني أُقيم مقامَ الفاعل، والأول محذوفٌ، وهو أحدُ المذكورات.

﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ فضُربت الجملتان إثر رفعهما بعضُها ببعضٍ ضربةً واحدةً حتى تُفتَّتَ وتَرْجِعَ كما قال سبحانه: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]. وقيل: تتفرَّق أجزاؤها، كما قال سبحانه: ﴿هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

وفرَّقوا بين الدكِّ والدقِّ بأن في الأول تفرُّقَ الأجزاء، وفي الثاني اختلافها. وقال بعض الأجلَّة: أصلُ الدكِّ: الضربُ على ما ارتفَعَ لينخفض، ويلزمه التسويةُ غالباً، فلذا شاع فيها حتى صار حقيقةً، ومنه أرضٌ دكَّاء: للمتسعة المستوية، وبعيرٌ

---

(١) قال الفيومي في المصباح المنير (سمت): سامَتَه مسامَتَةً، بمعنى وازاه وقابله.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦١، والمحتسب ٢/ ٣٢٨، والبحر ٨/ ٣٢٣، وعنه نقل المصنف.
ويحيى: هو ابن الحارث الغساني الذماري، أبو عمرو، شيخ القراءة بدمشق بعد ابن عامر، قال عنه أبو حاتم: ثقة، كان عالماً بالقراءة في دهره بدمشق. توفي سنة (١٤٥هـ). غاية النهاية ٢/ ٣٦٧-٣٦٨.

أدكُّ وناقة دكَّاء: إذا ضَعُفا فلم يرتفع سَناماهما، واستوت خدجتهما[1] مع ظهريهما، فالمراد هاهنا: فبُسِطتا بسطةً واحدة، وسُوِّيتا فصارتا أرضاً لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً. ولعلَّ التفتُّت مقدِّمةٌ للتسوية أيضاً.

وقال الراغب: الدكُّ: الأرض اللِّينةُ السهلةُ، وقوله تعالى: «فدكتا» أي: جُعِلتا بمنزلة الأرض اللَّينة[2]. وهذا أيضاً يرجع إلى التسوية كما لا يخفى.

وحكى في «مجمع البيان»[3] أنهما إذا دُكَّتا تتفتَّتُ الجبال، وتنسفُها الريحُ، وتبقى الأرضُ مستويةً. وثنَّى الضمير لإرادة الجملتين كما أشرنا إليه.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: فحينئذٍ، على أن المرادَ باليوم مطلقُ الوقت، وهو هاهنا متَّسِعٌ يقع فيه ما يقعُ، والتنوينُ عوضٌ عن المضاف إليه، أي: فيومَ إذ نُفِخَ في الصور، وكان كَيْتَ وكيت.

﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ أي: قامت القيامةُ، وتفسيرُ «الواقعة» بصخرةِ بيت المقدس واقعٌ عن درجة القَبول.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ تفطَّرت، وتميَّز بعضُها عن بعض، ولعلَّه إشارةٌ إلى ما تضمَّنه قولُه تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان:٢٥] وأخرج ابنُ المنذر عن ابن جُرَيج أنه قال: ذلك قولُه تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾[4] [النبأ:١٩]. ولا منافاة بينهما، وكذا لا منافاةَ بين كونِ الانشقاقِ لنزول الملائكة وكونِهِ لهول يوم القيامة؛ لأن الأمرَ قد يكون له عِلَلٌ شتَّى مثل هذه العلل.

والمراد بـ«السماء» جنسُها، وقيل: السماواتُ السَّبع، وأيُّما كان فلا يُشترط

---

(١) كذا في الأصل و(م)، ولم نقف على معناه، ولعله: حَجَبتهما، والحَجَبة: رأس الورك، وهما حجبتان تشرفان على الخاصرتين. الصحاح (حجب).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (دكّ).

(٣) ٢٩/ ٤٣.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٠، وزاد نسبته لابن جرير، ولم نقف عليه في تفسيره.

لصحَّة الانشقاقِ كونُها أجساماً صلبةً؛ إذ يتَّصفُ بنحو ذلك ما ليس بصلبٍ أيضاً، فقد وُصِفَ البحرُ بالانفلاق.

﴿فَهِيَ﴾ أي: السماءُ ﴿يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ ضعيفةٌ، من وَهَى الشيءُ: ضَعُفَ وتَداعى للسقوط. وقال ابنُ شَجَرة: من قولهم: وَهَى السِّقاءُ: إذا انخرَقَ، ومن أمثالهم قولُ الراجز:

خَلِّ سبيلَ مَنْ وَهَى سقاؤه
ومَنْ هُريقَ بالفلاةِ ماؤه[1]

﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي: الجنسُ المتعارفُ بالمَلَك، وهو أعمُّ من الملائكة عند الزمخشريِّ[2] وجماعة، وقد ذكره الجوهريُّ[3] أيضاً، وقال أبو حيان[4]: المَلَك اسمُ جنس يراد به الملائكة، ولا يظهر أنه أعمُّ من الملائكة. وتحقيقُ هذا المقام بما لا مزيد عليه في «شرح التلخيص» للعلَّامة الثاني و«حواشيه»، فارجع إن أردتَ إليه.

﴿عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ أي: جوانبها، جمع: رجا، بالقصر، وهو من ذواتِ الواو، ولذا برزت في التثنية، قال الشاعر:

كأنْ لم تَرَيْ قبلي أسيراً مقيَّدا ولا رجلاً يُرمى به الرَّجَوانِ[5]

---

(١) الرجز في جمهرة الأمثال ١/ ٤١٤، ونقل قول الأصمعي بأن المراد به: من لم يستقم أمره فلا تُعانِه.
(٢) الكشاف ٤/ ١٥٢.
(٣) الصحاح (ملك).
(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٢٣.
(٥) نسبه صاحب الأغاني ١٢/ ١٧١ لرجل من لصوص بني تميم يعرف بأبي النشناش، ونسبه الزمخشري في المستقصى ٢/ ٢٦٩-٢٧٠ لطهمان الأعور، ونسبه صاحب الحماسة البصرية ١/ ١٠٧ لعطارد بن قُرَّان الحنظلي. ومن أمثالهم: لا يُرمى به الرجوان، لمن لا يخدع فيزال عن وجهٍ إلى وجه، والرجوان: الناحيتان، وأصله أن الدلو إذا استقي بها فتارة يُرمى بها هذا الرجا، وأخرى هذا، فشبه بها الرجل المستذل المزال من وجه إلى وجه. ينظر المستقصى ٢/ ٢٧٠، وأساس البلاغة (رجو).

والضميرُ للسماء، والمرادُ بجوانبها أطرافُها التي لم تنشقَّ؛ أخرج ابنُ المنذر عن ابن جُبَير والضحَّاك قال: إنهما قالا: «والملكُ على أرجائها»، أي: على ما لم ينشقَّ منها[(١)]. ولعلَّ ذلك التجاء منهم للأطراف ممَّا داخَلَهم من ملاحظة عظمة الله عزَّ وجل، أو اجتماع هناك للنزول.

وأخرج ابنُ المنذر وعَبْد بن حميد عن الرَّبيع بن أنس قال: «والملك على أرجائها»، أي: الملائكة على شِقِّها ينظرون إلى شقِّ الأرض وما أتاهم من الفزع[(٢)].

والأولُ أظهر، ولعلَّ هذا الانشقاقَ بعد موت الملائكة عند النفخة الأولى وإحيائهم، وهم يحيون قبل الناس كما تقتضيه الأخبار، ويجوز أن يكون ذلك بعد النفخة الثانية والناسُ في المحشر؛ ففي بعض الآثار ما يُشعر بانشقاق كلِّ سماء يومئذٍ ونزولِ ملائكتها، واليومُ متَّسِع كما أشرنا إليه.

وقال الإمامُ: يحتمل أنهم يقفون على الأرجاء لحظةً، ثم يموتون، ويحتمل أن يكون المرادُ بهم الذين استثناهم الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل:٨٧] وعلى الوجهين ينحلُّ ما يقال: الملائكةُ يموتون في الصَّعْقة الأولى؛ لقوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فكيف يقال: إنهم يقفون على أرجاء السماء[(٣)]؟

وفي «أنوار التنزيل»[(٤)]: لعلَّ قوله تعالى: «وانشقت السماء» إلخ تمثيلٌ لخراب العالم بخراب المبنيَّات، وانضواءِ أهلها إلى أطرافها، وإن كان على ظاهره فلعلَّ موتَ الملائكة إثرَ ذلك. انتهى. وأنا لا أقولُ باحتمال التمثيل.

وفي «البحر»[(٥)] عن ابن جُبير والضحَّاك أن ضمير «أرجائها» للأرض وإن بعُد

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٦٠.
(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٠، وفيه: ينظرون إلى أهل الأرض.
(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ١٠٨.
(٤) تفسير البيضاوي على هامش حاشية الشهاب ٨/ ٢٣٧.
(٥) البحر المحيط ٨/ ٣٢٣.

ذِكْرُها، قالا: إنهم ينزلون إليها يحفظون أطرافَها، كما رُوي أنَّ الله تعالى يأمر ملائكةَ السماء الدنيا فيقفون صفًّا على حافَّات الأرض، ثم ملائكةَ الثانية فيصفُّون حولَهم، ثم ملائكة كلِّ سماء، فكلَّما ندَّ أحدٌ من الجنِّ والإنس وجد الأرضَ أُحيط بها. ولعلَّ ما نقلناه عنهما أَولى بالاعتماد.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: فوق الملائكة الذين على الأرجاء المدلولِ عليهم بـ«المَلَك»، وقيل: فوق العالم كلِّهم، وقيل: الضميرُ يعود على الملائكة الحاملين، أي: يحمل عرشَ ربِّك فوق ظهورهم أو رؤوسهم ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ والمرجعُ وإن تأخَّر لفظاً لكنَّه متقدِّم رتبةً، وفائدةُ «فوقهم» الدلالةُ على أنه ليس محمولاً بأيديهم، كالمعلَّق مثلاً، وأُيِّد هذا، واعتبارُ الظُّهور، بما أخرج الترمذيُّ، وأبو داود، وابن ماجه عن العبَّاس بن عبد المطلب في حديث: «وفوق ذلك ثمانية أَوْعال، بين أظلافهنَّ ووركهنَّ ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ظهورهنَّ العرشُ، بين أسفله وأعلاه مثلُ ما بين السماء إلى السماء»[1]. والمراد بالأوعال فيه: ملائكةٌ على صورة الأوعال، كما قال ابنُ الأثير[2] وغيرُه، وهي جمعُ: وَعِل، بكسر العين: تيسُ الجبل.

واستُدِلَّ به على أنَّ المراد ثمانيةُ أشخاص، والأخبارُ الدالَّةُ على ذلك كثيرةٌ، إلا أنَّ فيها تدافعاً من حيث دلالةُ بعضها على أن بعضَهم على صورة الإنسان، وبعضَهم على صورة الأسد، وبعضهم على صورة الثور، وبعضهم على صورة النسر، ودلالةُ بعضٍ آخر على أنَّ لكلِّ واحد منهم أربعةُ أوجه: وجه ثور، ووجه نسر، ووجه أسد، ووجه إنسان، وفيه لكلِّ واحدٍ منهم أربعةُ أجنحة؛ أما جناحان فعلى وجهه مخافةً من أن ينظر إلى العرش فيُصعق، وأما جناحان فيطيرُ بهما.

وأبو حيان[3] لم يقل بصحَّة شيء من ذلك، حيث قال: ذكروا في صفاتِ هؤلاء الثمانية أشكالاً متكاذبةً ضربنا عن ذِكْرها صَفْحاً.

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٢٠)، وسنن أبي داود (٤٧٢٣)، وسنن ابن ماجه (١٩٣) وجاء في المصادر: وركبهن، بدل: ووركهن.

(٢) في النهاية في غريب الحديث (وعل).

(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٢٤.

وأخرج عَبْد بنُ حُمَيد عن ابن زيد، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يحملُه اليومَ أربعةٌ، ويوم القيامة ثمانية»[1].

وأخرج عنه ابنُ أبي حاتم أنه لم يُسَمَّ من حملة العرش إلا إسرافيل عليه السلام، قال: وميكائيل عليه السلام ليس من حَمَلة العرش[2]. وعليه فمن زعم أنهما وجبرائيل وعزرائيل عليهم السلام من جملة حَمَلته يلزمه إثباتُ ذلك بخبرٍ يعوَّل عليه.

وعن شَهْر بن حَوْشَب: أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهمَّ وبحمدك، لك الحمدُ على عفوكَ بعد قدرتك، وأربعةٌ يقولون: سبحانك اللهمَّ وبحمدك، لك الحمدُ على حِلْمك بعد علمك.

وفي خبرٍ عن وَهْب بن مُنَبِّه: ليس لهم كلامٌ إلا قولهم: قدّسوا الله القويّ الذي ملأت عظمتُه السماواتِ. وأكثرُ الأخبار في هذا الباب لا يعوَّل عليه.

وأخرج عَبْد بن حُمَيد عن الضحَّاك أنه قال: يقال: ثمانيةُ صفوفٍ لا يعلم عِدَّتهم إلا الله عزَّ وجلَّ. وأخرج هذا القولَ ابنُ جرير، وابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم من طرقٍ عن ابن عباس[3].

وقال الحسن: الله تعالى أعلمُ كم هم، أثمانيةُ أصنافٍ أم ثمانيةُ أشخاص.

وأنتَ تعلم أن الظاهرَ المؤيَّد ببعض الأخبار المصحَّحة أنهم ثمانيةُ أشخاصٍ.

وأيّاً ما كان فالظاهرُ أن هناك حملاً على الحقيقة، وإليه ذهب محيي الدين قُدِّس سرُّه، قال: إن لله تعالى ملائكةً يحملون العرشَ الذي هو السرير على

---

(١) أورده السيوطي في الدر ٦/ ٢٦١، وعزا إخراجه إلى ابن جرير، وهو في تفسيره ٢٣/ ٢٢٩، وكذلك أخرج الطبري نحوه ٢٣/ ٢٢٩ من طريق ابن إسحاق بلاغاً عن النبي ﷺ، وأورد نحوه الماوردي في تفسيره ٦/ ٨٢ من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٦١.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٢٨، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦١، وأورد كذلك قول الضحاك.

كواهلهم، هم اليوم أربعةٌ وغداً يكونون ثمانيةً؛ لأجل الحَمْل إلى أرض المحشر. وله قُدِّس سرُّه في الباب الثالث عشر من «فتوحاته»[1] كلامٌ واسعٌ في حَمَلة العرش، لا سيَّما على تفسيره بالملك، فليَرجع إليه من اتَّسع كرسيُّ ذهنِهِ لفهم كلامه.

وجُوِّز أن يكون ذلك تمثيلاً لعظمته عزَّ وجل بما يُشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العامِّ، فالمرادُ تجلِّيه عزَّ وجل بصفة العَظَمة.

وجُعل العَرْضُ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ مجازاً عن الحساب، والمراد: يومئذٍ تُحاسَبون، لكنه شبَّه ذلك بعَرْضِ السلطانِ العسكرَ ليعرفَ أحوالهم، فعبَّر عنه به.

وأخرج الإمام أحمدُ، وعَبْد بن حُمَيد، والترمذيُّ، وابنُ ماجه، وابنُ أبي حاتم، وابنُ مردويه عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعرض الناسُ يوم القيامة ثلاثَ عرضات، فأمَّا عرضتان فجدالٌ ومَعَاذير، وأما الثالثةُ فعند ذلك تَطايَرُ الصُّحفُ في الأيدي، فآخذٌ بيمينه وآخذٌ بشماله»[2].

والجملةُ المعوَّضُ عنها التنوينُ على ما يدلُّ عليه كلامُهم: نُفِخَ في الصور، وجعل «يومئذ تعرضون» بدلاً من «فيومئذ» إلخ، وقد سمعتَ أن الزمانَ متَّسِعٌ لجميع ما ذُكر وغيرِه.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ حالٌ من مرفوع «تعرضون»، أي: تُعرضون غيرَ خافٍ عليه عزَّ وجلَّ سرٌّ من أسراركم قبل ذلك أيضاً، وإنما العرضُ لإفشاء الحال، وإقامةِ الحجَّة، والمبالغةِ في العدل. أو: غير خافٍ يومئذٍ على الناس، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

---

(١) الفتوحات المكية ١/ ١٤٧-١٤٩.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٦١، ومسند الإمام أحمد (١٩٧١٥)، وسنن ابن ماجه (٤٢٧٧). ولم يخرجه الترمذي من حديث أبي موسى، إنما أخرجه (٢٤٢٥) من حديث أبي هريرة، وأشار عقبه إلى حديث أبي موسى، وضعَّف الحديثين للانقطاع بين الحسن البصري وبين أبي هريرة وأبي موسى.

وقرأ حمزةُ، والكسائيُّ، وابنُ وثَّاب، وطلحة، والأعمش، وابنُ مِقسم عن عاصم، وغيرُهم: «لا يخفى» بالياء التحتانية[1].

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ تفصيلٌ لأحكام العَرْض، والمرادُ بـ «كتابه» ما كتبت الملائكةُ فيه ما فعله في الدنيا. وقد ذكروا أنَّ أعمالَ كلِّ يومٍ وليلةٍ تُكتَب في صحيفة، فتتعدَّدُ صحفُ العبد الواحد، فقيل: تُوصَلُ له فيُؤْتاها موصولةً. وقيل: ينسخ ما في جميعها في صحيفةٍ واحدة، وهذا ما جزم به الغزاليُّ عليه الرحمة، وعلى القولين يصدُقُ على ما يُؤْتاه العبدُ كتاب.

وقيل: إن العبدَ يكتُبُ في قبره أعمالَه في كتاب، وهو الذي يُؤْتاه يوم القيامة. وهذا قولٌ ضعيف لا يعوَّل عليه، وسيأتي إن شاء الله تعالى بيانُ كيف يُؤْتى العبدُ ذلك.

﴿فَيَقُولُ﴾ تبجُّحاً وافتخاراً: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ قال الرضيُّ[2]: «ها» اسمٌ لـ : خذ، وفيه ثمان لغات:

الأولى: بالألف مفردةً ساكنةً، للواحد والاثنين والجمع، مذكَّراً كان أو مؤنَّثاً.

الثانية: أن تلحَقَ هذه الألف المفردة كافُ الخطاب الحرفية، كما في «ذلك»، وتصرُّفها نحو: هاكَ، هاكُما، [هاكِ]، هاكُم، هاكنَّ.

الثالثة: أن تلحَقَ الألف همزةٌ مكانَ الكاف، وتصريفُها تصريفُ الكاف، نحو: هاءَ، هاؤما، هاؤم، هاءِ، هاؤما، هاؤنَّ.

الرابعةُ: أن تلحَقَ الألف همزةٌ مفتوحة قبل كاف الخطاب، وتُصرَّف الكاف.

الخامسة: هَأْ، بهمزة ساكنةٍ بعد الهاء للكلِّ.

السادسة: أن تصرَّف هذه الجملة[3] تصريفَ: دَعْ.

---

(١) قراءة حمزة والكسائي في التيسير ص٢١٣، وزاد ابن الجزري في النشر ٢/ ٣٨٩ نسبتها لخلف من العشرة، والكلام من البحر ٨/ ٣٢٤.

(٢) في شرحه على الكافية ٣/ ٩٢، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

(٣) في شرح الرضي: الخامسة، بدل: الجملة.

السابعة: أن تصرفها تصريف: خف، ومن ذلك ما حكى الكسائيُّ من قول مَنْ قيل له: هاءَ بالفتح [فقال]: إلامَ أهاء؟ وأهاء بفتح همزة المتكلِّم وكسرها.

الثامنة: أن تلحق الألف همزةٌ وتصرّفها تصريف: نادِ.

والثلاثةُ الأخيرةُ أفعالٌ غير متصرِّفة؛ لا مضيَّ لها ولا مضارع، وليست بأسماء أفعال.

قال الجوهريُّ(١): هاءِ بكسرة الهمزة بمعنى: هاتِ، وبفتحها بمعنى: خذ، وإذا قيل لك هاءَ بالفتح قلتَ: ما أهاءُ؟ أي: ما آخُذُ، وما أُهاء؟ على ما لم يُسمَّ فاعلُه، أي: ما أُعطي؟ وهذا الذي قال مبنيٌّ على السابعة نحو: ما أخاف؟ وما أخاف؟ انتهى.

وقال أبو القاسم(٢): فيها لغاتٌ أجودُها ما حكاه سيبويه في «كتابه»، فقال: العرب تقول: هاءَ يا رجل، بفتح الهمزة، وهاءِ يا امرأة، بكسرها، وهاؤما يا رجلان، أو امرأتان، وهاؤم يا رجال، وهاؤنَّ يا نسوة، فالميمُ في هاؤم كالميم في أنتم، وضمُّها كضمِّها في بعض الأحيان.

وفسّرها هنا بـ: خذوا، وهو متعدٍّ بنفسه إلى المفعول تعديتَه، والمفعولُ محذوفٌ دلَّ عليه المذكور، أعني «كتابيه» وهو مفعولُ «اقرؤوا»، واختِير هذا دون العكس؛ لأنه لو كان مفعولَ «هاؤم» لقيل: اقرؤوه؛ إذ الأولى إضمارُ الضمير إذا أمكنَ كما هنا، وإنما لم يظهر في الأول لئلَّا يعود على متأخِّرٍ لفظاً ورتبةً، وهو منصوبٌ، مع أنَّ العامل على اللغة الجيِّدة اسمُ فعلٍ، فلا يتَّصل به الضمير.

وقيل: «هاؤم» بمعنى: تعالوا، فيتعدَّى بـ «إلى». وزعمَ القُتَبيُّ(٣) أن الهمزةَ بدلٌ من الكاف، قيل: وهو ضعيفٌ، إلا إن كان قد عنى أنها تحلُّ محلَّها في لغةٍ كما سمعت، فيمكن، لا أنه بدلٌ صناعيٌّ؛ لأن الكاف لا تُبدل من الهمزة، ولا الهمزةُ منها.

---

(١) في الصحاح (هوأ)، والكلام من شرح الرضي.
(٢) هو الزجَّاجي، وكلامه، وما سيرد من كلام سيبويه ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ١١٠.
(٣) تفسير غريب القرآن ص٤٨٤.

وقيل: «هاؤم» كلمةٌ وُضِعت لإجابة الداعي عند الفرح والنشاط، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام ناداه أعرابيٌّ بصوتٍ عالٍ، فجاوبه ﷺ: «هاؤم» بصولة صوته[١]. وجُوِّز إرادةُ هذا المعنى هنا؛ فإنه يحتمل أن ينادي ذلك المؤتَى كتابَه بيمينه أقرباؤه وأصحابُه مثلاً ليقرؤوا كتابَه، فيُجيبُهم لمزيدِ فرحه ونشاطه بقوله: هاؤم.

وزعم قومٌ أنها مركَّبةٌ في الأصل: ها أمّوا، أي: اقصدوا، ثم نقله التخفيفُ والاستعمالُ إلى ما ذُكر. وزعم آخرون أن الميم ضميرُ جماعةِ الذكور.

والهاءُ في «كتابيه»، وكذا في «حسابيه»، و«ماليه»، و«سلطانيه»، وكذا ﴿مَا هِيَهْ ⑩﴾ في «القارعة» للسَّكت، لا ضمير غيبة، فحقُّها أن تُحذف وصلاً، وتثبت وقفاً؛ لتصان حركةُ الموقوف عليه، فإذا وُصل استغني عنها، ومنهم من أثبتَها في الوصل؛ لإجرائه مجرى الوقف، أو لأنه وصل بنيَّة الوقف، والقراءاتُ مختلفة، فقرأ الجمهور بإثباتها وصلاً ووقفاً. قال الزمخشريُّ[٢]: اتِّباعاً للمصحف الإمام. وتعقَّبه ابنُ المنير[٣] فقال: تعليلُ القراءة باتِّباع المصحف عجيبٌ، مع أن المعتقَدَ الحقَّ أنَّ القراءات بتفاصيلها منقولةٌ عن النبيِّ ﷺ. وأطال في التشنيع عليه، وهو كما قال.

وقرأ ابنُ مُحَيصن بحذفها وصلاً ووقفاً، وإسكان الياء فيما ذُكر، ولم يُنقل ذلك في «ماهيه» فيما وقفتُ عليه. وابنُ أبي إسحاق والأعمش بطرح الهاء فيهنَّ في الوصل لا في الوقف[٤]، وطرَحَها حمزةُ في «مالي» و«سلطاني» و«ما هي» في الوصل لا في

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٣٥) من حديث صفوان بن عسال المرادي، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أحمد (١٨٠٩٥) بلفظ: «هاءُ». وقوله: بصولة صوته، فسره الرواية التي أوردها القرطبي ٢١/٢٠٦، وفيها: يُطَوِّلُ صوتَه. وعند الترمذي: فأجابه رسول الله ﷺ نحواً من صوته: «هاؤم».

(٢) في الكشاف ٤/١٥٣.

(٣) في الانتصاف ٤/١٥٢.

(٤) قراءة ابن محيصن ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١، وذكر القراءات كلها أبو حيان في البحر ٨/٣٢٥.

الوقف، وفَتَح الياء فيهنَّ[(١)]. وما قاله الزهراويُّ من أن إثباتَ الهاءِ في الوصل لحنٌ لا يجوز عند أحدٍ علمتُه. ليس بشيء؛ فإن ذلك متواترٌ، فوجب قَبولُه.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ أي: علمتُ ذلك، كما قاله الأكثرون بناءً على أن الظاهر من حال المؤمن تيقُّنُ أمور الآخرة، كالحساب، فالمنقولُ عنه ينبغي أن يكون كذلك، لكن الأمورَ النظريةَ لكون تفاصيلها لا تخلو عن تردُّدٍ مّا في بعضها مما لا يفوت اليقين فيه، كسهولة الحساب وشدَّته مثلاً = عبَّر عن العلم بالظنِّ مجازاً؛ للإشعار بذلك. وقيل: لمَّا كان الاعتقادُ بأمور الآخرة مطلقاً مما لا ينفكُّ عن الهواجس والخَطَرات النفسية، كسائر العلوم النظرية، نزِّل منزلةَ الظنِّ، فعبِّر عنه به لذلك. وفيه إشارةٌ إلى أن ذلك غيرُ قادح في الإيمان.

وجُوِّز أن يكون الظنُّ على حقيقته، على أن يكون المرادُ من حسابه: ما حصل له من الحساب اليسير[(٢)]؛ فإنَّ ذلك مما لا يقين له به، وإنما ظنَّه ورجَّحه لمزيد وثوقه برحمة الله عزَّ وجل. ولعلَّ ذلك عند الموت؛ فقد دلَّت الأخبارُ على أنَّ اللائق بحال المؤمن حينئذٍ غلبةُ الرجاء وحسنُ الظنِّ، وأما قبلَه، فاستواءُ الرجاء والخوف، وعليه يظهرُ جدّاً وقوعُ هذه الجملة موقعَ التعليل؛ لما تُشعر به الجملةُ الأولى من حسن الحال، فكأنه قيل: إني على ما يحسُنُ من الأحوال، أو إني فَرِحٌ مسرور؛ لأني ظننتُ بربِّي أنه سبحانه يُحاسبني حساباً يسيراً، وقد حاسبني كذلك، فالله تعالى عند ظنِّ عبده به. وهذا أولى مما قيل: يجوز أن يكون المرادُ: إني ظننتُ أني ملاقٍ حسابي على الشدَّة والمناقشة لما سلف منِّي من الهفوات، والآن أزال الله تعالى عنِّي ذلك، وفرَّج همِّي.

وقيل: يطلقُ الظنُّ على العلم حقيقةً، وهو ظاهرُ كلام الرضيِّ[(٣)] في أفعال القلوب، وفيه نظر.

---

(١) وكذلك قرأ يعقوب من العشرة، وحذف الهاء كذلك من «كتابيه» و«حسابيه» وصلاً، وأثبتها وقفاً. النشر ٢/ ١٤٢، وقراءة حمزة في التيسير كذلك ص٢١٤، ٢٢٥.

(٢) في هامش الأصل ما نصه: فالإضافة للعهد. اهـ منه.

(٣) شرح الرضي على الكافية ٤/ ١٥٠.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ قال أبو عُبيدة والفرَّاء: أي: مَرْضِيَّة[1]. وقال غيرُ واحد: أي: ذاتِ رضًى، على أنه من باب النسبة بالصيغة، كلابنٍ وتامرٍ، ومعنى ذات رضى: ملتبسة بالرِّضا، فيكون بمعنى مرضيَّة أيضاً. وأُورد عليه أنَّ ما أُريد به النسبةُ لا يؤنَّث كما صرَّح به الرضيُّ[2] وغيرُه، وهو هنا مؤنَّث، فلا يصحُّ هذا التأويل، إلا أن يُقال: التاءُ فيه للمبالغة، وفيه بحث.

وقال بعضُ المحقِّقين: الحقُّ أنَّ مرادَهم أن ما قُصد به النسبةُ لا يلزم تأنيثُه، وإن جاء فيه على خلاف الأصل الغالب أحياناً.

والمشهور حَمْلُ ما ذُكر على أنه مجازٌ في الإسناد، والأصل: في عيشةٍ راضٍ صاحبُها، فأسند الرضا إليها؛ لجعلها ـ لخلوصها دائماً عن الشوائب ـ كأنها نفسَها راضية. وجُوِّز أن يكون فيه استعارةٌ مكنيَّة وتخييليَّة، كما فُصِّل في مطوَّل كتب المعاني.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ مرتفعةِ المكان؛ لأنها في السماء، فنسبةُ العلوِّ إليها حقيقةٌ، ويجوز أن تكون مجازاً، وهي حقيقة لدرجاتها وما فيها من بناء ونحوه، أو يكون هناك مضافٌ محذوفٌ، أي: عالية درجاتُها، أو بناؤها، أو أشجارها، وفي «البحر»[3]: «عالية» مكاناً وقدراً. ولا يخفى ما في استعمال العلوِّ فيهما من الكلام.

﴿قُطُوفُهَا﴾ جمعُ: قِطف، بكسر القاف، وهو ما يُجتنى من الثمر، زاد بعضهم: بسرعة، وكأن ذلك لأنها من شأن القَطف بفتح القاف، وهو مصدرُ قطف، ولم يجعلوا «قطوفها» جمعاً له؛ لأن المصدر لا يطَّرِدُ جمعُه، ولقوله تعالى: ﴿دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ أي: قريبةٌ يتناول الرجل منها وهو قائم، كما قال البراء بنُ

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٦٨، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٢. وعبارة الفراء: فيها الرضاء، والعرب تقول: هذا ليل نائم، وسر كاتم، وماء دافق، فيجعلونه فاعلاً وهو مفعول في الأصل، وذلك أنهم يريدون وجه المدح.

(٢) شرح الرضي على الكافية ٣/ ٣٣١.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٢٥.

عازب رضي الله عنه، وقال بعضهم: يدركُها القائمُ والقاعد والمضطجع بِفِيْه من شجرتها، وعليه: يجوز أن يكون مرادُ البراء التمثيلَ.

وأخرج عَبْد بنُ حُمَيد عن قتادة أنه قال: دَنَتْ فلا يَرُدُّ أيديَهم عنها بُعْدٌ ولا شوكٌ[1]. وفُسِّر الدنوُّ عليه بسهولة التناول.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ بإضمار القول، أي: يقال فيها ذلك. وجمع الضمير رعايةً للمعنى. ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ صفةٌ لمحذوفٍ وقع مفعولاً به، والأصل: أكلاً وشرباً هنيئاً، أي: غير منغّصين، فحُذِف المفعول به، وأُقيمت صفتُه مقامه، وصحَّ جعلُه صفةً لذلك مع تعدُّده؛ لأنَّ فعيلاً يستوي فيه الواحدُ فما فوقَه. وجعل بعضهم المحذوف مصدراً، وكذا صفته، أعني «هنيئاً»، ووجّه عدم تثنيته بأنَّ المصدر يتناول المثنَّى أيضاً، فلا تغفل. وجُوِّز أن يكون نصباً على المصدرية لفعلٍ من لفظه، وفَعِيل من صيغ المصادر، كما أنه من صيغ الصفات، أي: هنئتُم هنيئاً، والجملةُ في موضع الحال، والكلامُ في مثلها مشهور.

﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ بمقابلة ما قدَّمتُم من الأعمال الصالحة ﴿فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ أي: الماضية، وهي أيامُ الدنيا، وقيل: أي: الخالية من اللذائذ، أي: الحقيقية، وهي أيامُ الدنيا أيضاً، وقيل: أي: التي أخليتُموها من الشهوات النفسانية، وحُمِلَ عليه ما رُوي عن مجاهد وابن جُبَير ووكيع من تفسير هذه الأيام بأيام الصيام.

وأخرج ابنُ المنذر عن يعقوب الحنفي قال: بلغني أنه إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى: يا أوليائي، طالما نظرتُ إليكم في الدنيا، وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وغارت أعينكم، وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتُم في الأيام الخالية[2].

والظاهر أن «ما» على تفسير «الأيام الخالية» بأيام الصيام غيرُ محمولةٍ على العموم، والعمومُ في الآية هو الظاهر.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٦٢، وأخرجه كذلك الطبري ٢٣/ ٢٣٤.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٢، غير أنه جاء اسم القائل فيه: يوسف بن يعقوب الحنفي. وقلص الشيء: ارتفع. مختار الصحاح (قلص).

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ لمَا يرى من قُبْح العمل، وانجِلاء الحساب عمَّا يسوءه ﴿يَٰلَيْتَهَا﴾ أي: الموتة التي متُّها في الدنيا ﴿كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: القاطعة لأمري، ولم أُبعث بعدها، ولم ألقَ ما ألقى. فالضميرُ للموتة الدالّ عليها المقام، وإن لم يسبِقْ لها ذِكْر، ويجوز أن يكون لِمَا شاهده من الحالة، أي: ليتَ هذه الحالة كانت الموتة التي قضت عليَّ؛ لما أنه وجدها أمرَّ من الموت، فتمنَّاه عندها، وقد قيل: أشدُّ من الموت ما يُتمنَّى الموتُ عنده. وقد جُوِّز أن يكون للحياة الدنيا المفهومة من السياق أيضاً، والمراد بـ «القاضية» الموتة، فقد اشتهرت في ذلك، أي: يا ليت الحياةَ الدنيا كانت الموتةَ ولم أُخلق حيًّا. وبتفسير «القاضية» بما ذُكر اندفع ما قيل: إنها تقتضي تجدُّد أمرٍ، ولا تجدُّد في الاستمرار على العدم، نعم هذا الوجهُ لا يخلو عن بُعْدٍ.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾﴾ أي: ما أغنى عنِّي شيئاً الذي كان لي في الدنيا من المال ونحوه، كالأتباع، على أنَّ «ما» في «ما أغنى» نافيةٌ، و«ما» في «ما ليه» موصولةٌ فاعلُ «أغنى»، ومفعوله محذوفٌ، و«لِيَه» جارٌّ ومجرور في موضع الصِّلة. ويجوز أن يُجعل «ماليه» عبارة عن «مال» مضافٍ إلى ياء المتكلم، والأولُ أظهر شمولاً للأتباع ونحوها؛ إذ لا يتأتّى اعتبارُ ذلك على الثاني إلا باعتبار اللزوم. ويجوز أن تكون «ما» في «ما أغنى» استفهاميةً للإنكار، و«ما ليه» على احتماليه، أي: أيُّ شيء أغنى عنِّي مالي؟

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ أي: بطلت حُجَّتي التي كنتُ أحتجُّ بها في الدنيا، وبه فسَّره ابنُ عباس، ومجاهد، والضحَّاك، وعكرمة، والسُّدِّي، وأكثرُ السلف. أو: مُلكي وتسلُّطي على الناس، وبقيتُ فقيراً ذليلاً، أو: تسلُّطي على القوى والآلات التي خُلِقت لي، فعجزتُ عن استعمالها في الطاعات، يقول ذلك تحسُّراً وتأسُّفاً. وإلى هذا ذهب قتادةُ مشيراً إلى وجه اختياره دون الثاني؛ أخرج عَبْد بنُ حُمَيد عنه أنه قال: أمَا والله ما كلُّ من دخل النار كان أميرَ قرية، ولكنَّ الله تعالى خلقَهم

وسلَّطهم على أبدانهم، وأمرَهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته(١). وبما أشار إليه رُجِّح الأول على الثاني أيضاً، لكن قيل: ما بَعْدُ أشدُّ مناسبةً له، وستطَّلع إن شاء الله تعالى على ذلك.

وعن ابن عباس أنها نزلت في الأسود بن عبد الأسد(٢).

ويُحكى عن فنّاخسرةَ(٣) الملقَّب بعَضُد الدولة ابن بُوَيْه أنه لمَّا أنشد قوله:

لـيس شربُ الـكـاس إلا فـي الـمـطرْ   وغـنـاءٌ مـن جَـوارٍ فـي سَـحَـرْ
غـانـيـاتٌ سـالـبـاتٌ لـلـنُّـهـى   نـاعـمـاتٌ فـي تـضـاعـيـفِ الـوتـرْ
مـبـرزاتُ الـكـاسِ مـن مـطـلـعـهـا   سـاقـيـاتُ الـراح مَـنْ فـاق الـبـشـرْ
عـضـدَ الـدولـة وابـنَ ركـنـهـا   مـلـكَ الأمـلاك غـلابَ الـقـدرْ

لم يُفلح بعده، وجُنَّ، وكان لا ينطلق لسانُه إلا بهذه الآية. وفي «يتيمة»(٤) الثعالبي أنه لما احتُضِرَ لم ينطلق لسانُه إلا بتلاوة: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ نسأل الله تعالى العفوَ والعافية.

ورُوي عن أبي عمرو أنه أدغم هاءَ السكت من «ما ليه» في هاء «هلك»(٥)،

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٦٢، وأخرجه أيضاً الطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٣٦، وجاء عنده: وسلّطهم على أقرانهم.

(٢) في الأصل و(م): الأشد، وضبط في الأصل بتشديد الدال، والأسود قتل كافراً يوم بدر، وهو أخو أبي سلمة زوج أم سلمة قبل رسول الله ﷺ، انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص١٤٤.

(٣) كذا ضبط اسمه في الأصل، وجاء في الوافي بالوفيات ٢٤/ ٨٧: فناخسرو.
وهو أبو شجاع بن الحسن بن بويه كان محباً للعلم، مشتغلاً به مقرباً لأهله، كثير المجالسة لهم، مبالغاً في تعظيمهم، محباً للفضائل، تاركاً للرذائل، حسن السياسة، شيعي المذهب، وهو أول من خوطب في الإسلام بالملك شاهنشاه، توفي ببغداد بعلة الصرع سنة (٣٧٢هـ). الوافي بالوفيات، وفيه الأبيات الآتية بعدُ.

(٤) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٢/ ٢٥٩، والأبيات السابقة فيه كذلك.

(٥) لم نقف على من نسب الإدغام هنا لأبي عمرو، وانظر تفصيل المسألة في التبصرة لمكي ص٨٨، والنشر ٢/ ٢١، وإتحاف فضلاء البشر ص٥٥٥.

وهو ضعيفٌ قياساً؛ لأن هاء السكت لا تُدغم؛ لكون الوقف عليها محقَّقاً أو مقدَّراً كما في «شرح التوضيح»، وفيه روايةُ الإدغام فيما ذكر عن وَرْش، وتُعقِّب بأن المرويَّ عنه إنما هو النقلُ في «كتابيه انّي»(1). والله تعالى أعلم.

﴿خُذُوهُ﴾ بتقدير القول، أي: فيقولُ الله تعالى للزَّبانية: خذوه ﴿فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ أي: شدُّوه بالأغلال ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ أي: لا تصلوه إلا الجحيم - وهي النارُ العظيمةُ، الشديدةُ التأجُّج - لعِظَم ما أتى به من المعصية، وهي الكفرُ بالله تعالى العظيم.

وقيل: حيث كان يتعظَّم على الناس، وهو مبنيٌّ على اختصاص ما قبلُ بالسلاطين، بقرينةِ تعظيم أمره، وتنصيص الله تعالى على تعذيبه.

وأُجيب عمَّا يخدِشُه مما يُفهم من كلام قتادة بأنه لا ضيرَ في كونه بياناً لحال بعض مَنْ أُوتي كتابه بشماله، ومثلُه ما يأتي إن شاء الله تعالى من قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ إلخ [الآية: ٣٤]، فكم من أهل الشمال مَنْ لا يكونُ كذلك.

وأيضاً قد ذكروا أنَّ «الجحيم» اسمٌ لطبقةٍ من النار، فتأمَّل.

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا﴾ أي: قياسُها ومقدارُ طولها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ يجوزُ أن يُراد ظاهرُه من العدد المعروف، والله تعالى أعلم بحكمةِ كونها على هذا العدد، ويجوز أن يُراد به التكثيرُ؛ فقد كثر السبعة والسبعون في التكثير والمبالغة، ورُجِّح بأنه أبلغُ من إبقائه على ظاهره.

والذراعُ مؤنَّث، قال ابنُ الشّحنة: وقد ذكره بعضُ عُكْل، فيقال: الثوبُ خمس أذرع، وخمسة أذرع.

والمرادُ بها المعروفة عند العرب، وهي ذراعُ اليد؛ لأنَّ الله سبحانه إنما خاطَبَهم بما يعرفون. وقال ابنُ عباس، وابن جُرَيج، ومحمد بن المُنْكَدر: ذراع المَلَك.

---

(1) أورد ابن الجزري في النشر ٤٠٩/١ الاختلاف على ورش في النقل والتحقيق، وذكر أن رواية الجمهور عنه بإسكان الهاء وتحقيق الهمزة، وذكر أن الشاطبي أشار إلى ضعف النقل عنه، وكذلك نَقَل ترجيح تركِ النَّقْل عن مكيّ، ثم قال: وتركُ النقلِ فيه هو المختار عندنا، والأصح لدينا، والأقوى في العربية... إلخ.

وأخرج ابنُ المبارك وجماعةٌ عن نَوْف البِكاليِّ أنه قال وهو يومئذٍ بالكوفة: الذراعُ سبعون باعاً، والباع ما بينكَ وبين مكة[1]. ويحتاج إلى نقلٍ صحيح.

وقال الحسن: الله تعالى أعلم بأيِّ ذراع هي.

والسلسلة حَلَقٌ تدخل في حَلَق على سبيل الطول، كأنها من تسلسَلَ الشيءُ: اضطربَ، وتنوينُها للتفخيم. ورُوي عن ابن عباس أنه قال: لو وُضع منها حَلْقةٌ على جبل لذاب كالرَّصاص.

﴿فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ أي: فأدخلوه، كما في قوله تعالى: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١] وإدخالُه فيها بأن تُلَفَّ على جسده، وتُلوى عليه من جميع جهاته، فيبقى مرهَقاً فيما بينها لا يستطيع حَراكاً ما. وعن ابن عباس أنَّ أهل النار يكونون فيها كالثعلب في الجُبَّة، والثعلبُ: طرفُ خشبة الرُّمح، والجُبَّة: الزجّ.

وأخرج ابنُ المنذر وابنُ أبي حاتم عن ابن جُرَيج قال: قال ابن عباس: إنَّ السلسلةَ تدخُلُ في اسْتِهِ، ثم تخرج من فِيْهِ، ثم يُنظَمون فيها كما يُنظَم الجَراد في العود، ثم يُشوى[2]. وفي رواية أخرى عنه[3] أنها تُسْلَكُ في دُبُره حتى تخرجَ من منخريه. ومن هنا قيل: إنَّ في الآية قلباً، والأصلُ: فاسلكوها فيه، والجمهور على الظاهر.

والفاءُ جزائيَّةٌ كما في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣] والتقديرُ: مهما يكُنْ من شيءٍ فاسلكوه في سلسلة.. إلخ، فقدّم الظرف وما معه عوضاً عن المحذوف، ولتتوسَّط الفاءُ كما هو حقُّها، وليدلَّ على التخصيص، كأنه قيل: لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، كأنها أفظعُ من سائر مواضع الإرهاق من الجحيم. ويجوز أن يكون

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٦٢، والزهد لابن المبارك (٢٨٨ - زوائد نعيم)، وأخرجه أيضاً هناد في الزهد (٢٦٩).

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٢.

(٣) تحرفت في (م) إلى: أخرج عنهم.
وأخرج هذه الرواية ابن أبي حاتم، والبيهقي في البعث والنشور، كما قال السيوطي في الدر ٦/ ٢٦٢.

التقدير هكذا: ثم مهما يكن من شيء ففي سلسلةٍ ذَرْعُها سبعون ذراعاً اسلكوه، ففيه تقديمان: تقديمُ الظرف على الفعل؛ للدّلالة على التخصيص، وتقديمُه على الفاء بعد حذفِ حرف الشَّرط؛ للتعويض وتوسيطِ الفاء.

و«ثم» في الموضعين لتفاوتِ ما بين أنواع ما يُعذَّبون به من الغَلِّ، والتَّصْلية، والسَّلْك، على ما اختاره جمعٌ. وجوَّز بعضُهم كونَها على ظاهرها من الدلالة على المُهْلة، ورُجِّح الأولُ بأنه أنسبُ بمقام التهديد.

وزعم بعضٌ أن «ثم» الثانية لعطف قولٍ مضمَرٍ على ما أُضمر قبل «خذوه»؛ إشعاراً بتفاوت ما بين الأمرين، وفاء «فاسلكوه» لعطفِ المقول على المقول؛ لئلا يتوارَدَ حرفا عطفٍ على معطوف واحد، ويلزمُه أن يكون تقديمُ السلسلة على الفاء بعد حذف القول؛ لئلا يلزَمَ التواردُ المذكور، ومبنى هذا التكلُّف البارد الغفلةُ عمَّا ذكرناه، فلا تغفل.

ويُعلم منه وَهْنُ ما قيل: إنه ليس في الآية ما يفيدُ التخصيصَ، لأنَّ «في سلسلة» ليس معمولاً لـ «اسلكوه»؛ لئلا يلزمَ الجمعُ بين حرفَي عطفٍ، بل هو معمولٌ لمحذوف، فيقدَّر مقدَّماً على الأصل، على أن تقديمَ «الجحيم» كالقرينة على كون «في سلسلة» مقدَّماً على عامله.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾ تعليلٌ على طريقة الاستئناف للمبالغة، كأنه قيل: لم استحقَّ هذا؟ فقيل: لأنه كان في الدنيا مستمرّاً على الكفر بالله تعالى العظيم. وقيل: أي: كان في علم الله تعالى المتعلِّقِ بالأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر أنه لا يتَّصفُ بالإيمان به عزَّ وجل، والأولُ هو الظاهر.

وذكر «العظيم» للإشارة إلى وجهِ عِظَمِ عذابه، وقيل: للإشعار بأنه عزَّ وجل المستحقُّ للعَظَمة فحسب، فمن نسَبَها إلى نفسه استحقَّ أعظمَ العقوبات.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾﴾ أي: ولا يحثُّ على بذلِ طعامه الذي يستحقُّه في مال الموسِر، ففيه مضافٌ مقدَّر؛ لأن الحثَّ إنما يكون على الفعل، والطعامُ ليس به، ويجوز أن يكون الطعامُ بمعنى الإطعام بوضعِ الاسم موضعَ المصدر،

كالعطاء بمعنى الإعطاء، أي: ولا يحثُّ على إطعام المسكين، فضلاً عن أن يبذلَ مالَه، فليس هناك مضافٌ محذوف.

وقيل: ذكر الحضّ للإشعار بأن تاركَ الحضِّ بهذه المنزلة، فكيف بتارك الفعل؟ وما أحسن قولَ زينب [بنت] الطَّثَرية ترثي أخاها يزيد:

إذا نـزل الأضـيـافُ كـان عَـذَوَّراً   على الحيِّ حتى تستقلَّ مراجِلُهْ[1]

تريد: حضَّهم على القِرى، واستعجَلَهم، وتشاكَسَ عليهم، وفيه أوجه من المدح.

وكان أبو الدرداء ﷺ يحضُّ امرأتَه على تكثير المَرَق لأجل المساكين، ويقول: خَلَعْنا نصفَ السلسلة بالإيمان، أفلا نخلَعُ نصفَها [الآخر][2]؟ اقتبسَ ذلك من الآية؛ فإنه جعَلَ استحقاقَ السلسلة معلَّلاً بعدم الإيمان وعدمِ الحضِّ.

وتخصيصُ الأمرين بالذِّكر؛ قيل: لِمَا أنَّ أقبح العقائد الكفرُ، وأشنع الرذائل البخلُ وقسوةُ القلب.

وفي الآية دلالةٌ على أن الكفَّار مخاطبون بالفروع كالأصول، وإلا لم يُعاقبوا على ترك الحضِّ على طعام المسكين.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥﴾ قريبٌ مشفِقٌ يحميه ويدفع عنه؛ لأن أولياءه يتحامَوْنه ويفرُّون منه.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ قال اللغويون: هو ما يجري من الجِراح إذا غُسلت، فِعْلين من الغَسْل. وقال ابنُ عباس في رواية ابنِ أبي حاتم وابنِ المنذر من طريق عِكْرمة عنه: إنه الدمُ والماء الذي يسيلُ من لحوم أهل النار. وفي معناه قوله

---

(١) البيت في شرح الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٠٤٧، وللتبريزي ٣/ ٤٦، والأغاني ٨/ ١٨٣، وأمالي القالي ٢/ ٨٥، وما بين حاصرتين من المصادر. قال التبريزي: العذوَّر: السيء الخلق، القليل الصبر فيما يريده ويهم به، وَصَفَتْه بسوء الخلق والتشدد في الأمر والنهي حتى تُنصب المراجل وتُهيأ المطاعم للضيفان، ثم يعود إلى خلقه الأول.

(٢) الكشاف ٤/ ١٥٤، والبحر ٨/ ٣٢٦، وما بين حاصرتين منهما.

في روايتهما من طريق عليٍّ بن أبي طلحة عنه: هو صديدُ أهل النار. وأخرج ابنُ أبي حاتم من طريق مجاهدٍ عنه أنه قال: ما أدري ما الغِسْلين، ولكني أظنُّه الزَّقُّوم[1]. والأكثرون على الأول.

وأخرج الحاكمُ وصحَّحه[2] عن أبي سعيد الخدريِّ، عن النبيِّ ﷺ: «لو أنَّ دلواً من غِسْلين يُهراق في الدنيا لأنتنَ بأهل الدنيا».

وجعله بعضُهم متَّحداً مع الضَّريع، وقال بعضُهم: هما متباينان، وسيأتي الكلامُ في ذلك إن شاء الله تعالى.

و«له» خبرُ «ليس»، قال المَهْدويُّ: ولا يصحُّ أن يكون «ها هنا». ولم يُبيِّن ما المانعُ من ذلك، وتبعَه القرطبيُّ في ذلك[3]، وقال: لأن المعنى يصيرُ: ليس ها هنا طعام إلا من غِسْلين، ولا يصحُّ ذلك؛ لأنَّ ثَمَّ طعاماً غيره و«هاهنا» متعلِّق بما في «له» من معنى الفعل. انتهى.

وتعقب ذلك أبو حيان[4] فقال: إذا كان ثَمَّ غيرُه من الطعام، وكان الأكل أكلاً آخر صحَّ الحصرُ بالنسبة إلى اختلافِ الأكلين، وأما إن كان الضريعُ هو الغِسْلين كما قال بعضُهم، فلا تناقضَ بين هذا الحصرِ والحصر في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:٦] إذ المحصورُ في الآيتين هو من شيء واحد، وإنما يمتنع ذلك من وجهٍ غير ما ذكره، وهو أنه إذا جعلنا «هاهنا» الخبر كان «له» و«اليوم» متعلِّقين بما تعلَّق به الخبرُ، وهو العاملُ في «هاهنا»، وهو عاملٌ معنويٌّ، فلا يتقدَّم معمولُه عليه، فلو كان العاملُ لفظيّاً جاز، كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ فـ «له» متعلِّق بـ «كفواً»، وهو خبرٌ لـ «يكن». اهـ. وفي إطلاقِ العاملِ المعنويِّ على متعلَّق الجارِّ والمجرور المحذوفِ بحثٌ.

---

(١) أورد السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٣ الروايات السالفة التي ذكرها المصنف.
(٢) المستدرك ٢/ ٥٠١.
(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٢١١.
(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٢٧.

﴿لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ أصحابُ الخطايا، من خطئ الرجلُ: إذا تعمَّد الذنبَ، من الخطأ المقابلِ للصواب دون المقابل للعمد، والمراد بهم ـ على ما رُوي عن ابن عباس ـ المشركون.

وقرأ الحسنُ، والزهريُّ، والعَتَكي، وطلحةُ في رواية: «الخاطِيُون» بياء مضمومةٍ بدلاً من الهمزة، وقرأ أبو جعفرٍ، وشيبةُ، وطلحةُ في رواية أخرى، ونافع بخلاف عنه: «الخاطون» بطرح الهمزة بعد إبدالها تخفيفاً على أنه من خطئ، كقراءة مَن هَمَز[1]. وعن ابن عباس ما يُشعر بإنكار ذلك، أخرج الحاكم وصحَّحه[2] من طريق أبي الأسود الدؤلي ويحيى بن يَعْمَر عنه أنه قال: ما الخاطون؟! إنما هو «الخاطئون»، ما الصابون؟! إنما هو «الصابئون». وفي رواية: ما الخاطون؟! كلنا نخطو. كأنه يريد أنَّ التخفيفَ هكذا ليس قياساً، وهو ملبِسٌ مع ذلك، فلا يُرتكب.

وقيل: هو من خطا يخطو، فالمرادُ بهم الذين يتخطَّون من الطاعة إلى العصيان، ومن الحقِّ إلى الباطل، ويتعدَّون حدودَ الله عزَّ وجلَّ، فيكونُ كنايةً عن المذنبين أيضاً.

هذا، وظواهرُ هذه الآيات أنَّ المؤمن الطائعَ يُؤتَى كتابَه بيمينه، والكافر يُؤتَى كتابَه بشماله، ولم يُعلم منها حالُ الفاسق الذي مات على فِسقِه من غير توبةٍ، بل قيل: ليس في القرآن بيانُ حاله صريحاً، وقد اختُلف في أمره، فجزم الماورديُّ بأنَّ المشهور أنه يُؤتى كتابَه بيمينه، ثم حكى قولاً بالوقف، وقال: لا قائل بأنه يُؤْتاه بشماله[3]. وقال يوسف بنُ عمر: اختُلف في عصاة المؤمنين: فقيل: يأخذون كتبَهم بأيمانهم، وقيل: بشمائلهم. واختلف الأوَّلون: فقيل: يأخذونها قبل الدخول في النار، ويكون ذلك علامةً على عدم خلودهم فيها، وقيل: يأخذونها بعد الخروج منها.

---

(١) البحر المحيط ٨/٣٢٧، ونسب ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦١ قراءة «الخاطون» لابن مسعود وابن عباس.

(٢) المستدرك ٢/٥٠١.

(٣) في هامش الأصل: حكاه اللقاني. اهـ منه.

ومن أهل العلم مَن توقَّف؛ لتعارض النصوص، ومَنْ حفظ حجَّةٌ على مَنْ لم يحفظ، والمثبِتُ مقدَّم على النافي، ثم إنه ليس في هذه الآيات تصريحٌ بقراءة العبد كتابَه، والواردُ في ذلك مختلِف، والذي يجمعُ الآيات والأحاديث ـ على ما قال اللَّقاني ـ أنَّ من الآخذين مَنْ لم يقرأ كتابَه؛ لاشتماله على المخازي والقبائح، والجرائم والفضائح، فيأخذه بسبب ذلك الدَّهش والرُّعب، حتى لا يميِّز شيئاً كالكافر، ومنهم مَنْ يقرؤه بنفسه، ومنهم من يدعو أهلَ حاضرِه لقراءته إعجاباً بما فيه.

وظواهرُ النصوص أنَّ القراءة حقيقيةٌ، وقيل: مجازيةٌ عبَّر بها عن العلم، وليس بشيء. ولفظُ الحسن: يقرأُ كلٌّ إنسان كتابَه أُميّاً كان أو غير أميٍّ.

وظواهرُ الآثار أنَّ الحسنات تُكتب متميِّزةً من السيئات، فقيل: إن سيِّئات المؤمن أولُ كتابه، وآخرُه: هذه ذنوبُك قد سترتُها وغفرتُها، وإنَّ حسنات الكافر أولُ كتابه، وآخرُه: هذه حسناتُك قد رَدَدْتُها عليكَ وما قبلتُها.

وقيل: يقرأُ المؤمنُ سيئات نفسه، ويقرأُ الناسُ حسناته حتى يقولوا: ما لهذا العبد سيئةٌ، ويقول: مالي حسنةٌ.

وقيل: كلٌّ يقرأ حسناته وسيئاته، وأولُ سطرٍ من كتاب المؤمن أبيضُ، فإذا قرأه ابيضَّ وجهُه، والكافرُ على ضدِّ ذلك.

وظواهرُ الآيات والأحاديثِ عدمُ اختصاص إيتاءِ الكتب بهذه الأمة، وإن تردَّد فيه بعضُ العلماء؛ لِمَا في بعضها مما يُشعر بالاختصاص؛ ففي حديثٍ رواه أحمدُ عن أبي الدرداء أنه عليه الصلاة والسلام قال ـ وقد قال له رجل: كيف تعرفُ أُمَّتَكَ من بين الأمم فيما بين نوحٍ عليه السلام إلى أُمَّتك يا رسول الله؟ ـ: «هم غرٌّ محجَّلون من أثر الوضوء، ليس أحدٌ كذلك غيرُهم، وأعرفُهم أنهم يُؤْتَون كتبَهم بأيمانهم» الحديث[1]. وقد تقدَّم فتذكَّر.

---

(١) المسند (٢١٧٣٧)، وموضع الشاهد منه ضعيف، وانظر تمام الكلام عنه في حاشية المسند.

والحقُّ أن الجنَّ في هذه الأمور حكمُهم حكمُ الإنس على ما بحثَه القرطبيُّ[١] وصرَّح به غيرُه. نعم الأنبياءُ والملائكةُ عليهم الصلاة والسلام لا يأخذون كتاباً، بل إنَّ السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنةَ بغير حسابٍ ـ ومنهم أبو بكر رضي الله عنه ـ لا يأخذون أيضاً كتاباً، وأولُ مَنْ يُؤْتى كتابَه بيمينه وله شعاعٌ كشعاع الشمس عمرُ بنُ الخطَّاب رضي الله عنه، كما في الحديث[٢]، وبعدَه أبو سَلَمة بنُ عبد الأسد، وأولُ من يأخذ كتابَه بشماله أخوه الأسودُ بنُ عبد الأسد[٣] الذي مرَّ ذِكْره غيرَ بعيد.

والآثارُ في كيفية وصول الكتب إلى أيدي أصحابها مختلفةٌ؛ فقد ورَدَ أنَّ الريح تُطَيِّرُها من خزانةٍ تحت العرش، فلا تُخطئُ صحيفةٌ عنقَ صاحبها، وورَدَ أنَّ كلَّ أحدٍ يُدْعى فيُعطى كتابَه، وجُمِعَ بأَخْذِ الملائكة عليهم السلام إيَّاها من أعناقهم، ووضعِهِم لها في أيديهم، والله تعالى أعلم، وتمامُ الكلام في هذا المقام يُطلب من محلِّه.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩﴾ قد تقدَّم الكلامُ في ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥].

و«ما تبصرون وما لا تبصرون» المشاهداتُ والمغيَّباتُ، وإليه يرجع قولُ قتادة: هو عامٌّ في جميع مخلوقاته عزَّ وجل. وقال عطاءٌ: ما تبصرون من آثار القدرة، وما لا تبصرون من أسرار القدرة. وقيل: الأجسامُ والأرواح. وقيل: الدنيا والآخرة. وقيل: الإنسُ والجنُّ والملائكة. وقيل: الخَلْق والخالق. وقيل: النِّعَم الظاهرةُ والباطنة. والأولُ شاملٌ لجميع ما ذُكر.

---

(١) في الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٢٣٠، والتذكرة ١/ ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ١١/ ٢٠٢، وفيه عمر بن إبراهيم الكردي، قال عنه الخطيب: يروي المناكير عن الأثبات.

(٣) أخرج ذلك الطبراني في الأوائل (٨٢)، وابن أبي عاصم في الأوائل (٨٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، غير أنه من طريق حبيب بن زريق كاتب مالك، عن ابن أخي الزهري، وقد قال عنه أبو حاتم ـ كما في الجرح والتعديل ٣/ ١٠٠ـ: متروك الحديث، روى عن ابن أخي الزهري أحاديث موضوعة.
وقد تحرف: عبد الأسد، في الأصل و(م) إلى: عبد الأشد.

وسببُ النزول ـ على ما قال مقاتل ـ أنَّ الوليد قال: إنَّ محمداً ـ ﷺ ـ ساحرٌ، وقال أبو جهل: شاعرٌ، وقال عتبةُ: كاهن، فردَّ الله تعالى عليهم بقوله سبحانه: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ إلخ.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ﴾ يُبَلِّغه عن الله تعالى؛ فإن الرسول لا يقول عن نفسه ﴿كَرِيمٖ ۝٤٠﴾ على الله عزَّ وجل، وهو النبيُّ ﷺ في قول الأكثرين، وقال ابنُ السائب ومقاتل وابنُ قتيبة[1]: هو جبريلُ عليه السلام.

وقولُه تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ﴾ إلخ، قيل: دليلٌ لما قاله الأكثرون؛ لأن المعنى على إثبات أنه عليه الصلاة والسلام رسولٌ، لا شاعرٌ ولاكاهن، كما يُشعر بذلك سببُ النزول، وتوضيحُ ذلك أنهم ما كانوا يقولون في جبريل عليه السلام: إنه كذا وكذا، وإنما كانوا يقولونه في النبيِّ ﷺ، فلو أُريد بـ «رسول كريم» جبريلُ عليه السلام لفاتَ التقابُلُ، ولم يَحسُنِ العطفُ، كما تقول: إنه لقولُ عالم، وما هو بقول جاهل. ولو قلت: وما هو بقول شجاع، نُسبتَ إلى ما تكره.

وتعقَّبه بعضُ الأئمَّة بأن هذا صحيحٌ إن سلِّم أنَّ المعنى على إثبات رسولٍ لا شاعر، ويكون قولُه تعالى: «إنه لقولُ رسولٍ» لا قول شاعر إثباتاً للرسالة على طريق الكناية، أما إذا جُعل المقصودُ من السياق إثباتُ حقِّيَّة المنزل، وأنه من الله عزَّ وجل، فإنه تذكرةٌ لهؤلاء، وحسرةٌ لمقابليهم، وهو في نفسه صدقٌ ويقين لا يحومُ حولَه شكٌّ، كما يدلُّ عليه ما بعدُ، فللقول الثاني أيضاً موقعٌ حسنٌ، وكأنَّه قيل: إن هذا القرآن لَقَولُ جبريل الرسول الكريم، وما هو من تلقاء محمدٍ ﷺ كما تزعمون وتدَّعون أنه شاعرٌ وكاهن، ويكون قد نفى عنه ﷺ الشعرَ والكَهانة على سبيل الإدماج. انتهى. وهو تحقيقٌ حسن.

﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ۝٤١﴾ أي: تُصدِّقون تصديقاً قليلاً، على أن «قليلاً» صفةٌ للمفعول المطلق لـ «تؤمنون»، و«ما» مزيدةٌ للتأكيد، والقلَّة بمعناها الظاهر؛ لأنهم لظهور صِدْقه ﷺ لزِمَ تصديقُهم له عليه الصلاة والسلام في الجملة، وإن أظهروا

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٨٤.

خلافَه عناداً، وأَبَوه تمرُّداً بألسنتهم، وحمَلَ الزمخشريُّ[1] القلَّةَ على العدم والنفي، أي: لاتؤمنون ألبتَّةَ، ولا كلامَ فيه سوى أنه دون الأول في الظهور.

وقال أبو حيَّان[2] لا يُراد بـ «قليلاً» هنا النفيُ المحضُ كما زعم، فذلك لا يكون إلا في أقلَّ، نحو: أقلّ رجل يقول كذا إلا زيد، وفي قلَّ، نحو: قلَّ رجلٌ يقول كذا إلا زيد، وقد يكون في قليل وقليلة إذا كانا مرفوعين، نحو ما جَوَّزوا في قوله:

أُنيخَتْ فألقَتْ بلدةً فوق بلدةٍ قليلٍ بها الأصواتُ إلا بُغَامُها[3]

أما إذا كان منصوباً، نحو: قليلاً ضربت، أو: قليلاً ما ضربت، على أن تكون «ما» مصدرية، فإن ذلك لا يجوز؛ لأنه في قليلاً ضربت، منصوبٌ بضربت، ولم تستعمل العربُ قليلاً إذا انتصَبَ بالفعل نفياً، بل مقابلاً للكثير، وأمَّا في قليلاً ما ضربت، على أن تكون «ما» مصدرية، فيحتاج إلى رفع قليل؛ لأنَّ «ما» المصدرية في موضع رفعٍ على الابتداء. اهـ.

وأنتَ تعلمُ أنَّ مثل ذلك لا يُسمع على مثل الزمخشري بغير دليل؛ فإنَّ الظاهر أنه ما قال ما قال إلا عن وقوف، وهو فارسُ ميدان العربية.

وجُوِّز كونُه صفةً لزمانٍ محذوف، أي: زماناً قليلاً تؤمنون، وذلك ـ على ما قيل ـ إذا سُئلوا: مَنْ خَلَقَهم؟ أو: مَنْ خلَقَ السماوات والأرض؟ فإنهم يقولون حينئذٍ: الله تعالى.

---

(١) في الكشاف ٤/ ١٥٤.

(٢) في البحر المحيط ٨/ ٣٢٨.

(٣) البيت لذي الرمَّة، وهو في ديوانه ٢/ ١٠٠٤.
وقوله: أُنيخت، أي: أُبركت، والبلدة الأولى: الصدر، والثانية: الأرض، وبغام الناقة: صوت لا تفصح به. والمعنى أن الناقة أُبركت، فألقت صدرها على الأرض في بلدة قليل بها الأصوات غير صوت الناقة، أما صوتها فكثير.
وقليل، بالجرِّ: صفة سببية للبلدة الثانية، ويجوز رفعه على أنه خبر الأصوات، والجملة صفة. خزانة الأدب ٣/ ٤١٩-٤٢٠.

وقال ابنُ عطية[١]: نصب «قليلاً» بفعلٍ مضمرٍ يدلُّ عليه «تؤمنون»، ويحتمِلُ أن تكون «ما» نافيةً، فينتفي إيمانهم ألبتَّة، ويحتمِلُ أن تكون مصدريةً، وما يتَّصفُ بالقلَّة هو الإيمانُ اللغويُّ، وقد صدَّقوا بأشياء يسيرة لا تغني عنهم شيئاً، ككون الصِّلة والعفاف اللذين كانا يأمُرُ بهما عليه الصلاة والسلام حقّاً وصواباً. اهـ.

وتُعقِّب بأنه لا يصحُّ نصبُ «قليلاً» بفعل مضمرٍ دالٌّ عليه «تؤمنون»؛ لأنه إما أن تكون «ما» المقدَّرةُ معه نافيةً، فالفعلُ المنفيُّ بـ «ما» لا يجوز حذفُه، وكذا حذفُ «ما»، فلا يجوز: زيداً ما أضربُه، على تقدير: ما أضربُ زيداً ما أضربُه، وإن كانت مصدريةً كانت إما في موضع رفع على الفاعلية بـ «قليلاً»، أي: قليلاً إيمانُكم، ويَرِدُ عليه لزومُ عملِهِ من غير تقدُّم ما يعتمد عليه، ونصبُه ولا ناصب له، وإمَّا في موضع رفعٍ على الابتداء، ويَرِدُ عليه لزومُ كونه مبتدأ بلا خبرٍ؛ لأن ما قبلَه منصوبٌ لا مرفوع، فتأمل.

وقرأ ابنُ كثير، وابنُ عامر وأبو عَمرو بخلافٍ عنهما، والحسنُ، والجَحْدريُّ: «يؤمنون» بالياء التحتية على الالتفات[٢].

﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ﴾ كما تدَّعون مرَّةً أخرى.

﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢﴾ أي: تذكَّرون تذكُّراً قليلاً، فلذلك يلتبسُ الأمر عليكم. وتمامُ الكلام فيه إعراباً كالكلام فيما قبلَه، وكذا القراءةُ.

وذكر الإيمانَ مع نفي الشاعريَّة، والتذكُّرَ مع نفي الكاهنيَّة؛ قيل: لِمَا أنَّ عدمَ مشابهة القرآن الشعرَ أمرٌ بيِّنٌ لا ينكرُه إلا معاندٌ، فلا عذر لمدَّعيها في ترك الإيمان، وهو أكفرُ من حمار[٣]، بخلاف مُبايَنَته للكَهانة؛ فإنها تتوقَّفُ على تذكُّر

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٢.

(٢) الاختلاف على ابن عامر إنما هو من رواية ابن ذكوان عنه، فقد روي عن ابن ذكوان القراءة بالوجهين، وأما أبو عمرو فالصحيح المشهور عنه كالجماعة. وانظر التفصيل في التيسير ص٢١٤، والنشر ٢/ ٣٩٠.
وقراءة أبي عمرو والحسن والجحدري ذكرها أبو حيان في البحر ٨/ ٣٢٩.

(٣) حمار: رجل من عاد يقال له: حمار بن مويلع، كان مسلماً، وكان له واد طويل لم يكن =

أحواله ﷺ، ومعاني القرآن المنافية لطريق الكهانة، ومعاني أقوالهم.

وتُعقِّب بأن ذلك أيضاً مما يتوقَّف على تأمُّل قطعاً.

وأُجيب بأنه يكفي في الغرض الفرقُ بينهما أنَّ توقُّف الأول دون توقُّف الثاني.

﴿تَنزِيلٌ﴾ أي: هو تنزيلٌ ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ نزَّله سبحانه على لسان جبريل عليه السلام.

وقرأ أبو السَّمَّال: «تنزيلاً» بالنصب[١]، بتقدير: نزَّله تنزيلاً.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ التقوُّل: الافتراءُ، وسُمِّي تقوُّلاً لأنه قولٌ متكلَّف، والأقاويلُ: الأقوالُ المفتراة، وهي جمعُ قولٍ على غير القياس، أو جمعُ أقوالٍ، فهو جمع الجمع، كالأناعيم جمع أنعام، وأبابيت جمع أبيات.

وفي «الكشاف»[٢]: سمَّى الأقوال المتقوَّلةَ «أقاويل» تصغيراً لها وتحقيراً، كقولك: الأعاجيب والأضاحيك، كأنها جمعُ أفعولة من القول.

وتعقَّبه ابنُ المنيِّر[٣] بأن أفعولة من القول غريبٌ عن القياس التصريفيِّ.

وأُجيب بأنه غيرُ واردٍ؛ لأن مرادَه أنه جمعٌ لمفردٍ غيرِ مستعمل؛ لأنه لا وجهَ لاختصاصه بالافتراء غيرَ ما ذُكر.

والأحسنُ أن يُقال بمنع اختصاصه وضعاً، وأنه جمعٌ على ما سمعتَ، والتحقيرُ جاء من السِّياق، والمرادُ: لو ادَّعى علينا شيئاً لم نقله ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ﴾ أي: لأمسكناه. وقولُه تعالى: ﴿بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ - أي: بيمينه - بيانٌ بعد الإبهام، كما في قوله سبحانه ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

= بلاد العرب أخصب منه، فخرج بنوه يتصيَّدون، فأصابتهم صاعقة، فهلكوا، فكفر وقال: لا أعبد من فعل هذا ببنيَّ، ودعا قومه إلى الكفر، فمن عصاه قتله، فأهلكه الله تعالى، وأخرب واديه، فضربت به العربُ المثلَ في الكفر. مجمع الأمثال ٢/ ١٦٨.

(١) الكشاف ٤/ ١٥٤، والبحر ٨/ ٣٢٩.

(٢) ٤/ ١٥٥.

(٣) الانتصاف ٤/ ١٥٥.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ أي: وَتِينَه، وهو ـ كما قال ابنُ عباس ـ نِيَاطُ القلب الذي إذا انقطَعَ مات صاحبُه. وعن مجاهد أنه الحبلُ الذي في الظَّهر، وهو النّخاع. وقال الكلبيُّ: هو عِرْقٌ بين العِلْباء ـ وهي عصبُ العنق ـ والحُلقوم.

وقيل: عِرْقٌ غليظٌ تصادفُه شفرةُ الناحر، ومنه قولُ الشمَّاخ بن ضرار:

إذا بلَّغتِني وحملتِ رَحْلي عَرَابةَ فاشرَقي بدمِ الوَتِين[1]

وهذا تصويرٌ للإهلاك بأفظع ما يفعلُه الملوكُ بمن يغضبون عليه، وهو أنْ يأخذ القتَّالُ بيمينه، ويَكْفَحَه بالسيف[2]، ويضرب عنقَه.

وعن الحسن أن المعنى: لقطعنا يمينَه، ثم لقطعنا وَتِينَه عبرةً ونكالاً. والباءُ عليه زائدةٌ. وعن ابن عباس أن «اليمين» بمعنى القوَّة، والمرادُ أَخْذُه بعنفٍ وشدَّة. وضُعِّف بأن فيه ارتكابَ مجازٍ من غير فائدة، وأنه يفوتُ فيه التصويرُ والتفصيل والإجمال، ويصيرُ «منه» زائداً لا فائدةَ فيه.

وقرأ ذكوانُ، وابنُه محمد: «ولو يقولُ» مضارع قال، وقُرئ: «ولو تُقُوِّل» مبنيّاً للمفعول[3]، فنائبُ الفاعل «بعض» إن كان قد قُرئ مرفوعاً، وإن كان قد قُرئ منصوباً فهو «علينا».

﴿فَمَا مِنكُم﴾ أيُّها الناس ﴿مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾ أي: عن هذا الفعل، وهو القتل ﴿حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ أي: مانعين، يعني فما يمنع أحدٌ عن قتله. واستُظهر عودُ ضمير «عنه» لمن عاد عليه ضميرُ «تقوَّل»، والمعنى: فما يحول أحدٌ بيننا وبينه.

والظاهر في «حاجزين» أن يكون خبراً لـ «ما» على لغة الحجازيِّين؛ لأنه هو

---

(١) الكامل للمبرد ١/ ١٦٧، وعرابةُ هو ابن أوس بن قَيْظي الأنصاري، والمعنى: أنه إذا أوصلته الناقة إلى عرابة فلا يحتاج أن يرحل إلى غيره، لأنه سيغنيه بالعطاء. ينظر خزانة الأدب ٣/ ٣٨-٣٩.

(٢) يعني يواجهه بالسيف، والقَتَّال هو المباشر للقتل، وكون هذا فيه تصوير فظيع للإهلاك؛ لأن الآخذ باليمين يقتله بعد مواجهته بالسيف، ونظرُه له أشدُّ عقوبة، ومَن يَضْرِب عنقَه من غير مواجهةٍ يأخذه من يساره. حاشية الشهاب ٨/ ٢٤١.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٢٩.

محطُّ الفائدة، و«من» زائدةٌ، و«أحد» اسمُها، و«منكم»؛ قيل: في موضعِ الحال منه؛ لأنه لو تأخَّر لكان صفةً له، فلما تقدَّم أُعرب حالاً كما هو الشائع في نعتِ النكرة إذا تقدَّم عليها، ونُظر في ذلك، وقيل: للبيان، أو متعلِّقٌ بـ «حاجزين»، كما تقول: ما فيك زيدٌ راغباً. ولا يمنع هذا الفصل من انتصاب خبر «ما».

وقال الحوفيُّ وغيرُه: إن «حاجزين» نعتٌ لـ «أحد»، وجُمع على المعنى لأنه في معنى الجماعة يقع في النفي العامِّ للواحد والجمع، والمذكَّر والمؤنَّث، ومنه: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] و﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] فـ «أحد» مبتدأ، والخبر «منكم». وضُعِّف هذا القولُ بأن النفيَ يتسلَّط على الخبر، وهو كينونتُه منكم، فلا يتسلَّط على الحَجْز مع أنه الحقيقُ بتسلُّطه عليه.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ لأنهم المنتفعون به.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ فنجازيهم على تكذيبهم. وقيل: الخطابُ للمسلمين، والمعنى: إن منهم ناساً سيكفرون بالقرآن.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ﴾ عظيمةٌ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين به.

وقال مقاتل: وإن تكذيبَهم بالقرآن لحسرةٌ عليهم، فأعاد الضميرَ للمصدر المفهوم من قوله تعالى: «مكذبين»، والأولُ أظهرُ.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ أي: لليقين حقّ اليقين، والمعنى: لعينُ اليقين، فهو على نحو: عينُ الشيء ونفسُه، والإضافةُ بمعنى اللام على ما صرَّح به في «الكشف»، وجُوِّز أن تكون الإضافةُ فيه على معنى «مِن» أي: الحقّ الثابت من اليقين، وقد تقدم في «الواقعة» ما ينفعكُ هنا، فتذكَّره.

وذكر بعضُ الصوفية ـ قُدِّست أسرارُهم ـ أن أعلى مراتب العلم حقُّ اليقين، ودونه عينُ اليقين، ودونَه علمُ اليقين، فالأولُ كعلم العاقل بالموت إذا ذاقَه، والثاني كعلمه به عند معاينة ملائكته عليهم السلام، والثالثُ كعلمه به في سائر أوقاته. وتمامُ الكلام في ذلك يُطلب من كتبهم.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ۝٥٢﴾ أي: فسبِّح الله تعالى بِذكْر اسمِهِ العظيم تنزيهاً له عن الرِّضا بالتقوُّل عليه، وشكراً على ما أوحى إليك من هذا القرآن الجليل الشأن. وقد مرَّ نحوُ هذا في «الواقعة» أيضاً، فارجع إليه إن أردت، والله تعالى الموفق.